

فتحى أبو الفضل
هذا.. وأموت
رواية عربية

فتحي أبو الفضل

هذه ... وأموت

رواية طويلة

١٦ أغسطس ١٩٧٨

اهــداء

الى صديقتين عزيزتين غاليتين

اعز الصديقات واغلاهن

الى كريمتى شقيقى

الدكتورة ازهار وشقيقتها

اشراق انيس ابو الفضل

تحية من « هذه .. واموت

اونــكل
فتحى

١٦ اغسطس ١٩٧٨

ذكرى

التى تركتنا ..

وذهبت عنا لتستقبلها الملائكة والأطياف

ضيفة على الجنـــة

العزيزة الغالية الشهيدة
أسماء نسيم أبو سيف

أسماء التى تركتنا ولم تتركنا ، فهى معنا لم تزل ، وستبقى معنا للأبد ، نراها ونلمسها ونحدثها ونعاشرها ونتنفسها مع الهواء الذى لا حياة لحى بدونه .

اليها - لحنا - لم يتم
ونجرا لم يتح له ضحى
واملا ولى .. فى عمر الزهور
الى أسماء الصغيرة الغالية
مع الأطهار فى رياض الجنة ورباها ..

فتحى أبو الفضل
بلا تاريخ

تحية خاصة
وقصة التحية

ما اقوله لكم في هذه التحية الخاصة التي اعتدت ان اصدر بمثلها كل اعمالي ، لم اقله من قبل لغير مخلوق واحد .

انها سمير*

اسمها سميره ، ولا احد منكم يعرفها ، فهناك عشرات الالوف او مئاتها — ربما الملايين — ممن يحملن هذا الاسم ، فالاسماء بلا ثمن ، ولو كان لكل اسم ثمنه ، ما استطاع احد ان يشترى هذا الاسم ليطلقه على ابنته الا اذا كان يملك كنوز قارون او سليمان .

انا ترددت سنوات قبل ان اخصها بتحية خاصة اصدر بها عملا من اعمالى وقد صدر منها للان عشر روايات ، فانا ضنين باسمها وبذكر اسمها حتى وان كان في تحية منى لها في اعز واغلى ما وهبنى ويهبنى الله اياه ، كتبى ، ذلك انها اعز واغلى .

اعود الى ما قدمت ، من ان ما اقوله لكم في هذه التحية الخاصة لم اقله من قبل لغير مخلوق واحد وهو سمير* .

ماذا قلت لها دون غيرها من مخلوقات الدنيا ؟

قلت لها يوما انني كلما بدات كتابة رواية جديدة ، انتابنى احساس غريب بان العمر لن يمتد بى حتى انتهيها فاظل في سباق مع الزمن ، احاول ان انتهى منها

في اقصر وقت استطيع ومتى اصبحت كتابا ووصلت الى ايديكم ، التقطت انفاسي ووجدتني اقول لنفسي : لا يهمني الآن ان اخرج من هذه الدنيا وان تفرغ الدنيا مني ما دام الكتاب — امني الرواية — قد وصلت الى ايدي من يقراونني .

هذا ما لم اقله لكم ولا لاى مخلوق غيرها — اعني سميره — وكانت تحاول ما وسعتها الحيلة — ان تخلصني من هذا الاحساس المرير ، وكلما ظهرت احدى رواياتي ، سعت الى وفرحة طفلة تلون قسمات وجهها لتقول لي :

— ارايت ؟ ان ظنونك لم تكن في محلها .. ها انت ذا قد فرغت من الرواية فظهرت بين أيدي من يقراونك .. وهذه نسخة اشتريتها خصيصا لاهديك اياها .

الى ان كان يوم لا انسى تاريخه منذ سنوات وقد احسست وعكة مفاجئة ادركت من اعراضها انها قد تكون اكثر من مجرد لفحة عابرة وتنتهي ، فاسرعت بالاتصال بها لتحضر لي دواء معينا .. ولكن الوعكة المفاجئة بدات تتطور بسرعة غير مالوفة احسست معها بضرورة وجود احد — اى احد — الى جانبي في التو واللحظة .. فلجات الى جيراني وكان من بينهم طبيب قرر نقلي الى المستشفى دون امهال فنقلوني ، ولم تكن سميره قد وصلت بعد .

في المستشفى عرفت ان الامر اخطر مما كنت اقدر .. ولم يطلعني احد على حقيقة حالي .. ولكني فهمت ان هناك دواء معينا لا يجدونه في صيدلية المستشفى وان اتصالات عديدة قد تمت بكافة مستشفيات القاهرة وصيدلياتها .. وان الاجابة في كل

الحالات كانت واحدة : ان هذا الدواء غير موجود في السوق منذ شهور .

وبعد ؟

الأطباء مجتمعون حولي يتشاورون ويتهامسون وكل ما استطعت ان افهمه من انجليزيتهم " العلمية " الصعبة انهم لا يرجون اكثر من قارورة واحدة من هذا الدواء حتى اعبر المحنة العاجلة ، وبعدها ، يبداون علاجا تقليديا لا تعقيدات فيه .

واحسست باليأس يرسم هالات قاتمة على وجوههم وقد امعنوا في مشاوراتهم ومن الصعب على غير الطبيب ان يتابع حوارا بين اطباء بما فيه من المصطلحات العلمية وان يفهم ما يقولون فهما كاملا .. وسلمت امري لله .. وقلت : الحمد لله .. لقد جاءت النهاية اخيرا وكنت انتظرها من زمن ، فمرحبا.

فجاة دخلت سميره وقطرات المطر تغطي شعرها ووجهها وثوبها وحتى الحذاء الذي يضم قدميها ؛ وعرفنا انها تمطر ، وقيل انه سيل منهمر ، وبرغم انها معها سيارتها — كما اعلم — فلا شك انها تعرضت لكل هذا البلل خلال المسافة القصيرة بين باب سيارتها عند وصولها الى المستشفى — وبين السلم المؤدى الى مدخلها ، مدخل المبنى ذاته .

في كلمات قصار ، عرفت انها توجهت لي بالدواء الذي سالتها اياه عن طريق التليفون فاسرعت به الى بيتي ، وهناك علمت بانني نقلت الى المستشفى فاسرعت لتطمئن على وقد افزعها النبا .

وعلمت من الأطباء ان هناك دواء تمسني الحاجة اليه حاجة حياة او موت وانهم لا يجدونه في اى ركن

من اركان القاهرة ، وان « الكثير » يتوقف على تناولى
هذا الدواء .. وان الدقيقة فى تأخره لها ثمنها الفادح .
سمعتها — وانا فى ضباب الغيبوبة — تسال
الاطباء اسم هذا الدواء فأملاه عليها كبيرهم وهو يقول
لها انهم اتصلوا دون جدوى بمستشفيات وصيدليات
القاهرة كافة .. ولكنى سمعتها تهتف بانفعال وقد
شرقت عيناها دموعا .
— ان فى حوزتى قارورة تضم مائة حبة من هذا
الدواء وهى منزوية فى صيدلية البيت الصغيرة منذ
شهور .
ولم تنتظر من ايهم ردا .. ولكنها انطلقت وهى تقول
لهم :
— فى خلال نصف ساعة اكون هنا والدواء معى .
وانقضى نصف الساعة ولم تحضر سميره .. وبدأ
القلق يخيم على الجميع . واليأس يمتص بارقة الأمل
التى اضاءت وجوههم عندما اطمأنوا الى ان الدواء
النادر سيكون بين ايديهم فى خلال نصف ساعة .
الفصل شتاء — نوفمبر — والساعة تقترب من تمام
الثامنة مساء .. والقاهرة .. ما دامت تمطر — وفى
مثل هذه الساعة تصبح قيادة السيارة — اى سيارة —
عملية شاقة عسيرة خطرة ، والاصطدام يتربص بكل
من يقود سيارة ليصطدم بسيارة أخرى ، ولا يشفع
لسميره انها من أمهر من قادوا او تقود سيارة فى مصر
.. فانها قادت سيارتها فى معظم عواصم الدنيا .
ومرت ساعة كاملة .
وفجأة دخلت سميره وكأنها انتشلت للحظتها من
حادث غرق فقد كان الماء يكسوها ويقطر من شعرها
حتى قدميها .

كانت ترتعد .. وكانت زرقاء الشفتين تائهة العينين
مضطربة الأنفاس كما لو انها جرت شوطا طويلا ،
وعلبة الدواء فى يمينها قدمتها للاطباء دون كلمة ، ثم
تهاوت على مقعد كبير قريب من فراشى .
واعطيت قرصان من الدواء فى الحال .. واسرعت
الأخت « باسكاوليتا » كبيرة هيئة التمريض الايطالية
فحملت سميره الى غرفتها الخاصة حيث خلعت عنها
ثيابها الغريقة فى الماء والبستها غيرها من ملابس
المستشفى .. واجريت لها الاحتياطات اللازمة حتى
لا تصاب بنزلة شعبية .
ماذا وقع لسميره فى الطريق وهى — كما قدمت —
من أمهر قائدى السيارات ؟
لقد انفجر أحد اطر سيارتها اثناء عودتها الى
المستشفى بعد ان احضرت الدواء من بيت اسرتها
فتركتها على جانب الطريق .. وراحت تعدو تحت
وابل المطر تحاول ان تستوقف احدى سيارات الأجرة
دون جدوى .. وظلت تعدو وتعدو نحو كيلو مترين
تحت وابل مطر غزير لا يرحم ، الى ان وصلت ..
وكان الاعياء قد بلغ بها مداه ومنتهاه ..

***

فى صباح اليوم التالى ، فاجأتنى بدخولها على فى
غرفة المستشفى .
كانت كالوردة ..
وكانوا قد قاموا بتجفيف كل ثيابها وكيها وابتسامتها
الفريدة الرائقة على شفتيها وهى تقول :

— ارأيت ! لقد عبر الله بك المحنة .. وستعيش .. وسترى روايتك الجديدة بين أيدى من يقرأونك ويحبونك فانها تصدر اليوم كما علمت عن يقين وستكون بين أصابعك بعد قليل .

ماذا املك اكثر من ان اقدم هذه التحية الخاصة الى سميره التى تؤكد لى دائما اننى ساعيش الى ان اتم رواياتي — المائة — عددا !

تحية من « هذه واموت » ومن ابطالها ليلى ونازك وملك والدكتورة ماجدة ومروان ومحمد .. تحية الى اغلى الاسماء .. الى سميره .

ومن فتحي ابو الفضل — دار الاهرام بالقاهرة
الاربعاء ١٦ اغسطس ١٩٧٨

— ١ —

— الدنيا تبتسم لك ..
— غير صحيح
— تضحك
— خرافة
— تفتح لك ذراعيها بكل مسراتها وافراحها
— خرافة اكبر
— تضمك الى قلبها بكل وعودها المبهجة الضاحكة
— كفى يا ماما .. ارجوك .. فالدنيا ليست الا دمعة حزينة تعقبها دمعة اكثر حزنا ، وتسلسل الدموع الحزينة — والاكثر حزنا — واتصالها وانسيابها يجعل منها سيلا منهمرا من دموع الاحزان

الام احست ان ابنتها تغالب دمعة على وشك ان تفر من بين جفنيها ، دمعة اقوى من ارادتها ومن مقاومتها ، فمسحت بكفها الحانية على شعرها الاسود الحرير وهى تقول :

— كل هذا لانك تخلفت فى اجتياز امتحان البكالوريا!

رفعت ليلى ..

اسمها ليلى ، وقد نسيت ان اقدمها لكم .

رفعت ليلى الى وجه والدتها بحيرتين خضراوين صافيتين — عينيها — نام فيهما الاحساس فى اعمق صوره بالقهر ضيقا ثقيلا مقيما لا يرحم .. كان يبدو واضحا انها لم تنم منذ اعلان نتيجة الامتحان ونشرها فى الصحف منذ يومين ، ولم يكن رقم جلوسها ضمن

أرقام الناجحين والناجحات .. وهمست تسأل والدتها في صوت مرتعش .

— أتستهونين هذا يا ماما ؟؟ أن أرسب ولم يسبق لي أن رسبت مرة واحدة في حياتي ؟

— لست الأولى ولن تكوني الأخيرة يا حبيبتي .

هزت رأسها في حسرة اليمة وهي تقول ، كما لو كانت تخاطب نفسها .

— بعد كل ما بذلت من جهد !!

أسرعت والدتها تقول :

— كثيرون وكثيرات غيرك بذلوا من الجهد مثل ما بذلت ولا أريد أن أقول وأكثر .

أسرعت تؤكد :

— لأنه ليس هناك أكثر .

حاولت الأم أن تهدىء من انفعال ابنتها الذي تحس به يزلزلها فرسمت على وجهها ابتسامة شاحبة وكأنها تأسو لكل من خانهم الحظ بمثل ما خان ابنتها .

— ومع ذلك ، فقد خانهم الحظ مثل ما خانك يا ليلى .

ظلت ليلى تواجه والدتها بوجهها الصافي ، بقسماته الصريحة الواضحة .. بعينيها اللتين بدتا كما لو أن كأسا من عصير الورد قد صبت في كل منهما من أثر البكاء الطويل ، ثم قالت ، والاحساس بالمرارة يملأ صوتها الشاحب المنكسر .

— حضرتك يا ماما أول من يعرف قدر ومقدار الجهد والمجهود الذي بذلته طوال العام الدراسي لكي انجح .

وخانتها مقاومتها فانفجرت باكية ، ودفنت وجهها الصغير الذي أضناه الاخفاق وأذبلته الهزيمة في

كفيها .. وراحت كتفاها الصغيرتان تهتزان مع كل دمعة تنساب من عينيها وقد انهارت مقاومتها تماما .. كانت تبكي من قلبها بكاء مرا .. كانت تبكي من حبة القلب .

وتركتها الأم لتفرغ مرارتها مع دموعها .. وقدمت لها كأسا مملوءة بعصير الليمون المثلوج وساعدتها على أن تشرب منه رشفة صغيرة قصيرة .. وعندما أحست أنها هدأت قليلا قالت لها :

— ليلى يا حبيبتي .. ألا تعرفينني على أنك وضعت المسألة كلها تحت منظار مكبر فرأيتها أكبر من حجمها الحقيقي بكثير ؟

رفعت ليلى الى أمها عينيها المكدودتين والدموع تنهل منهما في صمت اليم وهي تقول :

— ماما .. انك — كما يبدو لي — لا تشاركينني فظاعة الاحساس بماجرى .. أنا سقطت في الامتحان يا ماما .. سقطت في امتحان البكالوريا الذي كنت أعقد على اجتيازي اياه آمالا أنت أدرى الناس بها .

وفي هدوء الأم وحنان الأم وحكمة الأم ، قالت الأم :

— الدنيا لم تزل دنيا .. وبعد ثلاثة أشهر تدخلين امتحان الدور الثاني لتعوضي ما فاتك .. وانني لعلى تمام اليقين من أنك ستنجحين فان تخلفك في الدور الأول لم يكن أكثر من سوء حظ ، كما أنه بكل تأكيد لن يكون في أكثر من علم واحد .

هزت ليلى رأسها الصغير في احساس بالقهر وهي تقول :

— ماما .. انني لن ادخل الدور الثاني .

القرار كان مفاجأة للام .. كان آخر ما يمكن ان يخطر لها ببال تسائلتها بصوت خلا من الحياة :

ـ كيف يا ليلى ؟ وتهدرين عاما كاملا من عمرك ؟!

ومع ذلك ، فانك لا مفر لك من الحصول على البكالوريا اذا كنت تريدين ان تلتحقى بالجامعة .

اجابتها الابنة بذات الصوت الهادىء الذى بدا للام انه غريب على اذنها .. انه ليس صوت ابنتها الذى الفته .

ـ اننى لن ادخل الجامعة يا ماما .

احست الام ان رسوب ابنتها قد غيرها فلم تعد ما كانته منذ يومين قبل ان تعلن نتيجة الامتحان حاولت ان تستكشف ما يعتمل بداخلها فسالتها كمن تحاول ان تهون عليها الامر او كمن توقظ فى نفسها املا عزيزا غاليا عاشت لتحقيقه زمنا .

ـ الا تريدين ان تكونى طبيبة او محامية او مهندسة كما كان المرحوم بابا يرجو لك ويتمنى ؟

اجابت فى هدوء ، وفى ادبها العالى :

ـ ماما .. انى سأغير طريقى فى الدراسة .

ـ بعد ان قطعت هذه المرحلة ؟

ـ سألتحق بمعهد التمثيل العالى التابع لوزارة المعارف العمومية .

مست الام صدرها باطراف اصابعها وهى تنوح فى صوت مشروخ .

ـ يا مصيبتى !! معهد التمثيل ؟!

ـ ماله معهد التمثيل يا ماما ؟ انه معهد عال لا يقل عن اية كلية من كليات الجامعة ، له عميد برأسه وله اساتذة يلقون المحاضرات فى كل علوم وفنون المسرح ،

ويمنح الناجحين والناجحات دبلوما يؤهلهم ـ جميعا ـ للعمل بالفرقة القومية المصرية او بمختلف الوظائف فى الوزارات التى تحتاجهم اذا كانوا او كن ممن يفضلون او يفضلن الوظيفة على مقعد وخلف مكتب ، على الوقوف فوق خشبة المسرح وخلف ستارة من القطيفة الحمراء .. ثم اننى ..

همت الام بمقاطعتها ..

ـ يا ليلى يا بنتى ...

ولكن ليلى استمهلتها فى لطف بالغ لتقول :

ـ ارجوك يا ماما .. استأذنك فى ان اتم حديثى .

ـ انى اسمعك يا ليلى .

ـ انى لست كغيرى من البنات .

ـ كيف ؟

ـ اما اننى ازيد عنهن شيئا او انقص شيئا ..

ولكنى ـ بالقطع ـ لست كغيرى من البنات .

ـ لست افهمك .

ـ لا ادرى كيف اشرح لحضرتك ما اريد ان اقول .. ولكنى احس ان هناك فى داخلى شيئا يناديني او يصرخ بى او يدفعنى لاقف على المسرح لاقول للدنيا شيئا كبيرا جميلا مضيئا مبهرا مفيدا .

ثم وضعت كفها على معصم والدتها وهى تضيف :

ـ انك لا تستطيعين ان تنسى كيف دخل جورج ابيض ـ بجلال قدره ـ غرفتى بمسرح الاوبرا عندما قمت بدور اوفيليا فى الحفل المدرسى فى العام الماضى ، وهنأنى وهو يسألنى ان كنت هاوية ام محترفة .. وان كنت هاوية فماذا انتظر لكى احترف ؟

ـ طبعا لا استطيع ان انسى هذه الليلة .

— وفى العام الذى قبله عندما صعدت لى زينب صدقى واحمد علام خلف ستارة المسرح بعد أن قمت بدور مرجريت « الكاميليا » ثم احتضنتنى الممثلة الكبيرة وهى تقول بحنان وقلب الفنانة العريقة .

— استطيع ان اعتزل المسرح وانا مطمئنة الى ان هناك من ستقوم بادوارى كما اقوم بها .. فقبلت يدها وانا اقول لها :

— امامك مائة سنة قبل أن تعتزلى يا زينب هانم ؛ وانا لست اكثر من احدى تلميذاتك الصغيرات .. هل يمكنك ان تنسى هذه الكلمات يا ماما ؟

— وهذه ليلة لا انساها — ايضا — يا ليلى .

— وفى السنة التى قبلها عندما فوجئت بزوزو حمدى الحكيم تدق باب غرفتى بعد اسدال الستار الأخير من مسرحية « اليتيمة » وهى تبكى .. ثم احتضنتنى بحنانها الجارف وصوتها تملاه الدموع .

— اننى لاول مرة ارى « امينة » على حقيقتها كما كتبها مؤلف اليتيمة .. واؤكد لك يا ليلى انك اضفت لهذا الدور بعدا جديدا استاذنك فى أن اضيفه الى ادائى له اذا اعادت الفرقة عرض هذه المسرحية .

ثم بعد لحظة صمت .

— ماذا اقول لك يا ماما ؟

انهلت دموع الأم فى صمت وهى تقول :

— ليس هناك ما يقال اكثر من هذا يا ابنتى .. وكل ما فى الامر اننى اشفق عليك من هذا الوسط الذى تقرأ عنه الكثير .

— حضرتك ادرى الناس بابنتك فلا تخافى على .. ولكن هناك شيئا واحدا ارجوك اياه .

— هات كل ما عندك يا ليلى .

— ان تكونى راضية على وعن هذا القرار الذى اتخذته .

— تاكدى من اننى راضية كل الرضا ما دامت هذه رغبتك وتشعرين ان فيها نجاحك وسعادتك .

وعانقت الأم ابنتها .. وعانقت الابنة أمها .. وانسابت دموع الاثنتين فقد كانتا صديقتين اكثر منهما ابنة واما .

— ٢ —

عند اختيار المتقدمين والمتقدمات للالتحاق بمعهد التمثيل على خشبة مسرح الازبكية وكان زكى طليمات يتصدر لجنة التحكيم المكونة من كبار الادبـاء وبعض اساتذة الفرقة القومية وعدد من رجال وزارة المعارف الذين يندرج معهد التمثيل والحركة المسرحية فى مصر ضمن ما يشرفون عليه من مهام وظائفهم الكبيرة .

تتابع المتقدمون والمتقدمات فالقى كل منهم ومنهن مشهدا اجباريا ثم مشهدا اختيارا .. وكانت ليلى هى الوحيدة التى استأذنت اعضاء اللجنة بعد ان ادت المشهد الاجبارى فى سؤال صغير .

— هل تتفضل اللجنة مشكورة بان تحدد لى مشهدا بعينه من اية مسرحية تختارها لأؤديه شطرا ثانيـا من الامتحان ؟ ام ان الاختيار اجبارى وعلى انا ان اختار ؟

السؤال كان غريبا وجديدا على اللجنة !! الم تستعد هذه الطالبة الجديدة بمشهد اختيـارى لتؤديه امـام اللجنة ؟ ولكن سؤالها كان يحمل — بالتاكيد — معنى آخرا معناه انها تحفظ كل اعمال الفرقة التى سبق ان قدمتها خلال المواسم المسرحية منذ انشائها وحتى اليوم ، والا ما جازفت بان تضع نفسها امام هـذا المنزلق .. الا يجوز ان تختار لها اللجنة مشهدا من غير محفوظاتها ؟

معناه ايضا ، انها تثق بنفسـها وبقدرتها وبحصيلتها ثقة لا حدود لها .

وتهامس اعضاء اللجنة فيما بين بعضهم البعض وكانهم يتشاورون .. وشاركهم رئيسهم هذا الهمس مع العضوين اللذين كانا عن يمينه وعن يساره .. ثم قال لليلى :

— اذا اخترنا لك المشهد الاختيارى لتؤديه بعد ان اديت المشهد الاجبارى ، فكاننا نظلمك لاننا بهـذا نحرمك فرصة اختيار مشهد تحبينه وترين انك تجيدينه اكثر مما تجيدين غيره .. فليتك تسمعيننا مشهدا من اختيارك انت .

واختارت ليلى ، مشهد ليلى العامرية عندما دعاها قيس لان تتبعه بعد ان زفت الى ورد بن ثقيف واصبحت زوجتـه .

اعضاء اللجنة محظور على اى منهم ان يبدى رايه علنا فى اداء طالب او طالبة فمعنى هذا الراى ، انه حكم تمهيدى بلغة القضاء ، وهو عمل محظور بحكم مواقعهم كقضاة .. فاذا كان مجرد ابداء الراى محظورا .. فكيف بالتصفيق للتعبير عن الاعجاب ؟

ان احدا منهم لم يصفق لليلى بطبيعة الحال وان كان واضحا انها بهرتهم جميعا .. ولكن صوت تصفيق ملح من اكف رقيقة تناهى الى اسماعهم واضحا جليا وكان من يصفق يستحثهم مشاركته تحية هذه الموهبة الواعـدة .

كانت فردوس حسن وروحية خالد وفاطمة رشدى — والاخيرة اشـهر من قامت بدور ليلى فى مسرحية شوقى — يحتللن ثلاثة مقاعد متلاصقة من الصـف الاخير من قاعة المسرح .. جئن ليشهدن اختيار جيل جديد من ابناء وبنات مصر ، اختاروا واخترن التمثيل ليمنحوه ويمنحنه حيـاتهم وحياتهن فبهرتهن الفتـاة

الناشئة بادائها مشهدا من اصعب واعقد مشاهد المسرح الشعرى — والتصفيق غير محظور على غير اعضاء اللجنة من قلة كبار الممثلين الذين يسمح لهم عادة بشهود مثل هذا الاختبار — مجرد شهود مستمعين — وران على الجميع صمت قصير تقطعه رئيس اللجنة موجها حديثه لليلى وقد بهرته بادائها الممتع .

— من فضلك ، هل تسمعين اللجنة مشهدا من مصرع كليوباترا ؟

شهقت ليلى شهيقا طويلا زفرته ببطء شديد كانها تتهيأ للالقاء .. ثم بدا صوتها ينساب من خلال الصمت المطبق .

— قاعة المسرح كانت تبدو فى هدوئها وسكونها كما لو كانت معبدا من معابد الرومان — عصر كليوباترا — وصوت ليلى يسرى بين ارجائه كصوت راهبة اعتنقت المسيحية فى عصر اضطهادها فراحت تنشد المزامير سرا ، خوفا من بطش من لم يهتدوا للدين الجديد وهى تؤدى دور كليوباترا فى لحظات عمرها الفاصلة بين الحياة والموت قبل ان تدفن راس الحية بين نهديها البكرين الظامئتين ، نهدا عذراء تخطت التاسعة عشرة بشهور وتخطو مسرعة نحو العشرين .

وانتهى الاختبار الذى استغرق اسبوعا .. ومن ثلاثمائة وخمسين متقدما ومتقدمة نجح عشرون من الجنسين وكانت ليلى اولى الناجحين والناجحات باجماع الاراء ، وبدات دراستها المنهجية فى اول معهد للتمثيل تنشؤه حكومة مصر اعترافا منها بالمسرح — لافتة مضيئة — من لافتات حضارتها كاية دولة اهتدت الى احد اعمدة هذه الحضارة .

الطريق بعد هذه الخطوة كانت مبسوطة ممهدة امام ليلى .. وبقدر ما كان اتخاذ القرار لها صعبا . والاقدام عليها عسيرا وهجر دراستها الثانوية ومن بعدها الجامعية للتحول الى دراسة تختلف عما هيأت نفسها له منذ طفولتها اكثر صعوبة واشد عسرا ، بقدر صعوبة وعسر كل هذا ، بقدر ما بدات حياة دراسية جديدة كانت تحس بها سهلة وممتعة وشيقة ، فهى تحب التمثيل ويستهويها الوقوف على خشبة المسرح ويلهب مشاعرها ان تلهب مشاعر الجماهير وهى تعتلى هذه الخشبة الساحرة .. كما يستثيرها التصفيق عند نهاية كل فصل من فصول المسرحيات التى ادت فيها الادوار الاولى عندما كانت طالبة بمدرسة الاميرة فوزية الثانوية للبنات .

وانها الان لطالبة متفوقة من طالبات معهد التمثيل، مجدة ومواظبة وملتزمة ، ومن هنا احبها الجميع واحترمها الجميع .

عميد المعهد يحبها

الاساتذة يحبونها

زملاؤها جميعا يحبونها ، طبعا ..

زميلاتها ، البعض منهن يحبها .. والاخريات يغرن منها ، وبعض هؤلاء الاخريات يكرهنها او يحقدن عليها ، فالفروق بينها وبينهن اكثر من ان تحصى ولا ينكرها او يعمى عنها اى مكابر .

هناك — دائما — مسلمات غير قابلة لمجرد المناقشة ، والمكابرون — انفسهم — لا يملكون انفسهم من التسليم بها او يرميهم السامعون بما هو اكثر من المكابرة ..

وليلى — انسانا وموهبة لها بريقهــا — كانت فى طليعة هذه المسلمات التى تتحدى بمكابرة اى مكابر .

كانت شديدة الاعتزاز بكرامتها ، وهــذا الاعتزاز كان طبعا فيها لا تطبعا ، كمـا كانت تثق بنفســها وبقدراتها بلا حدود .. ومع ذلك ، فقد كانت تعرف حدودها فلا تتجاوزها وهذه هى المعادلة الصــعبة بلغة هذا العصر .. وبرغم هذا الاعتزاز بكرامتهــا وبرغم ثقتها بنفسها وبمواهبها الى هذا الحد الكبير ، فقد كانت اكثر تواضعا من كلمة التواضع ذاتها بمــا تعنيه من مختلف سلوك التواضع كافة ومجتمعة .. كل هذا فى اطار مبهر آسر من خفر وحياء طفلة فى الثامنة ولا تزيد .

وليلى ....

لم اكن اود ان اصف لكم ليلى .. ولكنى اســتطيع ان اقول فى كلمات قصار ، اننى عندما التقيت بهــا لاول مرة .. وتطلعت الى وجههــا المضىء ، والى البحيرتين الخضراوين الصافيتين — عينيها — احسست للحظتها اننى اتوضا تهيؤا لصلاة طويلة ، تقسمات وجهها بما تشعه من طهر واحساس بالشفافية الكفيلة بان تغسل ذنوب من يتطلع اليها لتطهره من آثــامه وذنوبه .

شعرها شلال هادر من الليل الحالك ينساب الى ما تحت كتفيها فى دلال شهى ، وهو بالتقائه عند منابته بجبينها المضىء ، يحقق قاعدة الاضداد فى اكمل صور هذا التحقيــق ، فنحن لا نحس حلكة الليــل الا بجانب اول خيط من خيوط الشمس لحظة شروقها، ذلك ان جبينها — جبين ليلى — وبشرتها عامة — كان

وكانت — فى طهر ونصاعة خيوط الشمس لحظــة الشروق .

وكما ان حياة ليلى سلكت فى مسارها مسار الاضداد، فالتهمت من عمرها تسعة اعوام فى الدراســة التقليدية — نصف عمرها — لتبدا دراسة جديدة وهو اختيار صعب وقرار اصعب ، فان تكوينها — كما سواها الله كان يجمع هذه الاضداد فضم المستحيلين — النحافة والبضاضــة معا .. فهى لم تكن تزن اكثر من ثلاثة وخمسين كيلو جراما .. ومع ذلك .. فان تفصيلات قوامها وزواياه وانحناءاته واستداراته ، كانت كفيلة — جميعها — بان تغرى اية فتــاة او امراة — فكيف بشاب او برجل — بان تتاملها طويلا .. ان تعريهــا بعينيها لتملأهما من هذه الفتنة .. ثم لتسأل نفسها .. كيف منح الله مثل هذه البنت وجها مثل هذا الوجه ثم يسرف فى عطائه فيمن عليها بمثل هــذا العذاب الشهى الذى ينام فاتنا آسرا مطمئنا فوق خصرها ، وبهذا الدلال « المشاغب » المعربد الذى يقيم تحته ؟!

ليلى كانت تبــدو كاحــدى الوصايا العشر هبطت تحمل اسما لا رقما .. وصية اسمها ليلى توصى بها كل ام ولدها ليسعى للفوز بها قبل ان يخطفها غيره ، وهؤلاء الغير يفوقون الحصر فهم بلا عدد ، فمن هذا السعيد الذى سيلتقف هذه الوصية التى تحمل اسما — لا رقما — ليجعلها حكمة وصراط واسلوب وقاعدة ودستور حياته جميعا ؟

علم هذا كله عند علام الغيوب ومقسم الارزاق جلت حكمته وتعالت .

من هنا التف الجميع حولها واحاطوا بهــا كالنمل يحيط بقطعة السكر او بقطرة الشهد ..

زملاؤها — وبلا استثناء — حاول كل منهم ان يهيىء لنفسه مكانا خاصا يخطف ويتميز عن امكنة كل زملائه من نفسها ، ولكنها كانت قادرة بكل رقة ولطف وادب عال على ان تساوى بينهم جميعا وكان سبيلها الى هذا سهلا وبسيطا فانها لم تترك لاى زميل من هؤلاء الزملاء ان ينفرد بها فى اى ركن من اركان المعهد او حديقته ولو لدقيقة واحدة ، كانت تختار مكانها — دائما — بين عشرة من الجنسين .. وان كانت وحدها — فى لحظة تاملها — فوحدها اما اذا فاجاها زميل ليشاركها هذه الوحدة ، اسرعت تطلب اليه فى لطف ان يرافقها للانضمام الى حلقة من الزملاء والزميلات تشير اليها قريبة منهما .

استاذ شاب من اساتذتها ، استطاع ان ينفرد بها لحظات وكانت تستوضحه حقيقة حقبة مسرحية معينة وما لابسها مما اختلف عليه الرواه ، انتهز الاستاذ الشاب فرصة انفراده بها وعرض عليها فى ادب ولطف ملحوظين ان تقبله زوجا فشكرت له عرضه الكريم وقالت له انه كان يشرفها ان يكون فى استطاعتها اجابة رغبته ، ولكنها لم تفكر فى الزواج للآن كما انها لن تتزوج قبل ان تتخرج بحال .

وطلبة وطالبات معهد التمثيل بالذات كانوا وكن يسعون ويسعين للاستعانة على حياتهم وحياتهن بالاشتراك فى اعمال فنية طوال اربعة اعوام الدراسة .. وكانت الاذاعة هى المجال الوحيد امام الجميع ، فلم يكن غريبا ان يتسابق مخرجوها — مخرجوا الاذاعة — الى ليلى لتشترك فى التمثيليات التى يقومون باخراجها .

ليلى — وغير ليلى من زملاء وزميلات الدراسة .. كل افراد الدفعة يشتركون بالتمثيل فى هذه التمثيليات وهذا شىء طبيعى ولا ماخذ عليه .. ولكن شيئا ما .. كان ملحوظا ولم يكن ليخفى ابدا على الجميع لانه كان ملحوظا بشكل « واضح » ، ذلك ان التكليفات التى كانت تتسلمها ليلى — وحدها — من احد سعاة مراقبة التمثيليات ، هذه التكليفات كانت وحدها تماثل التكليفات التى تتسلمها كل زميلاتها مجتمعات ولم يكن نظام الدورة الاذاعية للممثل قد وضع بعد .

الكل يريد ليلى

الكل يريد أن تعمل معه .. ان يضع اسمها ممثلة للدور الرئيسى الذى كتبه المؤلف فى تمثيلية السهرة او المسلسلة التى تغطى شهرا باكمله .

الكل يقول لها انه يريد أن يجعل منها نجمة وهو فى قرارة نفسه يريد ان يجعل منها شيئا آخرا .

وتقدم الجميع لها .. الجميع بلا استثناء .. كل يريد ان يسبق غيره ليتزوجها ..

الجميع قالوا لها العبارات التقليدية المهذبة .

— هل تقبليننى زوجا ؟؟

— انت من كنت ابحث عنها طول عمرى .

— انت فنانة وانا فنان .. وسنتعاون معا على ان نقدم فنا متطورا لم يسبقنا اليه احد ، سنكافح معا حتى نبهر الجميع .

— كل مخرجى السينما اصدقائى .. محمد كريم .. احمد بدرخان .. ابراهيم عمارة . كمال سليم وغيرهم وغيرهم وساقدمك لهم جميعا لتاخذى مكانك اللائق فوق شاشة السينما قبل ان تتخرجى فى المعهد .

— اننى اخرج عددا لا حصر له من التمثيليات

والمسلسلات لأذاعة الشرق الادنى ، وستكونين بطلة
كل هذه الاعمال الكبيرة التى لا حصر لها .. هذا الى
جانب اعمالى التى اخرجها لاذاعتنا ، اذاعة القاهرة .
أستطيع ان اصعد بحصيلتك من عملك الى اكثر من
مائة جنيه كل شهر .

ومائة جنيه او اكثر كل شهر — خلال الاربعينيات —
كانت رقما يدير اعتى رؤوس المحترفين المتمرسين فى
فى عالم التمثيل ، فكيف بالمبتدئين والمبتدئات ؟

وعود بلا حصر .. وآمال بلا حدود والوان من
التركيبات واساليب الاقناع والاغراء لا نهاية لها ..
وهى مع ذلك لا تنهر احدا منهم او ترده بعنف ، فقد
كانت حريصة دائما على الا تجرح احدا ممن يعملون
معها او ممن تتعامل واياهم ، فرقة الحاشية والذوق
العالى والأدب الرفيع والكلمة الهادئة والابتسامة
الحلوة ، وكل هذا — كما قدمت — كان طبعا فيها
لا تطبعا . هذه كلها كانت ادواتها وهى تعتذر لكل
اولئك وهؤلاء بانها — اولا — تشكر له ثقته الغالية ،
وثانيا فانها يعز عليها ان ترد له رجاء لظروف قاهرة
لا طاقة لها بردها .

ومضى العام الدراسى الاول .. وكان ترتيبها
الاول على افراد فرقتها من الجنسين وبامتياز
ملحوظ .

وبدأ نجمها يصعد وهى طالبة ، لم تزل .

لم يكن جمالها وحده الصاروخ الذى يحملها ليصعد
بها الى هذه الذرى العالية نجما براقا لامعا ليدور
فى فلكه المرسوم .. ولكن موهبتها وقدرتها والتزامها
ومثابرتها وشخصيتها الاسرة الجارفة ، هذه كلها

— وقبل ان تخترع الصواريخ — كانت الى جانب
جمالها صاروخا متعدد المراحل ، يحملها كل جزء منه
الى نهاية المرحلة المحددة له ليسلمها امانة للمرحلة
التالية .. الاعلى ..

وتسابق اليها مندوبوا المجلات الفنية وغير الفنية .
واحد يريد حديثا معها .. وثان يقترح تحقيقا
صحفيا ، وثالث يعدها بأن صورتها ستكون غلاف
العدد القادم للصحيفة الاسبوعية التى يعمل ضمن
محرريها .

ورابع يقول لها انه خاطب كثيرين من اصدقائه
منتجى ومخرجى افلام السينما بشأنها ليسندوا اليها
ادوارا مهمة ورئيسية فى افلامهم .

وخامس .. وسادس وسابع .. وعاشر .
وكلهم رجال اولا ورجال ثانيا .. ورجال عاشرا .
والبنت حلوه .. كالوردة او اجمل فهى اكثر نضرة
من الوردة واعبق منها شذى .. وامتلأت الصحف
— اليومية والاسبوعية — اغلفتها وصفحاتها وانهارها
بصور ليلى واخبار ليلى واحاديث ليلى وقطة ليلى
وكلب ليلى وقد استطاعت ان تجمع بينهما صديقين
كبيرين يأكلان معا ويلعبان معا وينامان معا واذا بليلى
وقد وصلت السنة النهائية من دراستها — كما لو
كانت من كبار وكبيرات المحترفات اللواتى امضين
الاعوام الطويلة فوق خشبة المسرح او شاشة السينما
فقد قبلت بعض الادوار الثانية فى قلة من افلام الدرجة
الأولى فلمعت بقدر ما لمست صاحبات الادوار الأولى
واصبحت حديث الجماهير العريضة — رواد السينما —
فبدأت تعتذر من عدم قبول مثل هذه الادوار الى ان
تنتهى من امتحان الدبلوم وكانت — بهذا الاعتذار —

وقد كفت نفسها عن القيام بالأدوار الثانية بعد قيامها بما لا يتجاوز ثلاثة او اربعة ادوار منها — كانت بهذا الاعتذار تهيىء نفسها للاضطلاع بالادوار الاولى .

وكان تقديرها سليما .

ادت امتحان الدبلوم مع زملائها وزميلاتها ..

ونجحت ..

وكان ترتيبها الاول على الجميع كما كانت تؤمل .. وغطى وجهها المضيء اغلفة المجلات الاسبوعية كافة بوصفها الأولى على خريجى وخريجات معهد التمثيل .

***

فى الاسبوع بعد التالى لاعلان النتيجة ، دعا عميد المعهد الى حفل شاى كبير اقامه لتكريم الخريجين والخريجات تشهده كبار ممثلى المسرح وممثلاته كما دعى اليه المسئولون عن المعهد والحركة المسرحية فى وزارة المعارف .

رجال الصحافة الفنية كانوا منتشرين فى حديقة المعهد ؛ وعدسات التصوير راحت تومض بلا حساب لتلتقط ما يكفى لتغطية الحفل على صفحات الصحف التى يعمل بها ولها هؤلاء المصورون .. ولكن التركيز كان على ليلى .. على كل حركة من حركاتها ، ، على كل نظرة . على كل لفتة .. على كل ابتسامة . وليلى وجه يخسف القمر وينطق الحجر ويسقط المطر ويزهر الشجر والسجع غير وارد ولا مقصود . ولكنها عبارة او « تركيبة » اطلقها بنصها صحفى كبير من مدعوى الحفل .. اطلقها على ليلى وضحك .. وضحك الجميع .. اما ليلى وقد وصفها الصحفى

الكبير بكل هذا فقد أطرقت حياء فلقد كان يضمها ذلك الركن الذى ضم هذه المجموعة من كبار المدعوين .

اطرقت ، وتضرجت سوسنة حمراء صغيرة فوق كل من خديها حياء وخفرا من هذا الاطراء الذى لم تسمعه من قبل .

كان الصحفي الكبير مشهورا بسرعة الخاطر وخفة الدم وبانه زينة كل مجتمع وأى مجتمع ، ولم يعرف عنه يوما انه من ذئاب بنات المسرح او السينما أو كل بنات الفنون بصفة عامة .

— ٢ —

في الاسبوع التالي مباشرة ، دخل شاب صغير الى دار الاوبرا من بابها الخلفي يحمل حافظة أوراق صغيرة ، ولم يعترض احد دخوله لانه معروف للجميع. انه الاستاذ صبحي ، احد العاملين بقسم الدعاية بمجلة الشعاع السياسية الفنية الجامعة الشاملة ولم يكد يخطو خطوات حتى وجد نفسه — وجها لوجه — امام « عباس » ذلك الاسمر الأنيق الوسيم الذى يشرف على هذا العالم المليء بالأسرار خلف اكبر واقدم مسارح القاهرة .. مسرح الاوبرا .. حجرات الممثلين والممثلات .. غرف التزيين والتخفي والتنكر .. مسئولية الاتصال باى ممثل او ممثلة في بيته او بيتها في الحالات الملحة الطارئة ، وغير هذا وذاك من مسئوليات العمل الضخم الذى يحسب للدقيقة لانتظامه الف حساب .

رحب عباس — ابن فرنسا كما ينادونه احيانا — بصديقه صبحي الموفد من مجلة الشعاع وقال له بابتسامته المضيئة .

— اوامرك يا استاذ صبحي .

اخرج صبحي من حافظة أوراقه التي يحملها مجموعة من الأظرف البيضاء يحمل كل منها شعار مجلة الشعاع ، قدمها لصديقه وهو يقول :

— استاذنا ، الاستاذ مروان — اوفدني بهذه الدعوات لتسليمها لأصحابها ، فهل تتفضل مشكورا بالقيام نيابة عنى بهذه المهمة .

تناول عباس بطاقات الدعوة من مندوب كبرى المجلات المصرية وهو يقول :

— من عيني . ستكون بطاقة الدعوة في يد الموجهة اليه او اليها بمجرد وصوله او وصولها .

وفهم عباس من مندوب المجلة ان الاستاذ مروان توفيق صاحب ورئيس تحرير مجلة الشعاع يقيم في مسكنه مساء الخميس القادم حفلا لتكريم من ضمتهم الفرقة القومية المصرية الى اعضائها من خريجي وخريجات معهد التمثيل هذا العام وهم الخمسة الاوائل وان الدعوة تشمل ضمنا كل ممثلي وممثلات ومخرجي الفرقة ومديرها .

* * *

ان ليلى لم تكن تتصور ان يضم مسكن — اى مسكن — مثل ما رأته عيناها منذ اللحظة الاولى — او الخطوة الاولى — التى خطتها وهى تدخل مسكن الاستاذ مروان توفيق صاحب ورئيس تحرير مجلة الشعاع فقد كانت — بداهة — في مقدمة المدعوين ، فهي الاولى على الدفعة ، والحفل مقام — اصلا — لتكريم افراد هذه الدفعة وهى في مقدمتهم .. والفرقة القومية ضمت الى عضويتها من زملائها اثنين ومن زميلاتها اثنتين .. اى ان مجموعهم خمسة من ثمانية عشر خريجا وخريجه .. وانطلق الباقون الى العمل في الفرق المسرحية الخاصة والى السعي بين دروب الاذاعة ودهاليزها .

مروان كان يقف — بنفسه — لاستقبال ضيوفه وقد وقفت بالقرب منه احدى محررات الصفحة الفنية لتقدم له أصحاب الأسماء الخمسة الشابة

الجديدة .. اما الباقون فهو يعرفهم جميعا ويعرفونه جميعا وكلهم اصدقاؤه ، اصدقاء عمر .

وعندما اقبلت ليلى .. كان بين اصبعيه — في يمناه — مبسم أنيق من الذهب الخالص تطل من نهايته سيجارة مشتعلة .. وكان المبسم طويلا بشكل لافت للنظر ..

كان مبسما انيقا رشيقا مبهرا لم تر ليلى نظيرا له من قبل .

نقل مروان المبسم من يمناه الى يسراه وقدم لها كفه المعطرة ، وتلميذته تقدمها له — الآنسة ليلى عبد الحكيم ، الاولى على خريجات وخريجي معهد التمثيل هذا العام ، وهي احدى المواهب الصاعدة بشكل ملحوظ .

صافحها مروان في لطف ورقة بالغين وهو يقول لها .

— مروان توفيق .. وانت شرفت بيتي بمجيئك وارجو ان تعتبريه بيتك فلا احد غريب هنا .. فكلهم وكلهن اساتذتك وبعض زملائك وزميلاتك .

وكان صادقا .

فلم تكد تخطو الى البهو الكبير حتى فوجئت بغالبية اعضاء الفرقة القومية وقد تناثروا في مجموعات صغيرة بين ارجاء البهو المبهر الذي لم تر له مثيلا الا في بعض قصص الفيلم الأمريكي الذي تجرى احداثه بين ابهاء القصور الملكية .

هنا رأت دولت وجورج ابيض وقد شاركهما جلستهما زميل وزميلة من زملاء وزميلات دفعتها .

وهناك التقطت عيناها استاذها زكي طليمات مع زميل من زملائها ومعهما احدى زميلات دفعتها .

وفي احد الاركان لمحت امينة رزق وفردوس حسن وقد انهمكتا في حديث يبدو انه استغرقهما تماما وقد انضم اليهما حسين رياض ومنسى فهمي مستمعين ..

وفي ركن ثالث كانت زوزو حمدى الحكيم وزوجها خالد وزوزو ماضي وقد انطلقت من صدورهن جميعا ضحكة طويلة على اثر عبارة اطلقها عباس فارس .

وركن ثالث ضم زينب صدقي واحمد علام وفؤاد فهيم وزميلة ثالثة من زملاء وزميلات دفعتها .

وركن رابع ، وخامس .. وسادس .. وعاشر .

كل اعضاء الفرقة تقريبا ما عدا المشتركين في المسرحية التي كانت تعرض في تلك الليلة على مسرح الاوبرا .

ودارت ليلى على الجميع وقد رحبوا بها من قلوبهم فهم احبوها من قلوبهم .. احبوها .. واحبوا منها نقاءها وبساطتها وصراحتها وموهبتها الفريدة وادبها العالي واحترامها الجميع بمثل ما تحترم عملها تماما .

صافحتهم فردا فردا وكل منهم ومنهن يحييها بعبارة باسمة الى ان وقفت امام زينب صدقي لتصافحها فقامت الممثلة الكبيرة لتقبلها وهي تقول :

— انا اعتبر هذا الحفل حفلك انت وحدك يا ليلى فانك اولى الخريجين والخريجات .. والمجموع الذي نجحت به لم يسبق لخريج قبلك ان حققه على مدى السنوات التي انقضت على انشاء معهد التمثيل وافتتاحه وحتى اليوم .

وانضمت الى مجموعة زينب صدقي التي اجلستها بجانبها .

ولم تمض دقائق حتى احس الجميع بحركة غير عادية .

وفجأة ظهر مروان مقبلا وبجانبه وزير المعارف ومن خلفهما كان مرافقوه — مرافقوا الوزير — يتبعـون وزيرهم والصحفي الكبير وقـد ضم كل منهم حافتي سترته فادخل كل زر من أزرارها عروته المقابلة له واصلح من عقد ربطة عنقه .

جميعهم — وكانوا نحو خمسة — من كبار المسئولين في وزارة المعارف عن شئون المسرح في مصر بصفـة عامة ، وعن معهد التمثيل بصفة خاصة ، وقدوجهت الدعـوة لهم باسمائهم ليكونوا في شرف صـحبة وزيرهم .

وقف الجميع لمقدم الوزير الذى صـافحهم فردا فردا .. وكان بطبيعة الحال يعرف النجوم القدامى باسمائهم فكان يحيي كلا منهم ويتهن بكلمة او ملاحظة عن مسرحيـة معينـة شاهدها او شاهده في احـد ادوارها .

وتقدم مروان الوجوه الاربعة الجديدة لوزيرهم الى ان جاء دور ليلى فقدمها للوزير بقوله :

— يسعدني كثيرا معالى الوزير ان اقـدم لمعاليكم الآنسة ليلى عبد الحكيم ، ترتيبها الاول .

وكان ترتيبها الأول على مدى سنوات الدراسـة الاربع ، وهى تتميز باسلوب نادر من اساليب الاداء والالقاء .. وانا شخصيا اتنبأ لهـا بالوصول الى مرتبة النجوم في خلال عامين لا اكثر .

مد الوزير يده يصافح ليلى ، فمدت كفها الصغيرة وصافحته وهى تنحنى تواضعا انحناءة بنات الراهبات او كما تسلك بنات القصور عند مصافحتهن اصحاب المقامات العالية ..

وكان اسلوبها هذا عند مصافحتها الوزير لافتـا

لنظر الجميع فقد كان شيئا لم يألفوه من قبل .. كان شيئا رقيقا جميلا مبهرا يغرى الجميع بان يخطفها كل منهم ليضمها الى قلبه فقد كانت على فتنة ورقة اكبر من أن تقاوما .. وقال لهـا الوزير بحنان أب .

— اهلا بك يا ابنتى .. وارجو لك ولكل زملائك وزميلاتك بمثل ما تنبأ لك الأستاذ مروان .

ثم الى الصحفي الكبير

— كلهم ابناؤك وبناتك يا اسـتاذ مروان .. والمسؤولية تكاد تكون مسئوليتك لكي تتبنى منهم ومنهن المواهب الحقيقية المبشرة .. وقلمك على صفحـات الشعاع كفيل بتمهيد الطريق امام كل من يستحق منهم الوصول .

ثم التفت الى ليلى وابتسامة الأب على وجهه .

— مبروك مرة اخرى يا ليلى وارجو ان اسمع عنك كل خير دائما .

اجابته بشجاعتها المفطورة وفي ادبها العالى .

— اشكر لمعالى الباشا تمنياته الطيبة ، وارجو ان اكون عند حسن ظن معاليه دائما .

* * *

بعد نحو ساعة ، انتقلوا جميعا الى قاعـة اكثر رحابة من البهو الذى كان يضمهم .. وكانت الموائد ممدودة يقف خلفها نحو عشرة شبان يرتدون ثياب السهرة المنشاة لخـدمة الضيوف وتقـدم الجميع وملؤوا صحافهم وارتدوا الى مقاعدهم حـول موائد صغيرة متناثرة في ارجاء القاعة .

ولاحت من ليلى التفاتة فلاحظت ان مروان كان يجلس وحده مع الوزير ، وان مرافقى الوزير قـد

تحلقوا مائدة أخرى وحدهم ، كما لاحظت أن الوزير يتبادل مع مروان حديثا يبدو أنه على جانب كبير من الأهميـــة .

بعد نحو ساعة ، استأذن الوزير فانصرف وصحبه معه ، وانطلق الزملاء والزميلات ضحكا وصخبا ورقصا وشرابا وأنسا ونوادر وحكايات لانهـــاية لهـــا .. وغنى عبد المطلب :

يا صاحب الأمر سلمتك فى الهوى أمرى

وعبد المطلب — كان — فى مطلع الاربعينيات اذا غنى أشجى واذا شدا أبكى ..

ورقصت تحية بثوبها الأنيق — فى لون كحل عينيها — فكانت أكثر فتنة وأشد سحرا مما لو رقصت نصف عارية بثوب الرقص التقليدى .

وكانت ليلى — فوق مقعدها الذى اختارته ملاصقا لمقعد زوزو حمدى الحكيم ، ترى وتسمع وتراقب فى صمت .

الحفل مبهر ، هذه حقيقة لا شك فيها .

مبهر وراق و « شيك » وجديد عليها .

أهناك صحفى فى مصر يعيش هذا الترف الأمثل !!

هو ترف أمثل وأصيل ومطبوع فى نفس صاحبه وهذه حقيقة لا شك فيها .. وهى قد سمعت كثيرا منه — عن مروان — عن حياته المترفة وعن رحلاته الطويلة فى كل عواصم الدنيا وعن نفوذه عند رجال الحكم وعن كفه « المثقوبة » وكرمه الذى يبلغ حد السفه وعن الحفلات التى يقيمها فى بيته ، هذا البيت المطل على النيل ، وهذا الحفل الذى تشهده الليلة ليس الا صورة مصغرة لما هو أكبر بكثير .

ولكنها لم تكن تتصور ما تراه وما سمعته كما

تراه — أو كما رأته — هذه الليلة الجميلة المؤنسة ، واستطاع أن ينفرد بهـــا لحظات عندما قام بعضهم وبعضهن فقامت معهم للوقوف أو للجلوس فى الشرفة الرحبة لمشاهدة النيل والقمر يريق فوق صفحته كنوزا لا حصر لها ولا نهاية من جنيهات الذهب . تغرق فى مائة ثم تطفو ثم تغرق لتطفو ، والحيـــاة والحركة بدأتا تخفان ، ليبطء ايقاعهما أمام فندق سميراميس المجاور للمسكن .

انفرد بها فى أحد أركان الشرفة وقال لها وبسمته الآسرة فوق وجهه :

— رجائى أن يكون هذا الاجتماع البسيط الصغير قد أعجبك .

رفعت اليه الجنتين الخضراوين — عينيهـــا — وشاعت بين قسمات وجهها الذى أضاء نور القمر جانبا منه وأجابته فى حيائها الفاتن الجميل .

— يا خبر !! أتسمى هذا اجتماعا ؟

— لا أحب أن أسميه حفـــلا لأنه ليس أكثر من اجتماع .

ابتسمت وهى تتم عبارته السابقة بألفاظها .

— بسيط .. وصغير .

— طبعا ، بسيط جدا وصغير جدا ، فلم يكن هناك من الوقت ما يكفى لكى أدعو لحفل بمعنى كلمة الحفل .. وكنت حريصا على سرعة تكريمك بمناسبة ظهور نتيجة امتحانك المشرفة .

ثم لحظة قصيرة أضاف بعدها

— الحقيقة أننى دعوت لهذا الاجتماع لتكريمك أنت شخصيا ، فأنت الأولى على الدفعة ، وكان طبيعيا — ذوقا أولا ، ثم واجبا وتقليدا وعرفا ثانيا — أن ينسحب

هـذا التكريم على من ضمتهم الفرقة القوميـــة الى عضويتها — الى جانبك — من الترتيب الثانى الى الخامس .

تضرجت وجنتاها .. واطرقت .. فانسدل شلال الليل الحرير فغطى جانبى وجهها فبدت كاحـدى اللوحات العريقة التى تزين المتاحف العالمية ، لوحات لا يمكن ان تقدر بمال .. وهمست فى حياء شديد .

— اشكر لك اهتمامك وكرمك الكبيرين يا استاذ مروان .

اخرج من جيبه علبـــة سجائره — من الذهب الخالص — وقدمها لتتناول منها سيجارة فاعتـذرت بلطفهـــا الهامس بانها لا تدخن .. فابتسم وهـو يقول :

— اسعدنى جدا اننى استطعت ان الحظ هـذا طوال الليل .. كما انك لا تشربين .

اسرعت تقول :

— عمرى .. واعتقد انه لن يكون .. لا هـذه ولا تلك .. اعنى لا السيجارة ولا الكاس .

وضع سيجارة بين شفتيه واشعلها وهو يقول :

— ارجو هذا .. وحسنا تفعلين

ثم اضاف بعد قليل يسالها .

— حقيقة .. هل سرك هذا الاجتماع ؟

اسرعت تقول كطفلة .

— جدا .. لاول مرة اسمع عبد المطلب من قرب فى هذا الموال الجميل المملوء بالشجن ، ولاول مرة ترقص تحية وبينى وبينها خطوة .. انها رائعة .. اناقتها اناقة برنسس .

اطلق من بين شفتيه دائرة صـــغيرة من دخان سيجارته وابتسم وهو يقول لهـا :

— فى المرة القادمة — وتستطيعين ان تسميها حفلا — تجاوزا — سادعو لك ام كلثوم .

وهتفت مبهورة كمن لا تستطيع أن تصدق .

— ام كلثوم !!

— وسارجوها ان تغنى من اجلك .. وام كلثوم كصديقة عمر لا ترد لى رجاء .

— ام كلثوم !! تغنى من اجلى انا !!

ابتسم وهو يقول كمن يعرف جيدا وقع حديثه فى نفس من يستمع اليه .

— المتفوقات جديرات بان يكرمهن الجميع ، ولو تدم عبد الوهاب موعد عودته من الخارج واصبح معنا فى القاهرة ، فسيكون فى مقدمة المدعوين ليغنى لك ايضـــا .

ضحكت رغما عنها

ضحكت كطفلة فوجئت بمـــا لم يكن يخطر بمجرد احلامهـــا ثم قالت — وضحكاتها الخافتـــة الحييه تتكسر بين شفتيها كقطع الماس البراق الشفيف .

— استاذ مروان .. على مهل حضرتك على لست قد كل هذا

— ولم لا ؟

— ام كلثوم وعبد الوهاب يغنيان لى شخصيا ؟

— الست متفوقة ؟

— كثيرات غيرى متفوقات

— زكى طليمات اخبرنى ان المجموع الذى حققته فى امتحان الدبلوم لم يسبق لخريج او خريجة ان حققه احدهما قبلك .

— وهل يستحق هذا ان تغنى لى ام كلثوم .. وان يغنى لى عبد الوهاب ؟

— سترين هذا بنفسك .. ام كلثوم حضورها مؤكد ان شاء الله ، كذلك عبد الوهاب اذا كانت عودته للقاهرة قبل موعد الحفل ، اما اذا كان لا يزال فى الخارج ، فسيكون هذا خارجا عن ارادتنا جميعا ، ومع ذلك ..

— مع ذلك ..

— يمكن ان نعقد له ملحقا ، اعنى عبد الوهاب .

قالها وهو يضحك فسألته مستفسرة

— اى ملحق ؟

— ان اقيم لك حفلا ثالثا بعد وصوله ليغنى لك ولنجاحك

ضحكت اكثر ..

ضحكت من قلبها بنفس نقية وقلب مفتوح ونظرة باسمة للحياة والمستقبل فهى تعيش اجمل ايام حياتها بعد وفاة والدها .. فهى تعبد امها بعد الله او تكاد وقالت له :

— استاذ مروان ... انت تمنحنى ثقة بنفسى لا حد لها وكما قلت لك منذ قليل اننى لست قد كل هذا .

نقل السيجارة من يمناه الى يسراه وهو يقول باسما .

— قدها وقدود كما يقول العامة .. واحب الآن يا ليلى ان اسالك عن نقطة تهمنى جدا

— تفضل

— هل انت سعيدة فى عملك ؟

اسعدها ان يشغله ويهمه امرها فاجابته من فورها .

— جدا والحمد لله

— زملاؤك وزميلاتك

— احبهم ويحبوننى

— هل تسند اليك الادوار التى تحبينها ؟ اعنى التى ترضيك ؟

— حضرتك تعلم اننى التحقت بالفرقة منذ نحو شهر .. اى اننى حديثة العهد بها ، ولست اظن اننى استطيع الفوز بالادوار الاولى وانا لم ازل على اول عتبات الطريق .. وانا لا يضايقنى هذا لانه طبيعة الامور .

نفض عن سيجارته رمادها وهو يقول فى هدوء وثقة لا حد لها .

— هذه مسالة يمكن ان تسوى بسهولة .. كل ما ارجوه منك ان تعطينى شهرين فوق هذا الشهر الذى انقضى على التحاقك بالعمل .. شهران ولا اكثر لمجرد استكمال الشكليات ، ويسند اليك بعدهما القيام بالادوار الاولى .

الفرحة فى عينيها صاحت بفرحة . انا الفرحة .. واحس هو بهذا فقد كان شيئا واضحا .. وسالته كمن لا تستطيع ان تصدق ما تسمع .

— استاذ مروان .. هل اقوم بالادوار الاولى بعد نحو ثلاثة اشهر من التحاقى بالفرقة ؟؟

استند بكتفه الى عمود من الرخام الاسود اللامع من اعمدة الشرفة الواسعة الرحبة .. واطفا سيجارته فى جفنة من البلور الثقيل مثبتة فوق حافة الشرفة وهو يسالها .

ـ الا تقومين . الآن بادوار ثانوية وان كان لها اهميتها في البناء المسرحي للرواية ككل ؟

ـ نعم

ـ ومن هنا .. ولمدة شهرين قادمين .. الن تسند اليك ادوار اخرى مماثلة ؟

ـ اسند الي فعلا ثلاثة ادوار في ثلاث مسرحيات جديدة بدأت بروفاتها .

ـ وقمت بدورين منذ التحاقك وحتى اليوم

ـ أراك متتبعا خطواتي .

ولم يعلق على اجابتها .. ولكنه استمر في حديثه .

ـ وانت بلا شك اديت كل هذه الادوار بنجاح كبير اشارت اليه كل الصحف الفنية الا الشعاع .

ابتسمت وهي تقول على استحياء شديد

ـ الشعاع صحيفتك

ـ برغم انني شاهدتك في الدورين اللذين قمت بهما، فانني طلبت من كل محرري الشعاع ان يرجئوا الكتابة عنك لانني فضلت ان اكون ـ بقلمي شخصيا وبتوقيعي .. اول من يكتب في الشعاع عن اولى خريجي وخريجات المعهد هذا العام .. ومن هنا تتقدمين الخطوة الكبرى الى الصف الاول بين من يقومون ويقمن بالادوار الاولى في ما يقدمه مسرح الدولة .

نظرت له نظرة تائهة حيرى كمن يحيرها اختيار ما تقول لانها لا تجد ما تقول ..

واخيرا ـ بعد لحظات صمت قصيرة سادتهما ـ دعاها للجلوس على مقعد قريب من مقاعد الشرفة ، وجلس على المقعد المجاور .. وكان بالقرب منهما فتوح فتوح نشاطي وسميره كمال ويحيى شاهين ..

وسمعها تقول في همسها الشهي

ـ استاذ مروان .. انني ـ حقيقة لا ادري ماذا اقول لك .

ابتسم في رقة بالغة وهو يقول

ـ لا تقولي شيئا

ـ بعد كل ما سمعت منك !!

ـ لم افعل شيئا بعد

ـ تكفيني النوايا التي احس بصدقها فهي ـ كما اعلم عن يقين ـ من قادر على الوفاء بها .

وبلهجة من تربطه بمحدثه صداقة أعوام قال لها .

ـ اسمعي يا ليلى

اجابته كتلميذه

ـ افندم

ـ اية متاعب تصادفك في عملك عامة وفي الفرقة بنوع خاص ، اية مشكلة ، اية ازمة ، اية مفاجاة . اى عارض . اى اى اى .. لا ترددي في الالتجاء لي فورا .. مكتبي تعرفينه بكل تاكيد ، مجلة الشعاع .

ـ طبعا اعرفه

ـ تسرعين الي في الحال .. وان لم تجديني في مكتبي .. اديري قرص التلفون برقم بيتي من مكتبي ايضا .. وساصدر امري الى سهير ـ سكرتيرتي ـ لتفتحه لك في اية لحظة شئت وكلميني فورا لاحدد لك اقرب دقيقة ـ ولا اقول ساعة ـ لاراك ولانهي لك كل مشكلاتك بمكالمة تليفونيـــة وانا في مكاني ، وساعطيك ، رقم الاتصال بي هنا ـ في بيتي ـ لان الرقم سري وغير مكتوب في دليل التلفون .

سبحت في الجنتين الخضراوين ـ عينيها ـ طبقة شفيفة من الدموع وهي تقول :

ـ استاذ مروان .. قد تكون حصيلتي من الفاظ

اللغة اقل بكثير من حصيلة حضرتك — وهذه حقيقة لا شك فيها — ولكنى لا اجد اكثر ولا اجمل من كلمة « العرفان » اعبر لك بها عن شكر يعجز عن الوفاء بشكرك لكل ما اوليتنى من رعاية ارجو ان اكون جديرة بهـا ..

ابتسم وهو يقول :

— لا تجعلى من الموقف بيننا مشهدا مسرحيا .

ثم اتسعت ابتسامته وهو يضيف بصوت اعلا .

وفى هذه الحال ، فانك — بكل تأكيد — ستتفوقين على فى ما لا استطيع ان اجاريك اياه ..

هزت راسها فى رقة بالغة واطرقت وهى تقول :

— مرة ثانية وثالثة ورابعـة وعاشرة والفا .. اشكر لك من كل قلبى يا استاذ مروان .

اشعل سيجارة ثانية وهو يقول :

— ما رايك لو كتبت مسرحية ارسم الدور الاول فيها خصيصا لك فلا تقوم به غيرك ؟؟

عادت الابتسامة تشرق فى وجهها وهى تقول بفرحة طفلة .

— صحيح ؟

اجابها كمن يؤكد ما لا يحتمل المناقشة

— طبعا صحيح

اتسعت ابتسامتها وهى تقول

— ليت هذا يكون

— وفيم التمنى ؟ سابدا فى مطلع الاسبوع القادم كتابة هذه المسرحية ، وقبل ان تنهى هذا الحديث وننضم الى اصدقائنا ، ارجو منك ان تكونى على اتصال دائم بى .

ثم كمن تذكر شيئا غاب من ذاكرته

— عندك تلفون فى البيت ؟

— بكل اسف

— يجب ان تسرعى بطلب تلفون

— سافعل

— التلفون فى البيت ضرورة لممثلة كبيرة تضع قدمها على عتبات الشهرة والذيوع والمجد .

— معك حق

— ولا تحملى هم اى شىء .. تقدمى بالطلب واعطنى رقمه المسلسل وتاريخ تقديمه واتركى الباقى لى .

ابتسمت ، وقد ادركت ما يعنيه ، ولم تجب باكثر من كلمتين .

— ساتقدم بالطلب

وانضما الى بقية المدعوين

وبدا عبد المطلب ينوح

حجبوكى عنى العوازل ليه يا نور العين

يا شاغله قلبى بحبك فين ودادك فين

وهتفت زينب صدقى من قلبها « الله » ثم التفتت الى تحية وقالت لها بدلال صديقة العمر على صديقة عمرها

— يا توحه يا حبيبتى .. نحن الليلة لسنا اصدقاء فلم تعاملينا كاصدقاء ؟ عاملينا كجمهور وحياتى على تلك الحنين يا نور عينى .

وابتسمت تحية وقد ادركت ماتعنيه الممثلة الكبيرة. وكانت قد استعدت لهذه اللحظة التى كانت تعرف — مسبقا — انها ستحاصر فيها حصارا لا فكاك لها منه ، فقامت واختفت فى احدى الحجرات دقائق ثم طلعت على الجميع فى هيئة عصفور من الجنة هبط

الأرض بمعجزة . عصفور يرتدى ثوبا ارجوازيا
هفهافا من أثواب الرقص ، يتضوع من حولها الأريج
المثير ، وكان الأريج فى مطلع الأربعينيات من أشهر
عطور العالم لاتتعطر به الا الملكات .. وكان يبدو
ان تحية قد أفرغت قارورة كاملة منه على أطراف
ثوبها وحواشيه فشاع فى المكان أريجه النفاذ يدير
الرؤوس .. وأشارت لزملائها وزميلاتها بالانتقال الى
القاعة الداخلية فانتقلوا جميعا اليها .

وصهلل عبد المطلب .

صهلل وراء عود الزنبق المتأود على أنغام التخت
وحتى الثالثة صباحا .. الصباح الجديد .

— ٤ —

فى الاسبوع بعد التالى لهذا الحفل ، ظهر العدد
الجديد من مجلة الشعاع وعلى صفحتى النصف
المتقابلتين مقال طويل بقلم مروان توفيق رئيس
التحرير ، المقال عن الممثلة الشابة الجديدة
ليلى عبد الحكيم ، الأولى على خريجى وخريجات
معهد التمثيل العالى هذا العام ، تزينه صورة نادرة
فريدة من صورها التقطت لها بعناية شديدة فى
ستوديو البان بتكليف خاص من مجلة الشعاع وبموعد
خاص حدد لليلى وأخطرت به قبل حلوله بيومين لتستعد
للوقوف أمام عدسة أشهر مصورى مصر وأكثرهم
تكلفة .

الصورة كانت نادرة وفريدة فعلا ، فالناظر اليها
يحسبها احدى ملكات الجمال فى الشمال البعيد بشعر
فى حلكة الليل .. والمقال كان أكثر من نادر وأكثر من
فريد ، فالقارىء يستشف لفوره من حرارته ان الكاتب
الصحفى الكبير الذى يحسب الجميع لقلمه الف
حساب ، قد كتبه باحساس خاص وانفعال خاص
وبصدق وايمان عميقين بالموهبة الشابة الجديدة التى
يقدمها لجموع المسرح بعد ان شاهدها فى دورين
صغيرين لايتناسبان ولايليقان بقدراتها الكبيرة ، وهو
يلتمس العذر للقائمين على شئون الفرقة القومية
عندما اسندوا لها مثل هذين الدورين الصغيرين غير
الرئيسين ، فهى برغم ان ترتيبها الأول على دفعتها
فان هذا لا ينفى انها ما تزال حديثة التخرج .. كان

— كما يقولون — يضرب ويلاقى .. فهو يلتمس العذر للقائمين على شئون الفرقة لأن الممثلة الجديدة لم تزل جديدة ، وهو الى جانب هذا لا يغفل ان يذكرهم بأن ترتيبها الأول .. وفى كلماته يشير الى انه ينتظر ان تنتقل من هذه الأدوار الصغيرة الى الأدوار الرئيسية بلا تدرج لا يرى موجبا له ... المقال كان مكتوبا بذكاء فـديد ؛ وباستاذية تعز على الكثيرين غيره من الكتاب.

وكان اطرف ماقاله عن ليلى : ان العلماء فى الدول المتقدمة يحلمون الآن بارسـال ما يسمونه بالاقمار الصناعية الى الفضاء وهو يتنبأ بأن قمرا طبيعيا وليس صناعيا — اسمه ليلى عبد الحكيم — سيسبق حتما علماء العالم ليقتحم الفضاء وبلا حاجة لأى صاروخ يحمله — او يحملها — غير مواهبها وقدراتها لتأخذ مدارها المرسـوم فى القرى العالية .

ولم يغفل الكاتب الكبير اراء نجوم الفرقة فى زميلتهم الصغيرة الجديدة ، فاورد ما قاله فيها كل من زكى طليمات وجورج ابيض واحمد عـلام وزينب صدقى وامينة رزق وفردوس حسن وفاطمة رشدى وزوزو حمدى وروحية خالد وغير اولئك وهؤلاء من كبار نجوم المسرح فى مصر .

هذا العدد من الشـعاع راحت تتلقفه الأيدى يوم ظهوره ، ليس بين افراد الفرقة القومية وحدهـا ؛ ولكن فى غرف واروقة ودهاليز كافة الفرق المسرحية الخاصة التى تعمل على مسارح القاهرة .. واصبح اسم ليلى — فى خلال سـاعات — على كل لسان .

ان اعـلان نتيجتها بترتيبها الأول على خـريجى وخريجات معهد التمثيل فى ذلك العام لم يعطها من الأهمية والاحساس باهتمام الدنيا بها كما اعطاها هـذا المقال

الساخن الذى كتبه عنها مروان توفيق .. فقلمه — كما يعلم الجميع — شحيح بمثل هـذه المقالات السخية الطويلة الشاملة الاعلى من يتوسم فيهم وفيهن — عن اقتناع كامل — سمات المواهب الأصيلة ليبشر بنجم يقترب من دائرة الضوء بقدمين ثابتتين .

* * *

فى الثانية عشرة تماما من ظهر ذلك اليوم — اى بعد ظهور عدد الشعاع بساعات — دعاها احد العاملين فى مسرح الأوبرا الى التليفون .. وعندما وضـعت السماعة على اذنها سمعت من يقـول لها ان نجيب الريحانى يرجوها ان تجد من وقتها بضع دقائق لتشرفه بالزيارة فى مكتبه بمسرحه بشارع عماد الدين ، ولما استفسرته السبب اجابها بأنه لا يدرى فهو ليس الا عامل الاتصال بادارة المسرح فوعدته بأن تمر بالأستاذ الريحانى فى تمام السـاعة الواحدة .. اى بعد سـاعة .

وبعد سـاعة .. كانت تجلس امام الريحانى .

فى مكتبه البسيط اسفل مسرحه الذى يحمل اسمه .. وببساطة شديدة ؛ وفى كلمات قصار عرض الريحانى عليها ان تنضم الى فرقته ، وقبل ان تهم بابداء رأيها ؛ استأذنها ليتم تفصيلات العرض الذى يعرضه عليها .. فسكتت لتستمع .

وفى ادبه العالى ورقته التى عرفها عنه كل من اتصل به ، قال الريحانى .

— ارجو ان تأذنى لى يا ابنتى ان اكون صادقا وامينا معك ، صدق وأمانة أب مع ابنته .

اجابته فى همس .

— شكرا يااستاذ ريحانى .. ولم يخالجنى الشك لحظة فى صدقك وامانتك .

— انا اعرف كم تتقاضين مرتبا من الفرقة القومية .. ولاحيلة لك ولاللمشرفين على الفرقة ، فهى كأية « مصلحة حكومية » محكومة بقوانين الحكومه وانظمة الحكومة ولوائح الحكومة وميزانية الحكومة ، وفى كل هـذا قتل لقدرات الفنان ومواهبه ودفعه على العطاء والابداع ، فالفلوس — وان لم تكن كل شىء فى حياة الانسان — الا اننا لانملك ان ننكر قيمتا فى حياة هذا الانسان ، وهذه واحدة .

والثانية ، اننى لعلى استعداد لان اوقع معك عقدا بمدته خمسة عشر عاما تتجدد من تلقاء نفسها الا اذا اخطرتنى انت برغبتك فى الغائه قبل انتهاء مدته بشهر

اما الثالثة ، فان مرتبك سيكون عند التحاقك بالعمل خمسون جنيها شهريا يزيد عشرة جنيهات كل سنة ، اى انك عند تمام الاعوام الخمسة عشرة . وهى مدة العقد .. يصبح مرتبك مائتا جنيه فى الشهر ، وهو مرتب اربعة من نجوم الفرقة القومية الحاليين .. اربعة من نجومها الكبار دون تحديد الاسماء .

مرت لحظة صمت قصيرة اضاف الريحانى بعدها .

— هذا كل ما اردت ان اقوله لك .. واستاذنك فى ان اترك لك اسبوعا اعرف منك قرارك فى نهايته .. وعندما تشرفيننى لتخطرينى بموافقتك ، ستجدين العقد معدا لتوقيعك .

واجهته بنظراتهـا الصريحة الصـادقة الواضحة واجابته .

— استاذ ريحانى .. اننى لا اجد الكلمة المناسبة التى استطيع ان اعبر بها لحضرتك عن عميق امتنانى

وعرفانى وشكرى لهذه الثقة الغالية ، وثق اننى كنت احب — بل اتمنى — ان احقق لك هذه الرغبة لانضم لاعضاء انجح واكبر واخف دم فرقة مسرحية فى مصر .. واؤكد لك اننى كنت احس دائما بالغـيرة من الممثلات الشابات الصغيرات امثال نجوى سالم وسعاد حسين وغيرهما عندما اشاهدهن على المسرح — قدما بقدم — الى جانب ميمى وزوزو شكيب ومارى منيب وسراج منير وحسن كامل وحسن فايق والقصرى واستيفان روستى وشرفنطح وغيرهم .. ان مجـرد ظهور ممثلة صغيرة او ناشئة على المسرح لتبادل واحدا او واحدة من هؤلاء العمالقة حوار مشهد من المشاهد ليملأها بالزهو .

ثم امسكت قليلا ، وقد اطرقت .. ثم عادت فرفعت اليه عينيها الصافيتين وهى تقول .

— معذرة لكل هذه المقدمة الطويلة ، ولكن ، كان لابد لى من اؤكد ما اعنيه منها بهذا الاسهاب ليتناسب مع احساسى بالخجل لاننى اجد نفسى مضطرة للاعتذار من عدم قبول هذا العرض الكريم .

وضحك الريحـانى ضحكته الخشنة التى اسرت الملايين وهو يقول :

— لو استمعت اليك خمس دقائق اخرى لتحولت الى ممثل تراجيدى من الطراز الاول .

ابتسمت وهى تقول فى همس :

— حقيقة يااستاذ ريحانى . حضرتك لا تتصور مدى احساسى بالخجل والاسف لعجزى عن تحقيق رغبة لاستاذ كبير من اساتذتى .

اضاف وقد اضاءت ابتسامته وجهه .

— ليتنى كنت من اساتذتك ياآنسه ليلى .. كنت (اهد) الدنيا بك وبادوارك التى اكتبها خصيصا لك .

ابتسمت وهى تحييه .

ــ حضرتك من اساتذتى بلا ادنى شك يا استاذ ريحانى .

ــ برغم انك مدرسة التراجيديا وانا من (كتاتيب) الكوميديا .

ضحكت من قلبها وهى تقول .

ــ نحن لانعرف البكاء الا من الضحك ، كما لانعرف الضحك الا من البكاء .. كالابيض والاسود .. او كالليل والنهار .

واستاذنت للانصراف فوقفت .. ووقف هو واقبل نحوها وقبل شعرها وهو يربت كتفها فى حنان اب وهو يقول لها .

ــ توكلى على الله يابنتى .. والله يحميك .. وانا اشكر لك هذه الشجاعة والصراحة النادرتين اذ صارحتنى برايك مباشرة دون تردد او امهال .

قالت كانها تقرر احدى البداهات .

ــ مادمت اعرف مسبقا ان مهلة الاسبوع التى تفضلت فمنحتنى اياها لاجيبك لن تغير رأيى .. فقيم اضاعتى وقتك ؟

ــ مرة اخرى .. الله يحميك ويحفظك وثقى ، ان مسرح الريحانى مفتوح لك فى اى يوم واى لحظة ليكون الجميع فى شرف استقبالك عضوا عزيزا غاليا ضمن اعضائه القدامى الكبار .

وودعها بكثير من التقدير والاعزاز حتى الباب الخارجى لمسرحه .

من امام هذا الباب ، استقلت احدى السيارات واتجهت الى دار الشعاع ..

استقبلتها سهير ــ مديرة مكتب مروان ــ بحفاوة

ملحوظة وسالتها على الفور .

ــ مقابلة الاستاذ مروان ؟

ابتسمت وهى تهمس فى رقتها البالغة .

ــ اذا سمحت ، واذا كان فى وقته ما يتسع لهذا ..

ثم بحياء شديد .

ــ انا ليلى عبد الحكيم .

رفعت سهير مسمعة التليفون الداخلى وهمست قائلة .

ــ الانسة ليلى عبد الحكيم .

ثم ردت المسمعة الى مكانها ونظرت الى ليلى وابتسامة ترحيب تملأ وجهها وهى تقول .

ــ تفضلى .

وقامت عن مقعدها خلف مكتبها .. ومشت الى جانب الشيقة العزيزة حتى الباب المفضى الى غرفة الصحفى الكبير فدفعته ــ تفتحه ــ بلطف وهى تدعوها للدخول .

ــ تفضلى يا .. تقدم .

ودخلت ليلى .. وارتد الباب خلفها تلقائيا .. وخطت متقدمة نحو المكتب القائم فى الجانب الايمن من الحجرة الرطبة يحجبه عن الداخلين ساتر من البللور الاسود الصقيل النادر المزين بمشغولات متمنمة محفورة على سطحه بالوان مختلفة تشكل رسوما متكاملة ..

الساتر كان تحفة ينفق الفنان الذى يقوم بحفرها سنوات من عمره قبل ان ينتهى منها ..

كان واقفا ، بعيدا عن مكتبه لاستقبالها ، كان هذا اسلوبه عند استقباله ضيوفه ، ان يستقبلهم واقفا ، حتى لا يقف لاحد عند دخوله .

تقدم منها وعلى وجهه ابتسامة ترحيب شديد ومد يده مصافحا .

— اهلا .. هذه اجمل مفاجأه .
صافحت كفه الممدودة وهى تقول .
— كنت اتمنى لو استطعت الحضور اليك منذ قرات مقالك الكبير عنى فى التاسعة من صباح اليوم ولكنى — اولا — كنت واثقة من انك لاتزال فى البيت ، وثانيا ، كان موعد البروفة مع الاستاذ فتوح فى العاشرة صباحا .
وكانت كفها لاتزال بين اصابعه ، فقربها بلطف شديد من احد المقعدين الكبيرين الموضوعين امام مكتبه فاجلسها على احدهما وجلس هو على الآخر وهو يقول .
— ارجو ان اكون قد وفقت فى ان افيك حقك فيما كتبت ، وبالتالى ان يكون قد اعجبك .
صاحت كطفلة .
— يا خبر !! انسمى هذا مقالا ؟ انه حفل تكريم ثان تقيمه لى ، الاول اقمته فى دارك « وهذا هو الثانى على صفحات الشعاع وهو لايقل روعة واثرا عن الحفل الاول » انه تخليد لى .
ربت ركبتها العارية اللامعة الملساء باطراف اصابعه بلطف شديد وهو يقول .
— انك تبالغين يا ليلى ، فلا تكريم هناك ولا تخليد ، فانا لم افعل شيئا بعد .
— اكثر من هذا ؟
— صبرك وسترين .
— حضرتك لاتعرف من طلب ان يرانى اليوم وذهبت لمقابلته ؛ ومقالك فى الشعاع هو السبب بطبيعة الحال .
وقصت عليه ما جرى بينها وبين نجيب الريحانى كلمة بكلمة ثم سالته فى النهاية .
— الم احسن القرار باعتذارى من عدم القبول ؟

اجابها مؤيدا .
— بكل تاكيد ، فالمسرح الهازل ينظر له دائما على انه مسرح الدرجة الثانية وان كانت ايراداته — هنا فى مصر — تفوق ايرادات المسرح الجاد .
— لهذا اعتذرت .
— ولن تمضى اعوام قلائل حتى تسند لك الادوار الاولى .
سالته بلهفة .
— اتتوقع لى هذا يا استاذ مروان ؟
اجابها بهدوئه الواثق الذى عرف عنه دائما .
— انى اتكلم عن مستقبلك كما اتكلم عن سواد العدد القادم من الشعاع .
— الى هذا الحد ؟
— ثم لاتنسى العمل السينمائى .
وكمن تذكر شيئا كان غافلا عنه اسرع يقول .
— بالمناسبة — وقد كدت انسى — احمد بدرخان اتصل بى اليوم بعد ان اطلع على الشعاع فسالنى عنك فاعطيته كل معلوماتى — وان كانت قليلة — ولكنى اعتقد ان فيها مايكفيه لأن الغاية من استفساره كانت تتعلق بك كممثلة وكشخصية ،واعتقد اننى استطيع ان افيك حقك اذا تحدثت عن هذا الجانب من شخصيتك .
ابتسمت بحياء شديد وهى تقول .
— ان ماكتبته عنى اليوم لم يسبق لكاتب ان كتبه عن ممثل او ممثلة وانا لاادرى كيف اعبر لك عن ....
ولم يدعها تتم عبارتها فاستوقفها باشارة لطيفة من كفه وهو يقول .
— دعينا من هذا لنتكلم فى المهم .

*

— تفضل .
— فى كم فيلم سينمائى ظهرت حتى اليوم ؟
— اربعة .
— وطبيعة الادوار التى قمت بها ؟
— الادوار الثانية .
— اعتقد ان بدرخان فى حاجة لمن تقوم بدور مماثل لما قمت به من هذه الادوار .. هو يريد شابة جميلة متفتحة بدرية .. شبك .. تحسن الاداء والاشارة والايماءة والحركة ، ومن هنا اتصل بى بمجرد ان رأى صورتك فى الشعاع .

قالت ، ترد تحيته الرقيقة بابتسامة .

— اسبك على المقال هو الذى شجعه على قراءته والاتصال بك وليست صورتى يا استاذ مروان .
— المهم ، مارايك ؟ لانه سيتصل بك .

مرت لحظة صمت قصيرة طالت اكثر مما كان يتوقع فعاد يسالها .

— مارايك يا ليلى ؟ ولم سكت ؟

اطلعته فى هدوء شديد ، وبتواضع اشد ، على رايها الذى سبق ان اتخذته قرارا .. الا تظهر على شاشة السينما الا فى الادوار الاولى بعد ان اعترف المنتجون والمخرجون بنجاحها الذى لم يختلف عليه اثنان .

ثم لحظة صمت اخرى اضافت بعدها فى خجل مفرط واحساس بالغ بالحرج الشديد .

— استاذ مروان صدقنى — واقسم لك اننى فى شدة الخجل من حضرتك ومن نفسى اذ ارفض فرصة اعلم ان عشرات غيرى ممن هن فى مثل سنى يتمنينها ويتمسكن بها . ولكنى — وكما شرحت لوالدتى — اننى

ان لم اغير من نفسى واتمسك بالادوار الاولى التى احس اننى ساقوم بادائها بمثل القدرة والاجادة التى تؤديها بهما من سبقتنى الى العمل بسنوات ، فلن افلت من قبضة الادوار الثانية فى يوم من الايام .. وهذا ما لن انساق اليه قط .. واكرم لى — ما دمت ساصبح كما قلت حضرتك الآن — من بطلات المسرح بعد سنوات قلائل ، اكرم لى ان اعيش للمسرح فقط، فالمسرح هو بيتى وهو اسرتى وهو هوايتى واحترامى جميعا .. ولقد ضحيت بالدراسة الجامعية لاكون ممثلة مسرح واقسم لك ان العمل بالسينما لم يكن فى تقديرى قط يوم قررت الالتحاق بمعهد التمثيل .

كان ينظر اليها وهى تتحدث فى هدوئها الجميل .. وكان يستمع اليها ، وصوتها الذى ينساب الى الروح كما ينساب شذى العطر الساحر الجميل ، ولم يكن يريد ان تمسك ابدا عن استرسالها .. ولكنها — فجاة — امسكت ، فقد انهت ما كان عندها لتقوله .. فسالها بعينيه :

— وماذا ايضا يا ليلى ؟

همست همس الفراش

— وبس ..

والكلمة على قصرها تساقطت من بين شفتيها كقطعة السكر .

شاعت فى وجهه ابتسامة .. وغلبته الكلمة نفرت من بين شفتيه دون أن يدرى وفى رقة بالغة .

— يا حلاوتك

سالته فى براءة طفلة

— هل اخطات ؟ ارجو الا تعتبر اعتذارى غرورا . او .. او بطرا كما يقولون .. وانا لا احب استعمال

هذه الكلمة ، ولست أدرى لماذا .

أجابها مؤيدا وجهة نظرها

— على العكس يا ليلى .. فأنا أحب من يعرفون أقدارهم وأقدار أنفسهم وأنفسهن .. ومنطقك سليم .. ولو أنك التصقت بهذه الأدوار الثانية ، لالتصقت به أكثر .. ولن تكون أمامك الفرصة لتقفزى الى الأدوار الأولى .

تنفست براحة وهى تقول :

— الحمد لله على أن حضرتك من رأيى .. وكنت أحسب لاختلافنا على هذا الأمر ألف حساب .

بعد لحظة صمت ، سمعته يقول كمن يوازى أو يقارن بين أمرين يحيرانه .

— صحيح أن السينما — ولو فى أدوارها الثانية — تتيح لك فلوسا أكثر .. ولكن ..

وأمسك .. ولكنها التقطت منه طرف الخيط لتقول :

— أنا لا تهمنى الفلوس الا فى حدود ضرورات الحياة الكريمة وهى متوفرة والحمد لله ..

قبض بكفيه على مسندى مقعده الذى يجلس عليه حتى يرد نفسه عن أن يقف ليحتويها بين ذراعيه ... ليضمها الى قلبه — ليخبئها فى صدره ... داخل صدره ؛ لتكون له قلبا ثانيا يمد فى عمره ، أو رئة ثالثة تمنحه من الهواء أضعاف ما تمنحه رئتاه اللتان خلقه الله بهما كما خلق بقية البشر .. انه يعرف مرتبها من الفرقة القومية ، فهو لا يتجاوز التسعة جنيهات ولا يدرى ما يخصم منها من ضرائب ، وهى مهما عملت فى تمثيليات الاذاعة فلن تحقق أكثر من عشرين أو ثلاثين جنيها

كل شهر وهو رقم لا تحققه فتاة غيرها بحال ..

وهو سيفترض أن مجموع ما يصل يدها صافيا كل شهر ، قد يصل أربعين جنيها .. فماذا تعمل أربعون جنيها لفتاة فى شبابها وجمالها وضروراتها — بقياسه هو طبعا — من ملبس وزينة ومظهر بوصفها ممثلة مرموقة — أنها — ستصبح مرموقة — بأسرع مما تتصور هى نفسها .. كل هذا الى جانب نفقات تنقلاتها ، وهى تسكن حى الروضة البعيد عن مقر عملها وهى لا تستطيع أن تقطع هذه المسافة الطويلة على قدميها .. ومثلها لا يجوز لها أن تستعمل الوسائل العامة للانتقال لتحشر فى طلائع هذا المد المخيف من زحام البشر الذى بدأت بوادره تزحف الى القاهرة من منتصف الأربعينيات لتعرض بجمالها وشبابها وحسنها لسفالات الركاب التى لا ترحم أية فتاة أو سيدة يوقعها قدرها التعس بينهم فى أية حافلة(١) .

ماذا تصنع فتاة مثل ليلى بأربعين جنيها كل شهر ، وهى بلا أدنى شك — تحمل الكثير — ان لم يكن كل المسئولية نحو والدتها . ومهما كان معاش هذه الوالدة عن زوجها فلن يكون الا شريحة هشة رقيقة ضمن تكاليف حياتهما وحاجاتهما معا ؟ ماذا تصنع أربعون جنيها لبيت مفتوح ؟ أليس — على أية حال — بيتا مفتوحا ولو على فردين ؟ هى وأمها ؟ انه ينقد سائق سيارته ثلاثين جنيها — مرتبا — كل شهر .. وسائقه فرد أعزب لا يعول أحدا ولا يتحمل قرشا لطعامه كما أنه يلبس من ملابسه هو ما لا يلبسه

(١) الحافلة هى سيارة الأتوبيس .

موظف كبير من موظفي الدولة .. وكان المعروف عن
مروان انه من اكثر رجال مصر اناقة وذوقا « وتزاكة »
وابهة وما يخلعه على سائقه — باستمرار — من
بذلاته واحذيته واقمصته واربطة عنقه ، كان يظهره
دائما بمظهر بعض من يحملون الرتب العالية .

عاد ينظر اليها وقد طوحت به هذه الافكار الى بعيد
بعيد ، ولكنه افاق على همسها وهي تسأله وابتسامة
تطل على وجهها .

— استاذ مروان .. انك شردت بعيدا فالى اين ..
اعني اين كنت ؟ وفيم تفكر ؟

ابتسم وهو يقول :

— ابدا .. ولا شيء

ثم قام من مقعده ، وفتح احد ادراج مكتبه واخرج
منه علبة فاخرة متوسطة الحجم مستطيلة الشكل
تزينها نمنمات رسوم متداخلة .. ثم عاد الى مقعده
ثانية وقدم لها العلبة وهو يقول :

— زجاجة العطر هذه ظلت فى درج مكتبى هذا
شهورا . انه اجمل وارق ما انتجته مدام روشا ،
ولهذا اطلقت اسمها عليه تكريما له .. مدام روشا ..

ومع ابتسامة اكبر

— الى ليلى ، هدية صغيرة بسيطة متواضعة ،
تحية لنجمة مصر المقبلة ..

وعندما همت بمقاطعته اسرع يقول لها :

— ارجوك .. لا تحاولى تعكير هذه اللحظة التى
اعتبرها اصفى لحظات حياتى

— استاذ مروان .. هذا كثير ..

تناول حقيبة يدها ، وكانت على مقعد قريب منها
وهو يقول :

— هل استطيع ان ارجوك مكرمة ؟

— استاذ مروان .. انت تأمر ..

— بل هو رجاء ، فلم يخلق بعد من يصدر لك
امرا

ثم وهو يبتسم

— الا المخرج الذى يوجه لك تعليماته على المسرح
اثناء تجهيزكم احدى المسرحيات للعرض على
الجماهير

ابتسمت وهي تقول

— اشكر لك كل هذه الرقة البالغة يا استاذ
مروان .. تفضل بذكر ما كنت بسبيلك لتقوله :

— انت — بكل تاكيد — تعرفين محل ايرين فى
شارع محمد فريد .

قالت ببساطة

— طبعا اعرفه

— وبلا شك تعرفين محل الهام فى شارع قصر
النيل ، انها الهام حسين التى ظهرت اول ما ظهرت
على شاشة السينما مع عبد الوهاب فى فيلم
يوم سعيد .

— وكانت رائعة فى دورها ، طبعا اعرف محل
الهام .

— وطبعا تعرفين محل « لا جراند دموازيل » فى
اول ابتداء النصف الثانى من شارع قصر النيل ..
امام الباب الجانبى لجروبى .

— كذلك اعرفه

رق صوته اكثر وهو يقول كمن يتحدث الى اخت
صغيرة يحبها او ابنة اخت يدللها .

— ارجوك .. ارجوك .. لو سمحت بزيارة

سريعة اليوم لهذه المحال الثلاثة لتختارى منها اجمل ما فيها مما يناسبك — ان ايرين والهلم واليزابيث تسلمن هذا الاسبوع مجموعات نادرة من اعرق بيوت الازياء فى فرنسا .. بيير بالمان وجان باتو وسكاباريللى وماجى روف وكارفن ولانفان وغيرهم وغيرهم من اثواب واحذية وحقائب يد وعطور وادوات زينة الى آخر هذه الاشياء الجميلة التى لا آخر لها .

ابتسمت رغما عنها ابتسامة الحائرة وهى تقول :

— لست افهم شيئا يا استاذ مروان .

واجهها بنظرة صريحة كمن يعتب على محدثه قصوره عن ادراك بداهة من البداهات .

— المسالة ابسط من ان تحتاج شرحا يا ليلى .. انت الآن على ابواب عالم ضخم من النجاح والشهرة والمجد ، طرقتها جميعا — هذه الابواب — بجهدك ومثابرتك واصرارك وقدراتك الفذة فانفتحت لك .. وانت بحاجة لبعض الوسائل التى تعتبر ضرورات لن اصبحت تدق — فعلا — ابواب هذا العالم الجديد ولن تلبث أن تفتحه .. فارجوك .. ارجوك .. ارجوك .. لانى اعتبر نفسى — تجاوزا — ضمن من يجب ان يحملوا مسئولية هذه الموهبة الصاعدة فارجوك أن تتناولى الامور ببساطة اكثر وان تتفضلى مشكورة بالمرور بايرين والهلم واليزابيث لتختارى من عند الثلاث ما ترين انك بحاجة اليه من الاثواب .. اختارى لك عشرين ثوبا .. ثلاثين . .اربعين .. مائة .. اى رقم .. ولا تدعى الحيرة تغلبك فى ايها تختارين وايها تتركين .. يعنى .. يعنى مثلا .. اذا اعجبتك عشرة اثواب او عشرين من محل واحد ، فخذى العشرين او الثلاثين بلا تردد .. اذا كان

عددها اكثر فلا ترددى وخذيها .. ومثلها من المتجرين الآخرين ما دمت قد وجدت ما اعجبك .

بهتت !!

بهتت فهتفت وقد غص صوتها

— استاذ مروان ..

لم يلتفت لمقاطعتها فراح يتم حديثه

— لكل ثوب — طبعا — حذاؤه الخاص وحقيبته الخاصة وقفازه الخاص وحزامه الذى قد يزيده جمالا اذا احطت به مكان الخصر منك ، فاختارى ما شئت من الاحذية والاحزمة والقفازات وحقائب اليد والاوشحة ، خذى كل هذا « اكسوارا » لما تختارين من اثواب . ثم لا تنسى عطورك وادوات زينتك .. سيعرضن عليك كل ما فى باريس فقد وصلتهن مجموعات ضخمة انفردن بالحصول عليها — بطرقهن الخاصة — دون كل متاجر القاهرة .

ضحكت ..

ضحكت من قلبها .. والضحكات كانت تبعثر الكلمات على شفتيها حبات لؤلؤ وهى تقول :

— استاذ مروان .. ما هذا كله !!

مرة اخرى لم يأبه لمقاطعتها فاستأنف حديثه كان لم تقل شيئا .

— واسمك هو السؤال الوحيد الذى سيسألنك اياه — وما عليك بعد ان تختارى كل حاجاتك الا ان تنصرفى بسلام ، وستجدين كل ما وقع عليه اختيارك قد سبقك الى البيت فى صناديقه ، ستتركين لكل منهن عنوانك بطبيعة الحال .

امسكت فسكتت فقد كانت لا تدرى ماذا تقول الى ان قال هو :

— ليلى .. استمعى لى جيدا يا حبيبتى ... لقد علمت منك انك رسمت لنفسك سياسة جديدة فيما يتعلق بعملك المرتقب القريب فى افلام السينما باذن الله .. هذه السياسة الجديدة تقوم على اعتذارك من قبول غير ادوار البطولة الرئيسية .

اجابته فى همس :

— هذا صحيح

— فى هذه الحال ، ستكونين بحاجة ملحة — ومستمرة — لعديد من الأثواب لا نهاية له ، هذا للصباح وهذا للظهيرة ، وهذا كوكتيل وهذه تواليت وهذا للسهرة .. وهذا للشاطىء وهذا وذاك ، وذاك وهذا ..

ثم وضع كفه فوق جبينه وهو يقول :

— يا .. ... ا شىء لا نهاية له يا ليلى .. واذا بك تفاجئين بان اجرك الذى تقاضيته مقابل قيامك بتمثيل دورك فى الفيلم . لن يفى مطلقا بثمن احتياجاتك من الملابس التى ستظهرين بها فوق الشاشة ، وربما احتجت لاكثر من هذا الأجر ، ومن هنا اتصلت صباح اليوم بالهلم وايرين واليزابيث وانهيت لك معهن اللازم لتاخذى كل ما يقع عليه اختيارك من عندهن .

ثم بعد لحظة صمت ، وبلهجة من يرعى نبتة صغيرة يعرف عن يقين انها ستغمر الدنيا بعد سنوات بخيرها وشرها .

— على المنتجين والمخرجين أن يعرفوا انهم — الذين — بحاجة اليك ولست التى بحاجة اليهم ، او فى القليل أن حاجتهم اليك اكثر بكثير من حاجتك اليهم .

ثم دق طرف ركبتها باطراف اصابعه برفق شديد وهو يقول :

— اتفقنا ؟ ستمرين بالمحال الثلاثة اليوم .

سالته فى همسها الذى اعتاده

— اليس هذا اكثر من الكثير يا استاذ مروان ؟

هز راسه كمن لم يعتد ان يراجعه احد فيما يقول او يقترح .

— ارجو الا تعودى لمثل هذا القول

اطرقت وهى تقول :

— حاضر

— السنا اصدقاء ؟

— طبعا

— انك تعتبريننى صديقا . كما اعتقد .. اليس كذلك ؟

— اعتبرك صديقا كبيرا يا استاذ مروان .

— نفس ما احسه نحوك يا ليلى فاننى اعتبرك صديقة كبيرة كبيرة برغم حداثة عهدنا معا بهذه الصداقة ولا يجوز أن يكون بين الأصدقاء الكبار مثل هذه الحساسيات فى المسائل المادية التى لا قيمة لها .

اطرقت .. ونظرا لها طويلا دون أن تدرى انه ينظر اليها او يتاملها الى ان نبهها من سهومها وهو وهو يسالها مداعبا .

— ما رايك فى أن اقبل دعوتك لى على الغداء اليوم؟ الساعة الآن جاوزت الثانية بقليل ولا شك فى انك جعت .. ما رايك فى الارميتاج او سافيل او شبرد اذا كنت تفضلين مكانا اكثر هدوءا ؟

اجابته بصوت متكسر

— ماما تنتظرنى ، واعرف انها لن تقرب الطعام

الا ق وجودى وانا امامها على مائدتنا الصغيرة .

ولم يلح ، ابتسم وهو يقول :

ــ انا احب البنت التى تحب امها وتقدسها الى هذا الحد فلا يطاوعها قلبها على ان تتركها تنتظرها وهى تعلم انها لن تقرب الطعام الا عند عودتها .

اطرقت وهى تقول :

ــ ماما ليست ككل الأمهات ، وهى لى صديقة اكثر منها اما وقد ترملت وهى ق اجمــل سنوات العمر .. واعلم انها ، رفضت ــ من اجلى ــ كثيرين تقدموا لهــا .

سالها بصوت باسم

ــ لا شك عندى ق انها على درجـــة عالية من الجمال .

وكمن اســعدتها تحيتـــه لامها ، اجابته تؤكد ما يقول :

ــ جدا يا استاذ مروان .. ماما اتمت التاسعة والثلاثين منذ اسابيع وهى آية من آيات الجمــال حقيقة .

ــ تشبهك ؟

امالت راسها يمينا وهى تبتسم ابتسامة قطة البنة جميلة وهى تقول :

ــ كيف تكون جميلة وهى تشبهنى ؟ او بكلمات اخرى ، كيف تشبهنى وتكون جميلة ؟

ربت كتفها بلطف شديد وهو يقول :

ــ هذا اجمل ما فيك يا ليلى ؟

ــ ما هو ؟

ــ انك ــ برغم جمالك ــ فانك تتصرفين وتتنقلين وتتحركين ــ بل وتتحدثين ــ كمن لا تشعر بجمالها

او كما لو كانت فتاة عادية لم تتل من الجمال الا اقله .

اطرقت حياء وهى تقول بصوتها الخفيض المهذب .

ــ اشكر لك هذه التحية يا استاذ مروان .

اسقط بقايا سيجارته من المبسم الذهب ق الجفنــة البللور فوق مكتبه وقال لهــا .

ــ لا احب ان اؤخرك اكثر من هذا حتى لا يطول انتظار والدتك .. واشكر لك هذه الزيارة الجميلة المفاجئة .. واجمل ما فيها انها مفاجئة وعلى غير موعد .

ــ بل اننى كنت احس من هذا بحرج شديد .

ــ انت تحضرين بلا موعد يا ليلى .. ســواء الى المكتب او الى البيت اذا اقتضت الضـــرورة وتجدينني ــ دائمــا ــ مرحبا ســعيدا ق شرف استقبالك .

ــ شكرا يا استاذ مروان .

ــ هل تقدمت بطلب تلفون ؟

ــ تقدمت .

ــ اعطنى الايصال الذى يحمل تاريخ التقـــديم والرقم المسلسل .

وكمن تعتذر عن خطا غير مقصود

ــ يا خبر .. لقد تركته ق البيت

ولم تكن تقرر الحقيقة ، فالايصال كان ق حقيبــة يدها ، ولكنها لم تشأ ان تقدمه له لانها احست انه سيوصى بصاحبته والى هنا لا باس .. ولكنها كانت تعلم عن يقين انه سيسدد منها رسم الاشتراك وبقية النفقات المطلوبة ، وقــد كانت حريصة على ان تناى بنفسها عن هذا الوضع دون ان تجرحه او تتسبب له

في الاحساس بالحرج .. وسمعته يرجوها في لطف بالغ .

— ارجوك ان تحضريه لي في اول فرصة

— ان شاء الله .

— سيارتي امام باب الدار

— لاحظت هذا وانا قادمة اليك

— سارسل معك سمير او من تقوم مقامها لتكون في صحبتك ليحملك السائق حتى البيت ثم يعود بها .

اسرعت تقول في رجاء

— ارجوك يا استاذ مروان .. لا داعي لهذا ابدا

— سيارتي موجودة .. وللدار نحو ست سيارات .. وتشتغلين في تاكسي !!

ابتسمت وهي تقول وقد ارادت ان تبسط المسألة لتجعلها شبه دعابة .

— صف من سيارات التاكسي يقف في شرف استقبالي امام باب الشعاع وساستغل الواقفة في مقدمة هذا الصف لكي امنح سائقها هذا الشرف العظيم .. وفي سبع دقائق اكون في البيت ان شاء الله .

ولم يلح

احس انه امام فتاة من نوع جديد غريب غير مالوف .

هذه البنت — بنت العشرين — لم تتمها بعد

واحست انها آلمته باعتذارها ، ربما ، فقالت :

— ارجو الا اكون قد ضايقتك باعتذاري فالمسافة بين الشعاع وبيتي لا تستحق .. ولكني

استبقي سيارتك او احدى سيارات الشعاع لمهمة اكبر .

ووقفت ، فوقف وهو يقول وقد ابتسم راضيا

— لا شك في هذا عندي ، ويوم تحسين بحاجتك بصفة مستمرة لسيارة تقودينها بنفسك ما عليك — وبدون ان تخطريني — الا ان تختاري السيارة التي تعجبك عند اي توكيل من توكيلات السيارات في القاهرة لتركبيها وانت داخل صالة العرض ثم ....

وتوقف ليسألها :

— اتقودين ؟

ابتسمت وهي تقول

— بكل اسف

استأنف حديثه الذي قطعه ليقول

— لا تهم القيادة الآن .. ولكن كل ما قد تحتاجه العملية من اولها لآخرها ان يطلبني مدير التوكيل الذي ستختارين سيارتك من معرضه وانت جالسة في مكتبه ، ثم يقودها لك احد العاملين من هناك — وانت معه — الى بيتك .. بعد ذلك — لن يستغرق تعلمك القيادة اكثر من اسبوع .

ثم بعد لحظة صمت

— تستطيعين — من اليوم — المرور بتوكيلات بويك او مرسيدس او بونتياك اوغيرها لتختاري السيارة التي تعجبك .

في هذه اللحظة دق باب المكتب .. ودخل احد القائمين على الخدمة يحمل صينية من الفضة عليها كوبتان من عصير البرتقال وقدحان يتضوع منهما عطر البن الفاخر .. وضعها على الطاولة الصغيرة التي

تفصل بين المقعدين الكبيرين أمام المكتب وهو يقول لسيده :

— معذرة يا سعادة البك لهذا التأخير ، فالتيار الكهربى كان مقطوعا ومن هنا كانت الثلاجة معطلة ولم يكن من اللائق ان اقدم عصير البرتقال على غير ما يجب ان يكون .

سحبها من أصابعها بلطف ليجلسها على مقعدها ثانية وهو يقول للعامل بلطفه المعهود .

— صحيح .. تأخرت علينا كثيرا يا مرسى .. ولكن لا بأس .

ثم الى ليلى مبتسما

— هذه فرصة لتبقى معنا دقائق اخرى

وخرج العامل — وقدم لها مروان كوب البرتقال التى امامها وصوته يبتسم وهو يقول :

— نخب أول زيارة تشرفين بها الشعاع

ثم بعد لحظة صمت — وقد رشف كل منهما رشفة من عصير البرتقال

— اتفقنا يا ليلى ! كل رجائى ان تتفضلى — اليوم او غدا — بعمل جولة سريعة على معارض السيارات لتختارى السيارة التى تعجبك من ايها

غالبت ضحكاتها وهى تقول

— استاذ مروان .. استاذ مروان .. رفقا بى يا استاذ مروان فلست قد كل هذا ..

ابتسم ابتسامة المجرب المحنك الذى عاش ويعيش حياته طولا وعرضا فسافر وشاهد وقرا واحتك وعاشر وقابل الملوك وجالس الملكات — ملكات العروش وملكات الجمال وانفق كما ينفق اصحاب

الملايين فعاش حياة عريضة عرض البحار .. قال وابتسامته المطمئنة معلقة بشفتيه .

— أنت — كما قلت لك من قبل — تدها وتدود كما يقول العامة ، وانا اقدر كل ما يدور برأسك الجميل هذا من المحاذير المتعلقة بكلام الناس ونظراتهم وتعليقاتهم واشاعاتهم وسفالاتهم ، وهذه كلها مواليد شرعية — وحتمية — لمشاعر الحقد والحسد .. وانا اعذرك .

ثم بعد لحظة صمت

— لا شك عندك طبعا فى انك موضع حقد وحسد الكثيرات

اجابته بحيرة

— والله .. لا ادرى يا استاذ مروان .. ولكنى — من ناحيتى — احب الجميع واتمنى الخير والنجاح للجميع .

وكان مروان قد اكتفى برشفتين من عصير البرتقال، فابتسم وهو يقول كمن يخاطب طفلة :

— البنات الصغيرات — طبعا — لا يحببن القهوة وهن لهذا لا يشربنها

ابتسمت حياء وهى تقول :

— انا بنت صغيرة ! انى اتم العشرين بعد شهور

— بهذه المناسبة .. ما هو تاريخ مولدك

امسكت .. ثم ابتسمت واجابته

— لنتركه الى ان يحين

— تعدينني بأن اعرفه لاكون أول من يقول لك صباح يومه — كل سنة وانت طيبة !

اجابته فى همسها المألوف
ــ ان شاء الله
وقفت .. توقف .. وافسح لهـا الطريق وتبعها حتى باب مكتبه ثم تقدم ففتحه لهـا .. واستقبلتها سهير ، ودون ان تلحظ ليلى ، اشار لمديرة مكتبه اشارة خاصة فسارت مع الضيفة الغالية حتى باب دار الشماع المفضى الى الطريق .. وظللت الى جانبها الى ان استدعى بواب الدار احدى السيارات الواقفة ولم تتركها الا بعد ان تحركت بها السيارة متجهة بها الى بيتها فى الروضة .

ــ ٥ ــ

بعد اقل من اسبوع دعاها تلفون دار الأوبرا وكان المتحدث مروان ..
وصلها صوته الهادىء الرائق عبر الأسلاك
ــ أهلا .
اجابته فى بساطتها المتناهية
ــ أهلا يا استاذ مروان .. اوحشتنى ... اوحشتنا جميعا .
ولم تكن تدرى على من تنطبق كلمة « جميعا » .. انها كلمة والسلام .. كلمة من كلمات المجاملة المألوفة .
ــ لقد وعدتك بأن تغنى ام كلثوم خصيصا لك
ضحكت ضحكتها الخافتة وهى تقول :
ــ اتعرف يا استاذ مروان اننى لم استمع لأم كلثوم بشخصها مرة واحدة فى حياتى كلها ؟! لا اذكر اذا كنت قلت لك هذا من قبل ..
ــ يعنى ، لم تشهدى حفلا واحدا من حفلاتها ؟
ــ ولا حفلة
ــ انك ستسمعينها لأول مرة وبينك وبينها خطوة .. والمدعوون لن يكونوا بالعدد الكبير كما كانوا ليلة الاحتفال بتخرجك ، فالحفل يكاد يكون خاصا جدا .. بل انه ــ حقيقة ــ خاص جدا .
ــ اشكرك من كل قلبى يا استاذ مروان
ــ ارجو أن تستمعى لما ساقوله لك جيدا
ــ اسمعك يا استاذ مروان

— وارجو ان تعتبريه سرا لا يجوز مجرد الاشارة اليه .

— ارجو ان تثق من هذا

— اذا قرات نبأ استقالة الوزارة فى صحف الغد — الجمعة — فسيكون موعد الحفل مساء الخميس القادم ، وسيسعدنى ان تشرق الحاضرين جميعا بحضورك ابتداء من التاسعة مساء .. ستحضرين .. اليس كذلك ؟

— ان شاء الله

— هل ارسل لك سيارتى لليلة الحفل لتاتى بك ؟

— لا ضرورة لهذا ابدا فالموعد مبكر لاننى سابرح البيت فى نحو التاسعة

— معك حق .. ولكنى سآمر بان تكون احدى سيارات الشماع امام بيتى حتى نهاية الحفل لتعود بك الى البيت فليس سهلا ان تجدى سيارة فى مثل هذه الساعة المتقدمة من الصباح ولا احب لك ان تركبى مع احد المدعوين او المدعوات

جاءه صوتها الباسم وهى تقول :

— هذه معقولة

— ولك عندى مفاجأة استطيع الادعاء بانها كبيرة وستسعدك

سألته بصوت متهلل

— صحيح ؟

— طبعا صحيح .. صحيح جدا

— الا تقول لى ما هى ؟

ضحك ضحكته الخافتة القصيرة وهو يقول

— لو افصحت لك عنها الآن .. لفقدت معناها كمفاجأة .. ولاننى متأكد من ان حديثا — ولو قصيرا —

سيدور بيننا بشأنها ، والتلفون ليس مكانه ، فاننى ارجو ان تأذنى لى بان احتفظ بها الى ان اراك فى الحفل .

— شكرا يا استاذ مروان

— مرة اخرى — ولا تنسى ارجوك — اذا قرات نبأ استقالة الوزارة فى صحف الغد — الجمعة — فيكون موعد الحفل — مؤكدا — مساء الخميس ، حتى لو لم اتصل بك قبل هذا الموعد التاكيده .

* * *

العناوين الكبيرة على الصفحات الاولى من صحف اليوم التالى .. كانت كلها تعلن استقالة الوزارة القائمة وتكليف رئيس جديد بتشكيل وزارة جديدة ، ومعنى هذا ان الحفل اصبح مؤكدا .. وبدأت تستعد لشهوده .

ان لديها من الاثواب الجميلة ما تستطيع ان تختار من بينها واحدا ترتديه ليلة الحفل ، كذلك لديها حذاء جديدا فى صندوقه لم يزل .. وكذلك لديها حقيبة يد انيقة اشترتها يوم اشترت الحذاء ، والاثنان — الحذاء والحقيبة من لون واحد ..

ولكنها — مع ذلك — وقد احست ان الحفل سيضم — كما يبدو — فئة خاصة من المدعوين والمدعوات ، احست انه من المستحسن ان تشترى ثوبا جديدا تشهد به الحفل الذى ستسمع فيه ام كلثوم بشخصها لاول مرة فى حياتها فأسرعت الى شيكوريل .

شيكوريل — كان — فى الاربعينيات وما قبلها ، يعرض كل مبتكرات ارقى بيوت الازياء فى باريس ولندن وغيرهما من عواصم الدنيا باسعار لو سمعها

ابناء وبنات المبجبنيات لوقعوا ووقعن مغشيا عليهم
جميعا او ربما توقفت قلوبهم فجاة ..
فالثوب الجاهز الفاخر الانيق « الشيك » «المهاجر»
من فرنسا او انجلترا الى مصر ، لم يكن يتجاوز ثمنه
فى القاهرة ثلاثة جنيهات او اربعة ، وهذا السعر
لبنات وزوجات القادرين اصحاب الدخول العالية ،
اما اصحاب الدخول المتوسطة وما دونها فانهم
يستطيعون شراء ثوب « مهاجر » من احد البلدين
— فرنسا او انجلترا — فى حدود جنيهين .. ايام ..
اشترت ثوبا فى خمس دقائق بعد ان شاهدته فى
فى صقال المرآة وقد ارتدته فى غرفة القياس ، واذا به
وكانه قد فصل خصيصا ليناسب مقاييس جسمها
وكانت قد اخبرت والدتها بكل شيء .. فهى لا تخفى
عنها شيئا .
اخبرتها بانها مدعوة فى دار الصحفى الكبير مروان
توفيق وانها ستسمع ام كلثوم بشخصها لاول مرة
فى حياتها .. ولم يفتها ان تخبرها — وهى تبرح البيت
فى نحو التاسعة والنصف من ليلة الحفل — انها
ستعود فى ساعة متأخرة كما حدث ليلة حفل التكريم
الذى اقيم لها ورجتها الا تقلق
وقبلت الام ابنتها ، وقبلت الابنة امها .. وحملتها
سيارة من امام باب المبنى حيث مسكنها الى هناك ،
حيث الحفل الكبير ..
عندما خطت من باب المسكن الى داخله ، وجدته
واقفا يستقبل ضيوفه ، والى جانبه شابة جميلة انيقة
فى ثوب طويل يكشف عن كتفيها كما يكشف عن
صدرها عند اول التقاء النهدين .. وعرفت ليلى
— عندما قام بتقديم كلا منهما للاخرى — انها من

ضيوف الحفل ، تفضلت مشكورة بالوقوف ، الى
جانبه وهو يستقبل ضيوفه ، فقد يخطر للسير
مع احدهم من الباب حتى يختار الضيف مقعده ،
فلا يدخل احد المدعوين خلال هذه اللحظات فلا يجد
من يكون فى استقباله .
وكانت هى من هؤلاء .. هذه الفئة التى يصحب
افرادها من الباب حتى مقاعدهم فصحبها الى الداخل
وهو يرحب بها فى كلمات سريعة الى ان قال لها :
— ليس فى هذا الحفل من العاملين فى المسرح
الا انت يا ليلى .. وام كلثوم طبعا عندما تحضر ..
فارجو الا يدفع هذا الى نفسك الاحساس بالغربة
وستالفين الجميع بعد دقائق .
ابتسمت وهى تقول فى همس استطاع ان يسمعه
— انا احب كل الناس والفهم بسرعة
ووضع كفه وسط ظهرها — وقد وصلا الحد
الفاصل بين مدخل المسكن وقاعة الاستقبال ..
ودفعها بلطف بالغ لتتقدمه الى الداخل وهو يقول :
— تفضلى
ودخلت .. ولحق بها فاصبح بجانبها .. وكان بعض
المدعوين قد سبقوها للحضور .. منهم ومنهن من كان
يتحدث او تتحدث لمن بجانبه او بجانبها .
ومنهم من كان يرفع الكاس الى شفتيه .. ومنهم من
كان يردها الى سطح الطاولة الصغيرة امامه ليملاها
من جديد .
منهم من كان يشعل سيجارة جديدة ، ومنهم من
كان يطفىء سيجارة التى عمرها القصير بين شفتيه ،
ومنهن من كانت تصلح من زينتها فى صقال المرآة
الصغيرة المثبتة داخل حقيبة يدها .. ولكن ..

كل هذا توقف فجأة

من كان يتحدث الى جاره او جارته توقف عن حديثه

ومن كان يرفع كاسه الى شفتيه ردها عنهما وظلت يده معلقة بها قريبة من فمه ومن كان يتهيأ لملء كاسه ترك الزجاجة من يده واعادها الى مكانها من سطح الطاولة أمامه ومن كان يشعل سيجارة جديدة غفل عن اللهب المنبعث من قداحته الذهب وسيجارته بين شفتيه فلم يشعلها

ومن كان يطفىء سيجارة فى الجفنة البللور أمامه تركها دون أن يضغطها باصبعه لتنطفىء .

ومن كانت تصلح من زينتها فى صقال المرآة المثبتة فى حقيبة يدها توقفت عن اتمام هذه الزينة لحظات .. فقد ارتعشت اصابعها .. ثم تمالكت نفسها فعادت تتمها .. ولكن باصابع مضطربة وكأن امرا لا يعنيها بينما كانت تسرق نظرات سريعة خاطفة من هذه الضيفة الجديدة التى اقتحمت القاعة كالضوء المبهر .

الاعناق كلها التوت واشرأبت نحو ليلى

وقدمها مروان للجميع

— الآنسة ليلى عبد الحكيم ، الاولى على خريجي معهد التمثيل هذا العام .. وعضو الفرقة القومية وارجوكم أن تحاسبونى على العبارة الآتية بعد عام : بعد عام واحد .. سترون ليلى من نجوم الفرقة الكبار والكبيرات ومن نجوم السينما اللامعات .

الرجال وقفوا يصافحونها جميعا — بلا استثناء — وقدمهم مروان لها باسمائهم والقابهم .. عرفان باشا والسيدة قرينته سميه هانم . سليم باشا والسيدة قرينته بثينة هانم .. وراحت الاسماء تتتابع

من بين شفتيه .. فلان باشا .. علان باشا ... ترتان باشا .. كلهم باشا باشا .. وهى تصافح الجميع — الرجال وزوجاتهم — بأدبها العالى وشبابها المبهج .

كانت ترتدى ثوبها الجديد الذى اشترته لتشهد به هذا الحفل والذى اختارته من اللون الاوكر .. « الاوكر » فى أصفى وارق درجات الاوكر ، هذا اللون الفريد الذى لا يحس جماله الا اصحاب الذوق العالى والحس المرهف شديد الحساسية .. وكان حذاؤها يضم قدميها الصغيرتين ، وحقيبة يدها والحزام حول خصرها وقد تداخلت أفرعه الثلاثة ضفيرة مسطحة دق حبكها ، ثم وردة صغيرة قريبة من كتفها الايسر .. كل هذا من الانتيلوب الناعم فى لون عينيها ؛ لون زيتونة خضراء نقية الخضرة صافيتها ، ومن هنا اكتمل لملبسها التماثل فى أرقى لمسات الذوق واعلاها اختيارا مما دفع احدهم — وهو يصافحها — لان يسبح الله كأنه يصلى .

— تبارك الله العظيم — اللهم صلى على كامل النور والأوصاف .

وجلست بينهم وقد احست نحوهم — وقد استقبلوها بهذه الحرارة — بالفة سريعة .

الغريب ان حديث هؤلاء المدعوين بدا يتغير منذ جلست ليلى بينهم ، فبعد ان كانوا يتحدثون فى شئون البلد والحكم والقصر والوزارة الجديدة والشركات والصفقات .. بداوا يتحدثون فى المسرح وفى السينما وكل يوجه لها سؤالا أو استفسارا .

لحظات ، ساد القاعة بعدها صمت مفاجىء فقد احسوا بحركة غير عادية فالتفتوا جميعا نحو المدخل

— مدخل القاعة فاذا بمروان يتقدم نحوهم والى جانبه رئيس الوزارة الجديدة فوقفوا جميعا .. حتى السيدات وقفن .. وكان يتبع رئيس الوزارة — ومروان الى جانبه — وزراء المالية والخارجية والمعارف الجدد.

وتقدم رفعته — رفعة رئيس الوزراء تصافح الحاضرين فردا فردا ، والجميع يهنئونه بالثقة الغالية التى منحه اياها جلالة الملك . .

برغم انها وجدت نفسها بين مجموعة يحمل كل افرادها الرتب العالية ، فانها لم تحس بضآلتها ولم الاحساس بالضآلة

انها فرضت شخصيتها على الجميع من الدقيقة الاولى وتستطيع ان تحس هذا احساسا يكاد يكون ماديا ، وقد احسته فعلا — ومن الجميع بلا استثناء — ورئيس الوزارة ابقى يدها فى يده وهو يصافحها باكثر مما ابقاها فى بداية سيدة من المدعوات وكلهن قرينات اصحاب هذه الرتب العالية .. بل انه اضاف فقال لها

— انا واثق من ان المسرح والسينما فى مصر سيكون لهما شأنهما على جهود العناصر الشابة الجديدة ، واعتقد انك خير من يمثل هذه العناصر يا آنسة ليلى .

والتفت الى وزير المعارف وقال له

— معالى وزير المعارف الجديد معروف عنه انه من اكثر المتشيعين للمسرح وللعاملين به

ثم الى مروان وهو يبتسم

— والاستاذ مروان خير من يتبنى المواهب الجديدة التى تستحق الذكر ليضعها دائما فى انظار الجماهير واسماعهم

وكانت العبارتان الموجهتان من رئيس الوزراء لوزير المعارف وللصحفى الكبير ملفتتين لانظار واسماع المدعوين ، كل المدعوين بلا استثناء .

* * *

فى العاشرة والنصف تماما ، حلت ام كلثوم على الجميع ولم يكن برفقتها غير احمد الحفناوى ومحمد القصبجى ومحمد عبده صالح ، وكان واضحا ان الموسيقيين الثلاثة الكبار قد سلموا الاتهم لمن اوكل اليه ان يتسلمها منهم بمجرد وصولهم .. وكان الثلاثة فى قمة اناقتهم كما لو كانوا سيحيون حفلا فى مكان علم يستمع اليه الالوف .. وكانت ام كلثوم — فى اناقتها البسيطة العالية — ترتدى ثوبا رماديا فى لون سحاب سبتمبر والخريف يدق ابواب الدنيا .. تزينه عند الكتف رصيعة كبيرة من الزمرد على شكل فراش جميل نشر جناحيه على غصن صغير بعد رحلة طويلة بين الرياض والربى .. وحول معصمها سوار مكمل للرصيعة من الزمرد الأخضر خضرة الجنة ..

الجميع وقفوا ، بما فيهم رئيس الوزراء .. فالجميع كانوا يقفون لام كلثوم اينما حلت .. واسرع مروان اليها فصافحها وصافح زملاءها مرحبا.. وسار الى جانبها .

وصافحت ام كلثوم رئيس الوزراء والوزراء الثلاثة الثلاثة المرافقين له .. ثم التفتت للجميع ورفعت يدها ومسحت الهواء بكفها وهى تقول مبتسمة .

— مساء الخير جميعا

(١) الرصيعة هى البروش .

وجلس رئيس الوزراء .. تجلس الجميع .. ولكن مروان امسك ليلى من معصـــمها بلطف وقبــل ان تجلس — وقدمها لام كلثوم بقوله

— يسعدنى كثيرا ان اقدم لك الموهبة الشـابة الجديدة ، ليلى عبد الحكيم — الاولى على خريجي معهد التمثيل العالى هذا العام .. والفرقة القوميـة خطفتها خطفا فضمتها الى اعضائها فى اسبوع تخرجها

ابتسمت ام كلثوم ابتسامتها التقليدية وهى تقـول بسرعة خاطرها المعروفة عنها

— لــماذا اذن يتهمون المشرفين على الفرقة القومية بقصر النظر ؟

ثم نظرت الى ليلى وقد اتسعت ابتســـــامتها وهى لا تزال ممسكة بيدها وقالت لها

— كيف جمعت بين هــذا الشـعر الفاحم وهتين العينين الخضراوين ؟

اطرقت ليلى وقد احست انها تذوب حياء .. وقالت فى كلمات متعثرة .

— الشعر عن المرحوم ابى والعينان لوالدتى

اقتربت ام كلثوم من ليلى اكثر وقبلت خدها وهى تقــول :

— ربنا يحميك يا حبيبتى

ثم الى مروان بلهجة من له دالة على من يحدثه

— مهمتك ان تقف الى جانبها بقلبك يا مروان .. فهذه تستحق فعلا

اسرعت ليلى تقول :

— لقد كتب عنى مقالا يعجــــزنى التعبير عن ان اشكره له

— قرأته يا ليلى .. والمقال شاقنى .. وصــورتك

التى نشرت بجانبه شاقتنى لان اراك .

وهنا ابتسم مروان وهو يقول لام كلثوم :

— ساقول لك ما قد يصعب عليك تصــديقه .. ان ليلى تسمعك بشخصك الليلة لاول مرة فى حياتها

عادت الابتسامة تتسع اكثر فى وجه ام كلثوم لتقول وهى تتأمل وجه ليلى

— ساغنى الليلة من اجلك يا ليلى .. ساغنى من اجل هذا الجمال كله وهذا الشباب كله .. اسمعى

— افندم

— اية اغنية تحبين ان اغنيها لك

وكان هذا اكثر مما كانت ليلى تتوقعــه فاسرعت تقــول :

— يا خبر .. ليس لهذه الدرجة .. فان اى اغنية من حضرتك كافية لان توقف دوران الارض

وصاحت ام كلثوم بسعادة حقيقية

— يا .. حلا .. وتك .. لا .. انك فلته يا ليلى .. ما هذه الشخصية يا مروان

ضحك مروان وهو يجيب ام كلثوم

— كنت على يقين من انك ستحبينها

— من اول نظرة .. قبلة بسرعة يا حلوة ... يا جميلة .. قبلة من هتين التفاحتين الجميلتين

وانحنت وقبلت ليلى من هنا ... ومن هنــــا وهى تقول :

— فى حياتى ما سالت احدا ان يختار لى ما اغنى . ولكنى اصر على اعرف ما تحبين ان اغنى لاغنية لك

احست ليلى انها ترتفع عن الارض بغير جناحين وهى تقول :

— هذا لطف لم اعهده ولم اره من احد .. وما دمت حضرتك

قاطعتها ام كلثوم وهى تقول :

— يا روح قلبى على كلمة « حضرتك » هذه من بين شفتيك .. فتافيت سكر .. هيا وقولى ..
اية اغنية اغنى لك

قالت على استحياء شديد

— ليتك تتفضلين مشكورة تتغنينا « يا طول عذابى »

وضعت على خدها قبلة اخرى وهى تقول :

— ذوقك حلو يا ليلى .. وهذه من احلى اغنياتى فعلا .. ولا يفهمها الكثيرون .. تفضلى يا حبيبتى .. اجلسى فقد اوقفتك طويلا

وهى تجلس — ليلى — اقترب مروان من اذنها وهمس لها

— لم اخبرك .. ساجعل ام كلثوم تغنى لك .. ومن اجلك ؟

***

الحفل مبهر .. فهو شىء جديد عليها تماما .. هذا صحيح .. والمدعوون ايضا ، من فئة لم تعتد مخالطة افرادها وقضاء سهرة طويلة معهم وبينهم ، وهذا ايضا صحيح .. ولكنها مع ذلك .. وبرغم كل ذلك ، كانت تحس بانها — معهم وبينهم — على قدم المساواة وراسها معا اذا جاز التعبير فهى تحس بالجميع يحتفون بها ويسعون للتحدث معها والتودد اليها وهى تشعر عن يقين بانها ليست اقل من اية سيدة من الحاضرات مظهرا واناقة ورقيا واحتراما

وزينة اذا استثنينا من الاخيرة ما تتزين به بعضهن من زينة الماس حول اعناقهن ومعاصمهن واصابعهن او معلقا فى آذانهن ، وهى ترى فى ساعتها الذهب الصغيرة حول معصمها الجميل ما يغنيها عما يعجز الكثيرات اقتناؤه

وقبل ان تغنى ام كلثوم ، اشارت لها بابتسامة لطيفة مشجعة لتقترب منها بمقعدها

— اجلسى امامى يا ليلى فاننى احب ان انظر الى وجهك وانا اغنى لاغنى احلى

وصفق بعض الحاضرين للتحية وصاح احدهم

— يا سلام يا ست .. والله كلك نظر .. طول عمرك كلك نظر والله العظيم

وكاد الحياء يذيب ليلى وهى تطرق كطفلة تخطو نحو العشرين بمعجزة

وجلست ام كلثوم .. واحاط بها الثلاثة الكبار ، الحفناوى والقصبجى ومحمد عبده صالح .. وغنت يا طول عذابى واشتياقى ... ما بين بعادك والتلاقى)

وكانت الاغنية منذ غنتها ام كلثوم فى مطلع الاربعينيات — وحتى اليوم — لم تزل — من اغانيها المثيرة للاطراق والتحليق والشجن والعودة بمن يستمع اليها لاعذب ذكرياته واكثرها عذابا . معا

الاغنية انتهت فى نحو الثانية صباحا .. واستأذن رئيس الوزراء مضيفه للانصراف بعد ان تناول العشاء مع بقية الضيوف .. ولوح لهم بيده محييا .. وتبعه الوزراء الثلاثة المرافقون .. وصحبه مروان حتى باب سيارته ثم عاد الى ضيوفه

وانفرد بليلى فى الغرفة الواسعة وانسام الليل تعطر ما حولهما ..

نظر لها طويلا طويلا طويلا وفى صمت عميق كمن يرد نفسه – بمقاومة هائلة – عن الاقدام على ما ليس اوانه ولا مكانه .. فسالته وابتسامة صغيرة على شفتيها

– لم تنظر لى هكذا ؟

ابتسم وهو يجيبها

– اسمع عينيك تقولان لى شيئا

– ماذا تقول عيناى ؟

– تسالاننى عن المفاجأة التى اخبرتك بها

وكمن نسيت الامر كله ، وكانت نسيته فعلا

– آه صحيح والله العظيم كنت ناسية .. هيا وقل لى .. ما هى هذه المفاجأة ؟

– انتهيت من الفصل الأول من المسرحية التى وعدتك بان اكتبها خصيصا لك لتقومى بالدور الاول فيها .

شهقت شهقة حلوة فانضمت شفتاها واستدارتا كخاتم ناعم رقيق من أوراق الورد وسألته ملهوفة

– متى تنتهى حضرتك منها ؟

– لقد بدات كتابة الفصل الثانى ، وفرغت من اربع او خمس صفحات منه ، ولكنى احسست باننى يجب ان اتوقف ..

– لماذا ؟

– لاقرأ لك الفصل الاول على ان احكى لك وقائع الفصلين الثانى والثالث ، فقد احسست بنفسى تلح على بسؤال لم استطع ان انكر اهميته واهمية الاجابة عنه

– ما هو ؟

– الا يجوز ان تكون لك وجهة نظر تختلف ووجهة

نظرى ؟ او ان تكون لك ملاحظات جوهرية على الفصل الأول الذى فرغت من كتابته .

ثم بعد لحظة صمت

– او على فكرة المسرحية من اولها لآخرها ؟ ككل ؟ الا يجوز الا تعجبك الفكرة من اساسها ؟ اعنى ما ستقومين بتوصيله للمشاهد وانك تفضلين ان تكونى موصلا لفكرة أخرى

هزت راسها دون ان تجيب بنعم او بلا

احترامها لشخصها ولقدرها ، ردها من ان تقول « لا » بانفعال اللحظة ، واحترامها لشخصه ولقدره ولاهتمامه بها ردها من أن تقول نعم

واستمر هو يقول

– وبحاستك المسرحية المرهفة وقد قرأت كل المسرح المصرى وكثيرا من مسرح الغرب فى دراسة منهجية متخصصة ، الا يجوز أن تكون لك ملاحظة على موقف معين او مواقف معينة ؟

ابتسمت على استحياء وقد شجعها بحديثه على ان تتخلص من بعض الاحساس بالحرج

– يجوز يا استاذ مروان

اسرع يقول

– من هنا احسست بضرورة التوقف الى ان اقرأ لك ما كتبت ، ثم استأنف الكتابة من جديد بعد ان اكون قد المت واستوعبت كل فكرك بالنسبة للموضوع كاساس للمسرحية .. ثم بنظرتك العامة للتناول وتحريك الممثلين وخصوصا فيما يتعلق بدورك انت باعتبارك البطلة

– الحق معك يا استاذ مروان

اسرع يسالها

— اذن متى نلتقى لنقرا الفصل الاول ولا حكي لك وقائع الفصلين الثاني والثالث

اجابت بصراحتها البسيطة

— فى اى يوم تأمر حضرتك على ان يكون هـذا بعد الساعة الثانية بعد الظهر ، اى بعد البروفات اليومية للفرقة

— من الغـد ؟

— من الغد .. ولم لا ؟

— فى مكتبى سيكون متعذرا توفير الهدوء التام بحيث لا يقطع علينا القراءة زائر او احد المحررين او جرس التلفون ، ولهذا اقترح ان تتفضلى مشكورة بتشريفى هنا .. غرفة مكتبى رحبة واسعة مريحة مكيفة الهواء .. وبها فريجيدير يملأها جروبى يوميا باشهى الاطعمة الخفيفة والفاكهة والحلوى

ابتسمت وهى تسأله :

— اذا استطعت ان تهرب الى مكتبك — هنا فى البيت — من الزوار والمحررين لنتفرغ للقراءة والمناقشة ، فكيف تهرب من جرس التلفون وهو حتما فى غرفة المكتب ؟

ابتسم يجيبها

— غرفة مكتبى لها تلفون خاص لا يعرف احد رقمه ولا يستدعينى عن طريقه الا قلة محدودة جدا لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة لان ما يدور عن طريقه من احاديث له سريته وخطورته .. ومن هنا فان جرسه لا يدق الا مرة او مرتين فى اليوم .. واحيانا ، ولا مرة واحدة .. اما المسكن — اعنى بقية المسكن ، فله تلفون آخر برقمه المستقل وهذا لبعض الاصدقاء وللمحررين اذا استدعى الامر ان

يناديني احدهم لامر عاجل يتعلق بالشماع وسير العمل .. وحتى هذا التلفون ، لا ارد عليه ابدا .. فهناك من يتولى هذه المهمة نيابة عنى ليخبرنى

— اولا — باسم من يناديني .

اطرقت ولم تجب .. وكان يعرف ما يدق جدار راسها الجميل فاضاف يسالها وكانه اعتبر موافقتها امرا مفروغا منه لا يحتاج مناقشة

— هل ارسل لك سيارتى او احدى سيارات الشماع فى الثانية من بعد ظهر غد لتحملك من الاوبرا الى هنا ؟

رفعت راسها وواجهت عينيه لتجيبه فى بساطتها وشجاعتها وهدوئها الذى الفه منها

— ساجد اكثر من تاكسى امام باب الاوبرا يحملنى الى هنا فى دقائق ان شاء الله

اشعل سيجارة رشقها فى نهاية الفم الذهب وهو يقول :

— اعرف وجهة نظرك

— انت معى اذن

واترك عليها .. ولكنى ارجو منك ان تثقى بشىء واحد ولكنه يعنى الكثير يا ليلى ..

— ما هو ؟

— اننى اخاف عليك واحرص على اسمك وسمعتك باكثر من خوفك انت وحرصك انت عليهما

ابتسمت ابتسامة رضى وهى تقول

— اشكر لك هذا من كل قلبى يا استاذ مروان وقد اسعدنى ان اسمعه منك

وراح يتاملها

يتامل ثوبها الاوكر الجميل ، والوردة والحزام فى

لون زيتونة خضراء ـ بلون عينيها ـ يزينان منه مكاني
الخصر وقرب الكتف .. والى الحذاء يضم قدميها
الصغيرتين يكملهما بلونه فى ارقى مراتب الذوق
واحساسا بتناسق الالوان .. ثم ملأ عينيه من وجهها
الذى بدا له اشبه ما يكون بصحفة من البلور النادر
الثمين فوق قاعدة من الفضة البراقة تضم مجموعة من
فاكهة الجنة بالوانها المبهجة المفرحة

تفاحات نضرة

وحبات من ثمار الخوخ والكرز

وقطوف من الأعناب مختلفة الالوان ابرزها الوردى
والأبيض والأحمر القانى بلون النبيذ المعتق ، وقد
نامت بينها جميعا وردتان حمراوان جميلتان وياسمينه
بيضاء وسوسنته

ورد نفسه بقوة خارقة من ان يخطفها بين ذراعيه
ليضمها الى قلبه وليمطر كل ما تقع عليه شفتاه
الظامئتان منها ، بقبلاته

رد نفسه بقوة خارقة عن كل هذا .. وسمع
نفسه تقول له :

ـ فيم العجلة يا مروان والوقت غير مناسب
ومكانكما حيث تقفان مكشوف لجانب من المدعوين
الجالسين فى القاعة الكبرى .. غدا ستنفرد بها
ساعات طويلة فى غرفة مكتبك وانتما تراجعان
ما كتبته من المسرحية التى تكتبها من اجلها .. انتظر
للغد ، وهى كما يبدو مهياة او شبه « جاهزة »
والمسافة بين غرفتى مكتبك ونومك خطوات .. وانت
بعد ، ملك الحب والانس والحيلة ولم يسبق ان امتنعت
عليك اية « هانم » ممن يسمونهم بنات الطبقة
الراقية فى مصر

وجاءهما صوت احدى المدعوات وقد وقفت
بالباب الفاصل بين الشرفة والقاعة

ـ ام كلثوم ستبدا يا جماعه

واجابها مروان وبصوته الهادىء

ـ فورا يا امينة هانم

ووضع كفه وسط ظهر ليلى وهو يدعوها لتتقدمه

ـ تفضلى يا ليلى .. موعدنا غدا فى الثانية
بعد الظهر

تقدمته وهى تقول :

ـ ان شاء الله

وسار بجانبها وانضما الى ضيوف الحفل

— ٧ —

في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي ، دعاهـا جرس التلفون في دار اوبرا .. كانت هناك برغم ان اليوم يوم جمعه فقد كانت على موعد مع فتـــوح نشاطي الذي اكد عليها في اليوم السابق ان تحضر لمقابلته صباحا فان لديه ما يتناهى اهمية ويريد ان يحدثها بشأنه وانه لن يؤخرها اكثر من دقائق .

اسرعت الى غرفة التلفون لتجد على الجـانب الآخر منتج الافلام السينمائية منصـــور علوى .. يسألها ان كان في استطاعتها ان تشرفه بالزيارة في مكتبه فورا فان عقدا باسمها للقيام بدور الفتاة الاولى في فيلمه الجديد ينتظر توقيعها .. ارتجفت سـماعة التلفون في يدها ، فقد كان الخبر مفاجأة ضخمة لها .. ولكنها استعادت رباطة جأشها بسرعة واجابته بانها ستكون عنده ما بين الثانية عشرة والواحـــدة .. واملاها الرجل عنوان المكتب ورجاها مرة ثانيـــة وهو يودعها الا تتأخر عن الواحدة .

عندما ردت سماعة التلفون الى مكانها وبارحت الحجرة ، فوجئت بفتوح امامها .. صافحها بترحيبه المألوف وابتسامته الدائمة ثم انفرد بها في احـدى حجرات الدار ، حجرة مكتب سكرتير الفرقة .. وفي كلمات قصار انهى اليها نبأ كبيرا خطيرا .. انه اسند لهـا القيام بدور انتيجون في المسرحية المعروفة بهذا الاسم .

اغرورقت عيناها دموعا .. وحاولت ان تقـــول

شيئا .. اى شيء .. ولكن الدموع والكلمات خانتها معا .. واحس فتوح بوقع المفاجأة عليها فربت يدها باطراف اصابعه وهو يقول في رعاية اب ابنته

— لا تظنينني اجاملك يا ليلى .. فعملنا — كما اظنك لا تجهلين — لا يحتـــمل المجاملة لان الخاسر دائما — هو المخرج لانه المسئول الاول والاخير من العمل الفني ككل .

واجهته بعينيها الصافيتين وقـد زادتهما الدموع التي كانت تسبح فيهما صـــفاء وقالت له بهمسها الشاحب

— استاذ فتوح .. هذا النبأ استطيع ان اؤرخ به لحياتي الفنية ، فاقول في مقبل الايام ، قبل انتيجون وبعد انتيجون

ثم لحظة صمت قصيرة اضافت بعدها

— استاذ فتوح .. لا املك اكثر من كلمة شكر يحيرني اختيارها لتفي بمــا ارجو ان اعبر عنــه لحضرتك .. متى نبدأ البروفات ؟

— اول الاسبوع القادم — ولا اريد الآن ان اضيع عليك يوم راحتك ، فيمكنك الانصراف بسلامة الله ولا شك ان « ماما » في انتظارك الآن

ونهضت عن مقعدها وصــافحته بحرارة تلميذة تصافح استاذا بارا من اساتذتها وانصرف كل منهما لشأنه ..

وكان شأن ليلى .. ان تسرع لمقابلة المنتج السينمائي الكبير منصور علوى

بعد دقائق من المقابلة وقعت العقد الذي ينص على قيامها بالدور الاول في الفيلم الذي يحمـــل عنوان « سيقت مصرى » والذي ستقوم بانتاجه شركة النجم

الذهبي التي يمثلها منصور علوي .. ونص العقد على أن يكون اجرها خمسمائة جنيه تسدد لها منها مائة عند توقيع العقد وقد تسلمت ليلي شيكا بالمبلغ مسحوبا على المصرف الذى تتعامل الشركة واياه

عندما حانت لحظة الاتفاق على الاجر في اول المقابلة .. سألها الرجل عن الرقم الذى تقدره اجرا لها فقالت له في هدوء وادب وتواضع عال

— سأتقاضى خمسمائة جنيه يا استاذ منصور

ولما حاول ان يهبط بالمبلغ الى مائتين ثم ارتفع به الى مائتين وخمسين ثم الى ثلاثمائة باعتبارها تجربتها الاولى في ادوار البطولة ، اجابته بنفس الهدوء والادب والتواضع العالي

— استاذ منصور .. ارجو ان تأذن لي بتوضيح قصير .. لو انني على استعداد للقبول باقل من الرقم الذى قلته لحضرتك ، وهو خمسمائة جنيه ، فارجو أن تثق بانني لم اكن لاطلب منك هذا الرقم باى حال .

ثم لحظة صمت وقد اطرقت .. ثم رفعت راسها لتضيف

— ان هذا الرقم هو الذى حددته اجرا لي للثلاثة افلام الاولى في دور البطولة ، وبعدها استطيع مراجعة نفسي لارى ان كنت ارفعه او ابقى عليه كما هو

ثم ابتسمت وهي تضيف

— او من يدري .. ربما اضطر للهبوط به

وضحك الرجل ووقع العقد على الاجر الذى حددته هي ؛ فقد احس انها من نوع غير ما الف طوال عمله وتعامله مع عشرات النجوم وغير النجوم

وكانت طريقة السداد أن تتقاضى مائة جنيه

عند توقيع العقد ، ثم مائة في يوم بدء التصوير بعد شهر من اليوم ثم مائة ثالثة عند الانتهاء من ثلث الفيلم ومائة رابعة عند الانتهاء من الثلث الثاني ثم المائة الخامسة والاخيرة بعد انتهاء التصوير تماما

وقدم لها شيكا بمبلغ مائة جنيه وهو يقول :

— مبروك ، وباذن الله ، يكون هذا الفيلم بداية لاعمال مقبلة لا نهاية لها

— ارجو هذا يا استاذ منصور .. وشكرا جزيلا

وقدم لها نسخة من السيناريو وهو يقول :

— السيناريو موافق عليه من الرقابة .. والتصوير بعد شهر من اليوم .. ودورك دور آمال — دور البطلة — كما سترين .. وارجو أن تجدى من وقتك المتسع الكافي لدراسته

مدت يدها تصافحه فصافحها بحرارة وودعها حتى باب المصعد ، وظل واقفا امامه الى ان وصل فاستقلته وهبط بها وهو يلوح لها بيده

— مع السلامة

في الثانية والربع بعد ظهر اليوم التالي — السبت — كانت سبابتها على ضاغطة الجرس الملاصقة لباب مسكن مروان ، مضت لحظات قبل ان يفتح لها الباب احد الخدم يرتدى قفطانا ابيض ناصعا وحول وسطه حزام اخضر عريضا وعلى راسه عمامة بيضاء موشاة بخيوط خضراء رفيعة .. انحنى الرجل امامها باحترام بالغ وافسح لها الطريق لتدخل وهو يقول :

— تفضلي يا هانم

سألته قبل أن تخطو داخله

— مروان بك موجود ؟

— موجود يا هانم .. تفضلى

دخلت ، واغلق الباب فى هدوء ، وتقدمته الى البهو الخارجى وجلست حيث كانت تجلس — على ذات المقعد — الذى كانت تحتله منذ ليلتين ، مساء الخميس ثم قالت للخادم وهو يتهيأ للانصراف

— من فضلك ، قل له مدموازيل ليلى

عاد ينحنى امامها وهو يقول :

— حالا يا هانم

فى ذلك اليوم كان الجو حارا .. والشمس كانت تلقى شواظا من لهب على المارة فى الشوارع والطرقات .. ولكنها ، بمجرد أن خطت من باب مسكنه الى داخله ، احست كما لو كانت تخطو عتبة الجنة ، فالهواء المكيف المعطر اللطيف يرد الروح ويعيد للأنفاس انتظامها والاسترخاء فى المقعد الوثير المريح ينظم ضربات القلب ويغرى بالرقاد واسدال الجفون .. واحست بانها فى حاجة سريعة لاى شراب مرطب ، وفى لحظة — وكأنها نادته — وجدت امامها الخادم الذى فتح لها الباب واستقبلها ، وجدته امامها يحمل صينية من الفضة عليها كأس مملوءة بعصير الوشنة المثلوج وهو يقول بصوته الخافت ونبرته المهذبة

— اليك سيجىء لسعادتك حالا يا هانم

شربت قدرا من عصير الوشنة ، واحست بالراحة ومست شفتيها تجففهما بمنديل من الورق الناعم كان موضوعا تحت كأس الشراب المرطب .. ولم تمض دقائق حتى هل عليها باناقته العالية التى اشتهر بها كان يرتدى بذلة صيفية بلون « الماستيك » وحذاء

وجوربا وربطة عنق ثم منديل فى جيب الصدر ، والجميع بلون حبة البن المحروقة

وكان رداؤها — هى — يتألف من اللونين ذاتهما ، الماستيك ، وحبة البن المحروقة مع اختلاف التكوين فقد كانت ترتدى سروالا يعلوه قميص من الحرير . القميص بلون بذلته الماستيك .. والسروال بلون طاقمها الفريد ، لون حبة البن المحروقة .. مجرد « توارد أذواق » كما تقول عن توارد الخواطر

قامت تصافحه فصافحها مرحبا بحرارة شديدة وهو يقول :

— ما هذا الذوق العالى فى اختيار الوان ما تلبسين

ابتسمت وهى تقول :

— اليس غريبا أن نلبس تركيبة واحدة من تركيبات الألوان ، اليوم فقط اكتشفت ان لى ذوقا رفيعا

— حقيقة — فى اختيار الألوان ، فالمعروف والمشهور عن حضرتك انك من اكثر رجال مصر اناقة .. ويعنى اختيارى لهذين اللونين لأحد اثوابى ، اننى احاول تقليدك دون أن ادرى

ابتسم ، ورفع كفها الى شفتيه — وكانت لا تزال فى كفه — وقبل أصابعها قبلة صغيرة وهو يقول : كمن يحادث طفلة :

— عصفورة جميلة ملونة دخلت غرفة نومى امس وقالت لى ان ليلى ستجيئك غدا ترتدى هذين اللونين فيجب أن يكون التماثل طابع ما ترتديه اجمل واشيك بنت فى مصر عندما تكون فى استقبالها

ضحكت كالأطفال .. واضاف هو

— حقيقة يا ليلى .. استطيع ان اشهد وابصم باصابعى العشرة — كما يقولون — على انك كنت

ليلة اول امس ، اكثر الحاضرات اناقة ، وفى بساطة نادرة تعز على الكثيرات .. وانا احب واحترم البنت « الشيك » ، والرجل الشيك ايضا

ضحكت وهى تقول فى بساطة شديدة

— لانك انت ايضا ، رجل « شيك » يا استاذ مروان

اجلسها ، وجلس بالقرب منها وسألها

— جئت ؟ بكل تأكيد .. اليس كذلك ؟

مالت براسها جانبها وهى تقول بصوت متكسر

— يعنى ..

دفع الهواء بظهر كفه بلطف وهو يقول :

— لا يعنى ولا غير يعنى ... طبعا جئت ... انا شخصيا جئت .. الثلاجة فى غرفة مكتبى بها من المغريات ما يسيل له لعاب الشبعان فكيف بالجائع؟ تعالى ..

وقام وامسك بمعصمها بلطف بالغ وهو يقول :

— أنت اليوم سيدة البيت وانا ضيفك .. وارجو ان تعجبك غرفة مكتبى .. امامنا وقت طويل نقرأ .. ولناكل اثناء القراءة

ثم وهو يسير الى جانبها متجها بها نحو غرفة مكتبه

— الجو حار فى الخارج ؟

— نار

— المسكن هنا مكيف الهواء باكمله

— واضح جدا

— غرفة المكتب اكثر ترطيبا لانها محدودة بجدران اربعة ومغلقة الباب باستمرار سواء كنت بداخلها او خارجها

— لاشك انها جنة

— ارجو ان تعجبك

وكانا قد وصلا بابها ، باب الجنة كما تصورتها ليلى ، فدفعه مروان بلطف وافسح لها الطريق لتتقدمه فدخلت وتبعها واقفل الباب تلقائيا

ليلى وقفت وسط الغرفة الرحبة الفاخرة وقد تضاعف احساسها بتكييف الهواء فالقت بحقيبة يدها على احد المقاعد ، وشهقت شهيقا عميقا طويلا ملأت رئتيها بالهواء المعطر .. ورفعت ذراعيها الى اعلا كطفلة تستقبل المطر بفرح طفلة وقالت :

— الله .. هذه جنة كما تصورتها منذ لحظة

اجلسها بلطفه المعهود على احد المقعدين الكبيرين المواجهين لمكتبه وجلس امامها على المقعد المقابل وهو يقول :

— انها اصبحت جنة « بهبوطك » اياها يا ليلى .. ومادمت وصفتها هذا الوصف ، فانني ارجو ان تأذنى لى برجاء

واجهته بالجنتين الخضراوين — عينيها — وهى تقول :

— يا خير يا استاذ مروان .. حضرتك تأمر

— بل هو رجاء يا ليلى .. وانا اصر على تسميته رجاء

— تفضل يا استاذ مروان

— ان تعتبرى هذا البيت بيتك .. ان تشرفيه بحضورك فى اية لحظة شئت من ليل او نهار ، سواء كنت هنا او لم اكن .. هذا البيت مؤلف من تسع غرف

ضمت شفتيها الحلوتين وهى تقول :

ـ يا ...! ؛. تسع غرف !!

ـ تشكل جناحين كاملين يكاد كل منهما يكون منفصلا عن الآخر تمام الانفصال ، اريد ان اخلص من هذا الى القول بانك تستطيعين ان تكونى هنا بمطلق حريتك ودون ان اشعر بمجرد وجودك وان اؤكد لك انك بقدومك فى اية لحظة من اى يوم ، لن تسببى لى اى ازعاج او انشغال عما قد اكون مشغولا به كما قد يتبادر لذهنك .. وساعطيك مفتاح المسكن اذا تفضلت بقبوله لتستطيعى الدخول والخروج دون ان يشعر بك احد .. حتى انا ..

ثم ضحك وهو يؤكد

ـ حتى انا والله يا ليلى .. ارجوك يا ليلى .. خذى كلامى هذا كلام صديق عزيز يحبك ويحترمك ويقدرك ويتمنى لك باكثر مما تتمنين لنفسك

اجابته بهدوئها المطبوع

ـ لا شك فى هذا عندى يا استاذ مروان

دق ركبتها ـ القطيفة ـ باطراف اصابعه وهو يقول كمن ينتقل فجاة من حديث لحديث غيره

ـ لا اريد ان اجيبك اكثر من هذا

وقاما معا واتجها نحو الثلاجة وكانت ملأى ـ كما قال لها ـ بما يسيل له اللعاب وحملا منها ـ فى اطباق من الورق المقوى ـ ما شاء لهما الاختيار وعادا ليضعاه بالقرب منهما ليبدءا القراءة مع الاكل.. او الاكل مع القراءة

* * *

بدا يقرا لها الفصل الاول الذى كتبه من المسرحية التى وعدها بان يكتبها لتقوم ببطولتها ...

ولكنها استوقفته كمن راح من بالها ما لا يجوز ان تنساه

ـ نسيت ان انقل اليك خبرين سيسعدانك جدا

ـ تكلمى بسرعة

ـ الاستاذ فتوح اسند لى دور انتيجون وقد بدانا بروفاتها اليوم .. وبالامس وقعت مع المنتج السليمنى منصور علوى عقدا اقوم بمقتضاه بدور البطولة فى فيلمه القادم « سبقت عمرى » والاجر خمسمائة جنيه تسلمت مائة منها بشيك ، والاربعمائة الباقية موزعة على مراحل تصوير الفيلم وسنبدا التصوير بعد شهر .

ابتسم ابتسامة عريضة وقام من مكانه ودار حول مقعدها حتى اصبح خلفها فانحنى وقبل شعرها وهو يقول :

ـ مبروك يا ليلى .. مبروك من كل قلبى

سالته والسعادة تقطر من صوتها

ـ ما راى حضرتك ؟

عاد الى مكانه وهو يقول :

ـ رايى ان هذه مناسبة تستحق حفلا كبيرا لتكريمك

وقدم لها شطيرة من صدور الدجاج بالصنوبر مع شرائح الاناناس الطازجة وهو يقول :

ـ ولو خطوت فى كل يوم خطوة على طريق نجاحك ، ما ترددت فى ان اقيم لك حفلا بمناسبة هذه الخطوة

نظرت له نظرة ملؤها الشكر والعرفان وهى تقول بصوتها الهادىء

ــ يكفيني ان تقف الى جانبى بصداقتك الكبيرة يا استاذ مروان

استأذنها فى ان يشعل سيجارة اذا كان لا يضايقها التدخين وهى تأكل ، فهزت رأسها نفيا وهى تقول :

ــ ابدا .. وانا شخصيا قد فرغت من اكلى

ــ انك لم تأكلى شيئا

ــ اؤكد لك اننى شبعت من هذه الشطيرة

ــ هذه اكلة قطه

ضحكت وهى تقول

ــ حضرتك ــ ايضا ــ لم تأكل شيئا

ــ ربما لاننى شربت اليوم فى مكتبى قهوة اكثر من المعتاد ، والقهوة ــ عادة تصد النفس عن الطعام

عادت تبتسم وهى تقول

ــ على اية حال .. الطعام امامنا .. سنبدأ القراءة الآن .. وامامنا وقت طويل .. فاذا جعت فليس هناك ما يردنى عن الاكل

قرب منها صحفة من صحاف الحلوى وهو يقول مبتسما

ــ ولكن هذا ، لا يمنع البنات الصغيرات من تناول بعض الحلوى والآيس كريم

ضحكت حياء وهو تقول :

ــ هنا اعترف باننى ما ازال احدى البنات الصغيرات اللواتى تصر على اعتبارى واحدة منهن فاننى لا استطيع ــ ولا احاول ــ اخفاء حبى للحلوى وللآيس كريم

ابتسم وهو ينقل الى صحفتها الوانا لا حصر لها

مما كان يتفنن جروبى فى ابتكارها فيفقد الكبار ــ قبل الصغار ــ مقاومتهم امامها

❋ ❋ ❋

انتهيا بعد نحو ساعتين من قراءة ما كتبه من المسرحية .. وقص عليها ملخص ما لم يكتبه منها وسألها ان كانت لها اية ملاحظة

كانت ــ عندما ابتدأ القراءة ــ قد وضعت امامها ورقة وقلما ، وسجلت وهو يقرأ بعض ملاحظات رأت ان تناقشه اياها بعد ان يفرغ من قراءته وكانت الملاحظات بسيطة وصغيرة ولا تزيد عن ثلاث ، وعندما ابانت له عنها ، ابتسم وهو يقول :

ــ اقسم لك يا ليلى ، اننى كنت اتمنى الا تفوتك هذه الملاحظات الثلاث بالذات

ابتسمت بفرح وهى تقول :

ــ غريبة

ــ كنت اتمنى ان تبدى هذه الملاحظات لاننى ــ انا شخصيا ــ لم اكن راضيا من هذه النقاط الثلاث ــ موضوع الملاحظات ــ كما ينبغى .. وقلت لنفسى ساتركها كما كتبتها الى ان اقرأها لليلى كما هى .. فان ابدت عليها نفس الملاحظة التى تؤرقنى ككاتب اسرعت بتعديلها على هذا النحو

وشرح لها فى كلمات قصار التعديل الذى يراه واجبا لكل نقطة من النقاط الثلاث موضع الملاحظة

وابتسمت ليلى وهى تقدم له الورقة التى كانت تدون عليها ملاحظتها وكانت مطابقة للتعديل الذى يقترحه تمام المطابقة ، فدق سطح المكتب بكفه دقة خفيفة وهو يقول :

— انت فنانة كبيرة يا ليلى .. والمقال الذي كتبته عنك في الشعاع لم يكن مجاملة او مجرد تحية ... ولكنى آمنت بك من اللحظة الاولى فكتبته ، وقد ارتفع ايمانى بك الآن الى مرتبة اليقين

— ارجو ان تستمر في كتابة المسرحية يا استاذ مروان .. فالفكرة جميلة والعرض اجمل .. والحوار شيء جديد على مسرحنا المصرى .. وساعتبر دور « افكار » الذى سأقوم به ان شاء الله هو بطولتى الاولى على خشبة المسرح وليس للفيجون التى استعد للقيام بها بعد ان اسند لى الدور الاستاذ فتوح

في هذه اللحظة ، ازّ جرس التلفون بجانبه فالتقط المسمعة ووضعها على اذنه .. اشارت له وهى تقف وسالته هامسة

— اخرج فاجلس في الخارج حتى تتكلم بحريتك ؟

ولكنه اشار لها بسبابته اشارة تنفى سريعة يدعوها لان تبقى والا تنتقل من مكانها فجلست وسمعته يقول في صوته الواثق المتئد

— اهلا رفعة الباشا

ومرت لحظة صمت كان يستمع خلالها لمحدثه الى ان سمعته يقول :

— وهل يعرف جلالة الملك بكل هذا ؟ وماراى جلالته ؟

ثم لحظة صمت ثانية سمعته يقول بعدها

— هذا ما كنت اعمل حسابه يا رفعة الباشا .. طبعا .. طبعا .. رفعة رئيس الوزراء كان في ضيافتى — هنا في البيت — منذ ليلتين .. وانفرد بى طويلا وخاطبنى في هذا الشأن ثم قال لى انه يتوقع قيام

ازمة بينه وبين القصر ، ولكنه كفيل بان يرضى جلالة الملك على نحو ما

ثم ضحك ضحكته القصيرة الخافتة وهو يضيف

— يعنى .. بعض التنازلات ، ربما بتعديل الوزارة تعديلا محدودا لا يتناول اكثر من وزير واحد

ثم بصوت مرتفع قليلا

— طبعا طبعا .. ان تيسير منصب آخر لمن سيترك مقعد الوزارة ليس مشكلة قط .. من السهل ان يعين عضوا في مجلس ادارة قناة السويس ، مثلا ، وهو حلم كل رجال السياسة في مصر يا رفعة الباشا

ثم باهتمام لما يسمع — نحو دقيقة — الى ان سمعته يقول :

— عندى اقتراح يا رفعة الباشا .. ان تتفضلوا جميعا بتشريفى بتلبية دعوة الى عشاء اقيمه لكم في بيتى .. رفعتك تتفضل مشكورا بتحديد الليلة ، وانا من جهتى سأزور رفعة رئيس الوزراء في مكتبه واوجه لرفعته الدعوة ، فنجتمع — كلنا — كافراد اسرة واحدة ونتفق على حل يرضى جلالة الملك ويرضى رفعة رئيس الوزراء معا وتنقضى الازمة بسلام

ثم لحظة صمت اخيرة قبل ان يرد المسمعة الى مكانها

— كما تامر يا رفعة الباشا .. احضر لرفعتك .. في البيت ام في السراى ؟ في البيت ؟ .. حسن جدا — مساء اليوم .. في الحادية عشرة مساء .. ان شاء الله .. في سلامة الله يا رفعة الباشا .

واعاد مروان المسمعة الى مكانها في هدوء ونظر الى ليلى وهو يبتسم ابتسامة الكبير الذى يدفع عبث

السفار البسمة الى شفتيه ، هذا . . بينما كانت تسبح هى فى عالم غريب عليها تماما . .

ايبلغ هذا الرجل من القوة والنفوذ والسلطان هذا الحد الذى يبلغ به حد المشاركة فى توجيه سياسة البلد !! اهو من المكانة بحيث يلجأ اليه رئيس الديوان الملكى — بتوجيه من الملك طبعا — فى الازمات التى تحيق بالقصر والوزارات الحاكمة !!

ليس هناك اى شك فى ان رئيس الديوان من كان يخاطبه ، فليس هناك من يحمل لقب صاحب المقام الرفيع غير اثنين .. رئيس الديوان ورئيس الوزارة الحاكمة ، وبما ان رئيس الوزارة كان موضوع الحديث ، فيكون رئيس الديوان — بداهة — هو المتحدث .

وافاقت من اخيلتها على صوته وهو يقول لها :

— ازعجتك بحديث الساسة والسياسة

ابتسمت وهى تقول :

— لا افهم فى السياسة طبعا وان كنت على علم دائم بمجريات الامور فى البلد .

اشعل سيجارة فى الفم الذهب وارسل — كعادته — دائرة صغيرة من دخانها وهو يقول :

— الملك غير راض لسببين ، الاول لان رئيس الوزراء تمسك بوزير معين ضمه الى وزارته الجديدة برغم علمه باعتراض الملك على هذا الوزير ، والثانى لانه — اى رئيس الوزراء — رفض ان يضم للوزارة وزيرا رشحه له الملك .. وكان رئيس الديوان قد اشار على الملك بقبول الوضع — مؤقتا — لتجنب قيام ازمة بأمل الوصول الى حل الخلاف بعد تشكيل الوزارة وقيامها .

اتمت ليلى حديثه وهى تضحك

— فلجأ رئيس الديوان الى حلال المشكلات ليوفق بين الوزارة والقصر .

— سادعوهم لعشاء نتفق على موعده كما اظنك سمعتنى .

ثم بابتسامة هادئة

— وستكونين — بداهة — على رأس المدعوات والمدعوين .. وساجتمع بهما ، رئيس الديوان ورئيس الوزارة فى محاولة للتوفيق بينهما .

قالت :

— بين الوزارة والقصر بمعنى اصح .

— بالضبط .. فرئيس الديوان يمثل وجهة نظر القصر .

ابتسمت وهى تقول :

— كان الله فى عونك .

ثم بعد لحظة صمت قصيرة .

— لم اكن ادرى انك — بالذات — تواجه مثل هذه المشكلات حيث يلجأون اليك لحلها كما لو كنت طرفا من اطرافها .

اجابها ببساطة شديدة تحمل معنى التواضع المحمود .

— الظروف وضعتنى — دون ان ادرى — فى هذا الوضع يا ليلى .

وانتقل ليجلس على المقعد المقابل لمقعدها امام مكتبه وقال لها ليغير موضوع الحديث :

— اسمعى .. انت — طبعا — لم تنالى قسطك من الراحة منذ بارحت البيت صباحا .. والساعة الآن قاربت الخامسة .

نظرت الى الساعة حول معصمها وهى تقول :
ــ يا خبر .. الوقت سرقنا .. وقاربت الخامسة فعلا .
ــ ولهذا عندى اقتراح صغير .
ــ ما هو ؟
هناك ، فى نهاية المسكن ، غرفتا نوم ، غير غرفتى الخاصة فى هذا الجناح الذى تقع به غرفة مكتبى ، ما رأيك لو انك دخلت احدى هاتين الغرفتين لتنالى بعض الراحة بعد هذا الجهد الطويل الذى بذلته طوال اليوم ، ثم تقومين على مهلك .. وبراحتك وتستطيعين ان تستمتعى بدش دافىء فى حمامك الخاص .. وستجديننى بعد ذلك فى شرف انتظارك هنا .. فى غرفة المكتب لنتناول الشاى مع بعض الحلوى قبل انصرافك بالسلامة .
ابتسمت على استحياء شديد وهى تقول :
ــ لا ادرى كيف اشكر لك كرمك ورقتك البالغين يا استاذ مروان ، ولكن صدقنى .. صدقنى .. حقيقة ، اننى لا احس اى ارهاق ولا باية حاجة لمجرد الرقاد ولا اقول النوم بمعنى النوم .. فالجو المكيف هنا يجعلنى احس بالشتاء ، وبالتالى يزودنى ، او هو زودنى فعلا بنشاط لا عهد لى به .
ــ كما تحبين يا ليلى .. على اية حال ، البيت بيتك ، ولست فى حاجة لتأكيد هذا .
اسرعت تقول وهى سعيدة بصداقته الكبيرة الغالية :
ــ طبعا .. واقسم لك يا استاذ مروان ، اننى ــ فى حياتى ــ لم يسبق لى ان الفت انسانا كما الفت حضرتك .

والتفت الى الساعة حول معصمها نظرة ثانية ثم قامت عن مقعدها وهى تقول :
ــ آن لى ان انصرف .
وقف .. وامسك بمعصمها وسألها :
ــ ستشاركيننا العشاء الذى سمعتنى ادعو اليه .. أليس كذلك ؟
امالت رأسها قليلا ــ كعادتها عندما تحيرها الاجابة ــ وقالت :
ــ والله ......
اسرع يقول :
ــ ليس هناك ما يدعو للتردد فالبيت اصبح بيتك ، واية دعوة تقام هنا بعد ذلك .. لن يكون لها بهجتها بغير وجودك .
ــ الا ترى اننى قد اكون غريبة على المدعوين ؟ رئيس الديوان .. رئيس الوزراء .. ولكل منهما حاشيته بطبيعة الحال .
ضحك .. ورفع كفها الى شفتيه فمس بهما اطراف اصابعها وهو يقول :
ــ لا تقولى هذا يا ليلى .. لقد رأيت رئيس الوزراء وراك ليلة أم كلثوم .. وقد فاز بشرف مصافحتك والتحدث اليك .. فلم تريدين ان تحرمى رئيس الديوان هذا الشرف .
ضحكت .. ضحكت ملء صدرها ، والعذاب الشهى النائم فوق خصرها ــ يهتز مع ضحكاتها المضيئة فاشعلها حريقا فى قلبه ونفسه وعينيه ومسام وخلايا جلده وجسمه ، وحتى اطراف اصابعه .
احس ان اعصارا يجتاحه ، يكتسحه وهى تقول

فى دلال آسر .. دلال بنت التاسعة عشرة تزحف نحو العشرين .

— خلاص يا استاذ مروان .. سامنح ريس الديوان هذا الشرف العظيم .

— ستحضرين ..

— سانتظر منك موعد الحفل لاكون معكم .

ثم — وقد تلبها الضحك اكثر — تاحنت راسها وكأنها تتاوبه ، فانسدلت خصلات شعرها الاسود الحرير فعانقت وجهها ، واضافت :

— ولو شرف مولانا — صاحب الجلالة — هذا الحفل .. فانى سأتعطف عليه ايضا لامنحه هذا الشرف العظيم — شرف مصافحتى — من اجل خاطرك يا استاذ مروان .

ورفعت وجهها اليه .. وابتسامتها لا تزال تضيىء قسماته .

وراح هو يتملى هذا الكائن الفريد فى صورة بشر .

راح يتأمله فى صمت .. وطال الصمت .. وعيناه تشربان من فتنتها ومن شبابها ومن صباها فقد احس — احساسا يكد يكون ماديا — بان لجمالها طعما ولشبابها مذاقا ولصباها عطرا وشذى اخاذا مثيرا يتضوع من حولها فيدير راسه ويسلبه مقاومته ، فانهارت مقاومته .

انهارت مقاومته .

مقاومة الرجل الذى دوخ ودوخته العشرات من مختلف الطبقات والفئات فى الداخل والخارج ومن بينهن ملكات جمال ..

انهارت مقاومته أمام هذه « البنت » .

هذه البنت تحت العشرين — لم تزل — لم تتمها بعد فخطفها بين ذراعيه فجاة ، خطفها بين ذراعيه وضمها الى قلبه ضمة من استولى على امنية العمر بعد عذاب العمر وهو يخشى أن تفلت منه ثانية والى نهاية العمر .. وفى خفقة قلب من الزمان .. كانت شفتاها بين شفتيه يعتصر منهما احلى ما اعتصر طوال سنوات عمره خلال تجارب ومغامرات بلا حصر.

حدث شىء غريب .

شىء يتناهى غرابة ..

فهى لم تدفعه عنها بعنف .. ولم تصفعه بكفها الصغيرة .. كل ما فعلته انها تخلصت من بين ذراعيه بهدوء ، ولكن باصرار وباحساس غريب .. احساس من لم تنل القبلة الضارية من طهارتها وكبريائها ذرة ..

وواجهته بعينيها — بالجنتين الخضراوين — وقد شاعت فى خضرتهما قتامة الاحساس بالمفاجاة ، المفاجاة ولا اكثر .. وقالت له — وهى تشير الى احد المقعدين أمام المكتب .

— هل تتفضل بالجلوس دقائق .

جلس ، فجلست فى مواجهته على المقعد المقابل .. وسألها فى هدوئه الذى عرف عنه :

— ليلى .. ماذا جرى ؟

واجهته اكثر .. بوجهها كله .. بلا خجل .. بلا تردد .. بلا احساس بالحرج او القهر وقالت له :

— استاذ مروان .. ان ما حدث الآن يستوجب مناقشة قصيرة يتوقف على نتيجتها استمرار صداقتنا او توقفها نهائيا .

اشعل سيجارة واطلق كعادته دائرة صغيرة ضيقة من دخانها وهو يقول وابتسامته معلقة بشفتيه .

— صداقتنا لن تتوقف او تنتهي ابدا يا ليلى .

لم تعلق على اجابته .. ولكنها اختارت المدخل الى ما تريد ان تقول :

— استاذ مروان .. انني فتاة بسيطة جدا وصريحة جدا ، ولقد احسست انني وجدت فيك صديقا كبيرا كريما محترما استطيع ان اعتز به وبصداقته دائما .. وما فعلته الآن يدفعني حتما — ان لم يكن قد دفعني فعلا — الى مراجعة نفسي وتقديراتي جميعا .

ابتسم ابتسامته الواثقة وهو يقول لها :

— كل هذا من اجل قبلة !

— لم تكن قبلة صديق لصديقته .. انك قبلتني من قبل .

— انا ؟؟؟

— لحظة ان قلت لك ان فتوح نشاطى اسند لي دور انتيجون وانني وقعت عقدا مع منتج سينمائي للقيام بدور البطولة في احد الافلام .. قبلت شعرى .. ولم احس ان قبلتك قد انحرفت بصداقتك لي كما احسست من هذه القبلة .

اطلق دخان سيجارته خفيفا واطرق ، ولم يعلق .. فاضافت هي :

— استاذ مروان .. اؤكد لك انني احبك .. اتسمعني يا استاذ مروان اقول انني احبك ، ولكنني احبك انسانا لا رجلا ، وكما اقسمت لك من قبل انني لم آنس لاحد كما آنست لك ولم ادخل بيت احد قبل ان ادخل بيتك .. وعندما دعوتني للحضور اليك اليوم — في بيتك — لنقرأ معا ما كتبت من المسرحية ، ومع علمي بانني ساكون معك وحدنا ولسنا وسط عشرات من المدعوين كما كنا في الحفلين اللذين تفضلت

بدعوتي اليهما .. لم اتردد لحظة في قبول دعوتك .. ولم يطف بذهني ما لابد من طوافه بذهن اية فتاة عندما يدعوها رجل الى بيته ، ذلك انني اعرف قدر نفسي اولا ، واعتقدت الا اسيء الظن بالناس ثانيا ، وثالثا يا استاذ مروان انني كما قدمت ، بنت بسيطة صريحة صادقة مع نفسي ومع الآخرين فلا عقد ولا مركبات .. والأهم من هذا كله انني في حياتي القصيرة كلها — منذ بلغت مبلغ الشباب — لم اشعر يوما انني مجرد انثى وحسب وان نظرة الرجل لي لن تتعدى هذه النظرة .. ولكن هناك — وهذه من البداهات — معان اخرى تشكل علاقاتي بالرجل — اى رجل فمن الحط بقدري ان اضع نفسي بصورة دائمة موضع الفريسة التي تتربص بها كل العيون ، مجرد فريسة ولا اكثر .. انني ارفض ان ارى نفسي مجرد فريسة لانني اكبر من هذا واكثر من هذا واجل من هذا واكرم .

ثم بعد لحظة صمت لتضيف .

— من اجل هذا احببت ان اقول لحضرتك انني مضطرة — واؤكد لك انني آسفة وحزينة — لانهاء هذه الصداقة الجميلة التي بدأت جميلة وكبيرة وكنت اتمنى لها ان تدوم اطول .. اعني تمنيت ان تكون شيئا له صفة الدوام .

اطفأ سيجارته بعد حديثها الطويل ومد يده فاخذ كفها بين كفيه عبر الطاولة الصغيرة التي تفصل بينهما وقال لها :

— ليلى .. الذى لا شك فيه انك اخطأت فهمى وارجو ان تغفري لي التعبير .

اجابته في هدوء :

— اننى لم اخطيء فهمك .. فما اقدمت عليه يقول بغير هذا ، وبعد فانت لا تستطيع ان تنكر — فى النهاية — انك رجل وانا امامك واحدة من الجنس الآخر .

— كل هذا لاننى قبلتك ؟

سحبت كفها من بين كفيه بلطف حتى لا تجرحه وقالت :

— فرق بين قبلة وقبلة يا استاذ مروان .. انك وانت تهنئنى بخور انتيجون وبعقد الفيلم السينمائى ، قبلت شعرى .. ولو انك وانت تقف خلفى قبلت خدى الاثنتين او كما يقولون « من هنا ومن هنا » قبلة صديق لصديق امعانا منك فى التعبير عن فرحتك بى وبتوفيقى ، ما احسست بانك تغيرت بمثل ما احسست من هذه القبلة التى قبلتنيها الآن .

ثم بعد لحظة وكأنها تقاوم رغبتها فى أن تقول ما تريد ان تقول :

— هذه القبلة تصرخ قائلة انك تريد منى اشياء يستحيل ان ينالها منى احد .

احس أن الموقف اكبر حجما مما كان يتصور فحاول ان يتوسل لمرضاتها .

— ليلى .. لم تعاملينني هكذا يا ليلى ؟

واجهته بعينيها وقد صفت خضرتهما وكان افراغها ما بنفسها قد ازال ما شابهما من قتامة ... وقالت له :

— هل تأذن لى بان اسالك .. ولا يغضبك سؤالى. ارجوك ؟؟

اسرع يستحثها

— ابدا ابدا .. سلى ما شئت

— استاذ مروان .. ماذا تريد منى ؟

— وتصدقيننى ؟

— ولم تفترض اننى لن اصدقك ؟

— ومع ذلك .. فاننى اقسم لك .

— على اى شىء ؟

— اننى احبك .

— ليس هذا ردا على سؤالي يا استاذ مروان .

— كيف ؟

— لقد سألتك سؤالا محددا : ماذا تريد منى ؟؟ وجوابك يجب ان يكون محددا .. اى اريد منك كذا وكذا وكذا .

— او ليس فى كلمة احبك الرد الكافى ؟

اطرقت قليلا ، ثم رفعت راسها اليه وقالت فى شجاعة دون ان يتخلى عنها ادبها المفرط وهى تتحدث .

— ليست ردا على الاطلاق وامامنا حقيقة واحدة لا مفر من مواجهتها .

— هاتها .. ارجوك .

— انك .. حضرتك من طريق .. وانا من طريق .

— مهما تشعبت الطرق باثنين يحب كل منهما الآخر فمصيرهما — حتما — ان يلتقيا وينتهى السهولة .

ابتسمت ابتسامة ملؤها المرارة والشجن وهى تقول له :

— اتعرف باى شىء استطيع ان اشبه حالنا فى ضوء ما تقول ؟

— ليتنى اعرف منك .

— اننا — حضرتك وانا — مثل كوكبين من كواكب

هذا الكون العريض ، احد هذين الكوكبين فى شرق
هذا الكون ، والثانى فى غربه ؛ فلا يمكن للشمس ان
تلقى نورها على الاثنين فى وقت واحد .

ثبت عينيه على عينيها فى نظرة طويلة وهو
يسالها :

— الى هذا الحد يبلغ احساسك ببعد كل منا عن
الآخر ؟

— استاذ مروان .. حضرتك لك حياتك الواسعة
العريضة التى تحياها دقيقة بدقيقة على مدى تعاقب
الليل والنهار — وانا لى حياتى البسيطة المحدودة
التى لا تتجاوز عملى وبيتى ووالدتى .. حضرتك طفت
بالعالم كله ، بينما لم تتعد اسفارى مدينة الاسكندرية.

اسرع يقاطعها .

— سانقلك الى هذه الحياة التى تتحدثين عنها ،
ساطوف بك العالم خلال رحلة تستغرق شهورا
نبداها من الاسبوع القادم اذا احببت .

— هكذا ؟

— هكذا .

— دعنا نكون اكثر وضوحا فاسالك : مقابل
اى شىء ؟

— لست اطلب منك اكثر من ان تحبينى كما
احبك .

اطرقت .. وطالت اطراقتها باكثر مما اعتاده
منها الى ان واجهته بعينيها الصريحتين المفعمتين
طهرا ونقاء وقالت له :

— استاذ مروان .. ارجو الا يغضبك قولى ..
انى لا استطيع ابدا .. اتسمعنى يا استاذ مروان ؟

— اسمعك .

— لا استطيع ابدا .. ابدا ابدا .. لا استطيع
يا استاذ مروان ان اخذل والدتى او المرحوم ابى وانا
لم اخف عن احدهما شيئا فى حياتى قط .

— وما علاقة والدتك او المرحوم والدك بحبنا ؟ .

اجابته — ان ماتطلبه ليس عندى .. ولو كان
عندى لقدمته لك بمنتهى السهولة بعد لقائنا الاول بيوم
واحد .. اتعرف متى ؟

— متى ؟

— يوم طلبت منى ان امر بايرين والهام واليزابيث
لاختار ما اشاء مما تتمناه اية فتاة او امراة بغير
حساب .

احس انها بدات تعريه فهمس باسمها .

— ليلى ..

ولم ترحمه ملاطفات ..

— ويوم ان طلبت منى ان اختار السيارة التى
تعجبنى فى اى معرض للسيارات من معارض القاهرة .

مرة اخرى .. احس انها تعريه اكثر .. انها تقراه
كما تقرا كتابا مفتوحا .. ثم التقطت انفاسها لتقول :

— صدقنى يا استاذ مروان اذا قلت لك اننى
يومها — يوم عرضت على كل هذا — تقبلته منك
عرضا كريما رقيقا دون ان يشوهه من جهتى اى خاطر
سوء .. وان كنت لم اقم بتنفيذ ما عرضته ، فليس
لاكثر من احساسى بالحرج لما قد يكلفك كل هذا من
مال برغم ما يعلم الجميع عنك من كرم يفوق الحدود ..
ولكنى لم اعتد قبول مثل هذه العروض الضخمة غير
المالوفة من احد .. وان كنت قد قبلت منك زجاجة
العطر فهى مجرد هدية صغيرة يمكن ان اتلقاها من
صديقة لى وان اقدم — بدورى — مثلها لنفس

الصديقة ، كذلك استطيع ــ بدورى ــ ان ارد لحضرتك مثلها فى اية مناسبة ، ذكرى ميلادك مثلا ، كما يتبادل الاصدقاء الهدايا .. لا اعرف ان كنت ستصدق ما اقول ...

احس ان حلقه يجف .. انه يزدرد لعابه بصعوبة شديدة .

ولم ترحمه ، فأضافت وفى صوتها الخفيض المهذب :

ــ كل هذا ، تناولته فى بادىء الامر بمنتهى البساطة وبقلب وبنفس مفتوحتين ودون ان ارى الا ما اراه امامى دون ان افكر فيما يمكن ان يكون وراءه .

واطرقت فى لحظة صمت لتقول بعدها :

ــ ولكنى الآن ــ وارجوك الا يغضبك قولى ــ ارى ما لم اكن اراه من قبل .. ومن هنا وجدت نفسى ــ وانا فى شدة الاسى ــ مضطرة لان انهى فترة حلوة من حياتى ، مرت كالومض وكنت ارجو لها ان تطول كما قدمت لك ..

ثم بعد لحظة صمت التقطت اثناءها انفاسها .

ــ هل ستصدق كل هذا ؟

لم يكن يسيرا عليه ان يستمع لكل هذا من طفلة . هى بالنسبة له طفلة ولا اكثر وهو من هو مكانة وشهرة ونفوذا ومقاما وسلطانا وسلاطة قلم .. انه احد رجال مصر غير الرسميين وان كان اكثر نفوذا واعظم وزنا من معظم الرسميين ..

ان رجال البرلمان بمجلسيه ــ النواب والشيوخ ــ ورؤساء الاحزاب والوزارات يعملون له ولقلمه ورضاه الف حساب .. وبنت كهذه ــ بنت البارحة ــ تذبحه على هذا النحو المذل !! انه يحس انها ذبحته بسكين احد من حد الموسى ونعومته .

نعومة فائقة فائقة فائقة ، ولكنه يحس بدمه ينزف ، وشفيعها الوحيد عنده انه يريدها كما لم يرد امرأة من قبل .. بجمالها الذى اسره وشخصيتها الفريدة الجارفة التى لم يصادف لها مثيلا على طول ما عاش وراى .. واحس فى لحظة ما ، بتفاهة كل من التقى بهن فى مصر وخارج مصر ممن خاض معهن مغامرات ممتعة طويلة او قصيرة ..

احس بتفاهتهن جميعا عندما قارنهن ــ وبلا استثناء ــ بهذه البنت ، بنت التاسعة عشرة ولا تزيد بغير شهور .

ولكنه لا ينحدر بهذه السهولة امام مثلها وهو الذى روض من النساء من لهن نعومة الحيات وعضاتها القاتلة ، فرسم فوق وجهه ابتسامة عريضة وفتح لها ذراعيه فى حنان اب او عم او خال او اخ اكبر وهو يقول :

ــ ليلى .. يا صغيرتى العزيزة الغالية .. ما هذا كله ؟ انك ظلمتنى فقد ذهبت بك الظنون الى ابعد ما يجوز .. ومع ذلك فاننى سافترض انك على حق .. واننى تجاوزت ، فان حقيقة واحدة تبقى بعد كل هذا .. حقيقة بسيطة واحدة تتلخص فى سؤال واحد صغير .

ــ ما هو ؟

ــ الا يغفر الاصدقاء الكبار لبعضهم البعض ، بعض التجاوزات ؟

نهار اسود ! هو يعتذر !!

مروان توفيق يطلب الغفران من احد وهو الذى يسعى الجميع من كبار رؤوس البلد الى رضاه والذى طالما اعتذر له معظم هؤلاء الكبار مرضاة له (واتل

الحرص اعناق الرجال) وكما اذل الحرص كل اولئك وهؤلاء فوقفوا أمام مروان فى كثير من المناسبات كما يقف التلميذ أمام أستاذه .. كذلك اذله الحرص على الاحتفاظ بصداقة ليلى بعد ان عرته فى مواجهة وشجاعة لم يجرؤ أحد على مواجهته بها من قبل .. ومد ذراعيه اكثر وهو يقول :

— تعالى ..

واحاط كتفيها بذراعيه وضمها الى قلبه فى رقة بالغة .. واصبح رأسها تحت شفتيه فقبل شعرها وعطر شعرها .. ثم قبل جبينها وهو يقول هامسا

— سامحتنى ؟

هزت رأسها ايجابا .. ولمعت فى عينيها طبقة شفيفة من الدموع تجاهلها ليترك لها الفرصة لاستعادة هدوئها وسألها ليغير موضوع الحديث من أساسه .

— ما رأيك فى قدح من الشاى ؟

— الوقت أزف .

سألها وقد اعتبر كل شىء منتهيا .

— ابعث لك بموعد الحفل على دار الاوبرا ... أليس كذلك ؟

— أسهل وأقرب مقر لى .

تنفس كما لو ان جبلا قد انزاح من صدره فقد اطمأن من ردها الى انه استطاع او توصل الى ارضائها وانها اعتبرت الامر منتهيا فسألها فجأة .

— لم تخبرينى بما تم فى موضوع تركيب التلفون فى البيت .

اجابته فى بساطتها الشديدة وصدقها ووضوحها .

— الاستاذ جورج ابيض علم باننى طلبت تركيب

تلفون فخاطب رئيس المصلحة فى هذا الشأن فوعده بان يتم هذا بين يوم وآخر .

— هل أطمع فى أن اكون اول من تناديه عن طريقه لاكون اول من يقول لك مبروك .

— ولم لا ؟

— وعد ؟

— ما قلت فى حياتى شيئا وانا أضمر غيره .

ابتسم وهو يضيف .

— ولكنى أعلم منك رقمه حتى اطلبك فورا — بعد ان تنتهى مكالمتك الاولى معى .. لاكون بدورى أول من يناديك عن طريقه ولاقول لك مبروك .. مرة أخرى .

كان يعاملها كطفلة — لا تزال — فقد كان يسعى لان يعمق فى وجدانها الاحساس بان شيئا لم يحدث مما يمكن ان يكون سببا فى أن تقيم حاجزا بينها وبينه .

انه — باى ثمن — لا يريد — ولا يستطيع ولا يتحمل ان يفقدها .. انه حريص على صداقتها وان تظل علاقته بها قائمة وهو على استعداد لان يبيع كل صداقاته وعلاقاته القديمة بصداقتها وعلاقتها ... وحدها .

وقامت ، والساعة حول معصمها تقترب من السادسة ، واستدعى لها المصعد وفتح لها بابه عند وصوله وصافحها وهو يقول لها :

— انتظرى منى موعد الحفل بين حين وآخر .

أحنت رأسها وهى تبتسم وتقول :

— ان شاء الله .

— ٩ —

اسبوع مضى .

أز جرس التلفون فى مكتب مروان بالشماع وجاءه صوت ليلى .

— صباح الخير .. ولو اننا الظهر .

اجابها متهللا كمن عثر على مصباح علاء الدين .

— اهلا .. اين كنت ؟

— متوعكة قليلا .

— ان « شللا » الدنيا بحالها .. وانت لا .

ضحكت وهى تقول :

— شكرا

— اليوم احسن ؟

— بكثير والحمد لله .

— ارسلت لك بموعد الحفل .

— من الاوبرا حولوا الرسالة الى وتسلمتها .

— الموعد الليلة .

— ولهذا تكلمت لاعتذر من عدم الحضور .

احس بقلبه يهبط الى قدميه .

— لا يمكن يا ليلى .

— لا زلت على غير ما يرام .. صدقنى .. اتعرف من اين اتحدث اليك ؟

— لا تقولى من البيت .

— بل منه . وقد تم تركيب التلفون وهذه اول مكالمة تحمل صوتى منه لاى انسان .

— لا ادرى كيف اشكرك .

— لقد وعدتك .

— مبروك .

— شكرا .

واملته رقم الاتصال بها ثم اعتذرت مرة اخرى من عدم امكانها شهود الحفل الذى يشهده رئيسا الديوان والحكومة لان طبيبها قد اشار عليها بأن تبقى فى البيت حتى صباح السبت حيث تستطيع ان تستأنف عملها وهى مطمئنة .

واراد ان يشعرها بقربها منه او بقربه منها اكثر سألها :

— كيف حال ماما ؟ وصحتها ؟

اجابته وصوتها يذوب حنانا وحبا .

— بخير — لم تترك — يا حبيبتى — مكانها بجوار فراشى دقيقة خلال هذه الايام الاربعة .

— لابد ان اراها يوما .

— ضرورى .. ان شاء الله .

— اتعرفين لماذا ؟

— لماذا ؟

— لاسألها كيف تستطيع سيدة — اى سيدة — ان تنجب قطعة من السكر !!

ضحكت وهى تجيبه .

— لانها قطعة سكر .

ضحك وهو يقول مداعبا .

— لا شك عندى فى هذا ، فمن تنجبك يا ليلى .. لابد ان تكون شيئا فريدا بين الامهات .

وانهيا الحديث على وعد بأن يتصل بها او تتصل به يوم السبت .

❋ ❋ ❋

لم تتصل به فاتصل بها .

اتصل بها يوم الأحد ليستفسر عنها وعن صحتها فعلم منها أنها بخير وأنها استأنفت البروفات استعدادا لتقديم أنتيجون ليفتتح بها الموسم المسرحي الجديد .. ووجدها مدخلا لحديث يستطيع أن يمس به وترا يتناهى أهمية وحساسية بالنسبة لها فسألها :

ـ ما رأيك يا ليلى في أن أتم « لعنة الملائكة »

ـ المسرحية التي أكتبها لك ـ لتكون مسرحية الافتتاح بدلا من أنتيجون ؟

سألته والفرحة تزلزلها :

ـ هل يقبلون في الفرقة بتغيير البرنامج الذي تم وضعه ؟

ـ اتركي هذا لي ، واطمئني .

ـ في هذه الحال ، ليس لي إلا القول أن هذه فرصة العمر .. أنتيجون ـ مهما قيل فيها ، فقد سبق عرضها عشرات المرات فهي ليست بالشيء الجديد

ـ كما أن المسرحية المصرية تلاقي ـ دائما ـ من الاقبال ، أضعاف ما تلاقيه المسرحيات المترجمة .

ـ اذن استأذنك في أسبوعين اثنين بالتحديد ، نجلس بعدهما لنقرأ المسرحية بفصولها الثلاثة كاملة .

ـ أستاذ مروان .. لا أدري كيف أشكر لحضرتك كل هذا !! هذه ـ حقيقة فكرة رائعة أرجو أن يوفقك الله لتحقيقها وافتتح موسم الفرقة بلعنة الملائكة وليس بأنتيجـون .

***

انجز مروان ما وعد فانتهى من كتابة لعنة الملائكة في أسبوعين ، وقال لمدير الفرقة القومية وهو يقدمها

له أنه يرشح ليلى للقيام بالدور الأول فيها .. ثم بأدبه العالي ويتواضع من يعرف أن رجاءه أمر ، اقترح أن تكون مسرحية افتتاح الموسم الجديد .. وانه يضيف الى اقتراحه اقتراحا آخر ، أن يقوم فتوح نشاطي باخراجها باعتباره مخرج أنتيجون التي كان مقدرا لها أن تكون مسرحية الافتتاح .

وفوجئت ليلى بالخبر تتناقله أروقة الأوبرا ، كما فوجىء به بقية زملائها وزميلاتها ، كبارهم وصغارهم .

زميلاتها بالذات ، منهن من هللت للخبر وهنأت ليلى من حبة القلب .. ومنهن من غطت احساسها بالكمد والحقد بابتسامات عريضة وهن يزجين لها التهنئة بقبلة من هنا وقبلة من هنا ، والسم يقطر من القبلتين وهذه طبيعة البشر .

وأسرعت فاتصلت به عن طريق التلفون في مكتبه بالشعاع فقيل لها انه انصرف الى بيته ..

في بيته اتصلت به .. وجاءها صوته على الطرف الآخـر .

ـ أهلا .. ومبروك .

كانت الدموع في عينيها وهي تكلمه .. وانسحب أثرها على نبرات صوتها فاختلجت وهي تقول :

ـ هذه من أكبر مفاجآت حياتي ولا أدري كيف أشكرك .. والبروفات ستبدأ من أول الأسبوع القـادم .

ـ في هذه الحال أترك لك تحديد الموعد الذي ترينه مناسبا لأقيم لك حفل التكريم المناسب ليشهده جميع أفراد الفرقة ومخرجيها ومديرهم .

خنقتها الدموع أكثر .. فغص صوتها وهي تقول :

ـ أستاذ مروان .. أستاذ مروان .. هذا أكثر

بكثير مما كنت ارجو من الله .. ولن انسى لك ما حييت ما قدمت وتقدم وستقدم لى .. ابدا لن انسى يا استاذ مروان ..

ابتسم بصوته وهو يقول ، محاولا تغيير الحديث .

— دعينا من هذا يا ليلى فليس بين الاصدقاء الكبار كل هذا الذى تنسبينه لى كرما منك ..

ما رايك فى ان نتناول غداء اليوم معا فى مكتبى ؟

— لا مانع عندى ابدا فانى اود ان اشكرك بنفسى .

— فى ثلاجة المكتب بالشماع اطباق جميلة ارسلها جروبى هذا الصباح كما اخبرتنى سهير تلفونيا .

سألت فى صوتها الباسم .

— مع شراب الوشنة ؟

— مع شراب الوشنة .. طبعا .. وساكون هناك بعد ساعة من الآن .

***

استقبلها فاتحا ذراعيه وهو يقول لها :

— هذا يوم كبير وعظيم ..

وضمها الى قلبه ضمة الصديق القديم لصديقة قديمة ، لا ضمة رجل يتلوى فوق نار هادئة تشويه شيا بطيئا مروعا .. وقبل كلا من خديها قبلة الصديق القديم — ذاته — للصديقة القديمة ذاتها ، لا قبلة من يرد نفسه بقوة خارقة عن التهام التفاحتين الورديتين المعطرتين — خديها — لياكلهما ، بينما النظر الى شفتيها القريبتين من شفتيه كثمرتين محرمتين يدير راسه ويقلب له كيانه .

تركته يضمها الى قلبه برضاها .

وتركته يقبل خديها عامدة .

فماذا كان صادقا فى اعتبارها صديقة كبيرة غالية ولا اكثر ، فاهلا .. اما اذا كان لا يزال يخفى تلك الرغبة التى دفعته لان يسىء الظن بها كما فعل من قبل وان يعتبرها مجرد « حبة » من الحصى او الزجاج او حتى من اللؤلؤ او الماس يستطيع ان يسلكها خيط العقد الذى يشكل مغامراته التى لا حصر لها ، فان هذا لن يكون ، لانه ان عاد .. فستكون النهاية التى لا رجعة فيها ، وهى تستطيع ان تكشف وان تكتشف ما يخفى بسهولة .

واجلسها .. وجلس على المقعد المقابل لها ، وبعد لحظات ، اخرجت من حقيبةيدها علبة صغيرة انيقة قدمتها له وهى تقول :

— رايت هذا فى احدى وجهات المحال التجارية بشارع قصر النيل فبهرنى .. وسمعت نفسى تقول لى « اذا كان بهذا الجمال وهو خلف وجهة من البللور ، فكيف به فى سوارى قميص الاستاذ مروان ؟؟

ونظر لها مشدوها .. ومشدوها اكثر لهديتها الجميلة .

جميلة بحق .. وانيقة بحق .. وآية من آيات الذوق العالى بحق .

زوج من ازرار سوار القميص من مبتكرات جاك فات ، تليق بملك ، فهى من الذهب الخالص .

امسك بيدها برفق بالغ وهو يسالها :

— لم فعلت هذا يا ليلى ؟

واجهت عينيه بعينيها الضاحكتين فى شجاعتها المطبوعة وهى تجيبه :

— استاذ مروان ، ارجو الا يتطرق الى ذهنك اننى

احاول رد هديتك لى — زجاجة العطر — هـذا خاطر لم يخطر لى قط .

— ماذا اذن ؟

— مجرد تعبير عن اعتزازى بصداقة بدأت بيننا كبيرة وآمل ان تظـل دائمـا كبيرة وان تكبر اكثر ولا تتضاءل لتصغر ابدا .

ثم بابتسامة فرحة .. ابتسامة طفلة .

— اننى لم اخبرك اننى صرفت المائة جنيـه قيمة الشيك الذى تسلمته من اجرى من تمثيل فيلم سبقت عمرى ، هذه الازرار اول شىء اشتريه من قيمة هـذا الشيك .

تناول هديتها الجميلة وهو يقول :

— لم تتركى لى شيئا اقوله يا ليلى .. ولكنى ارجو الا تكررى هذا ابدا فانتى الاولى بان اضع بين يديك كل ما لا يخطر لك ببال انسان .. وانا فى شرف انتظار اشارة منك .

ورفع كفها الصغيرة المعطرة .. ووضع وسطها قبلة صغيرة سريعة ثم مـد لها ذراعيه وهو يقول :

— ان اجمل تحية لهديتك التى لم القى طـول حياتى اجمل منها ، ان ازين بها سوارى قميصى فورا فارجو منك ان تنزعى هذين الزرين لتحل هـديتك مكانيهما لاتيه بهما على ملك مصر بذاته العلية ، فمهما بلغت اناقته — وعلى فكرة فان جلالتـه انيق فعلا — فلن تبلغ اناقة جلالتـه اناقة هذين الزرين الفريدين .

رفعت كفيها وهى تضحك — حركتها المالوفة — ثم هوت بكل منهما على احـدى ركبتيها الضاحكتين اللامعتين وهى تقول :

— يا خبر يا استاذ مروان .. انت تجبر خاطرى بشـكل .

وبدأت تنزع زرى قميصه واحدا بعد الثانى لتضع مكان كل منهما هديتها التى لا ينكر قيمتها وجمالها الا مكابر .. ومـروان كان من ملـوك الاناقـة .. وهو خير من يقدر قيمة هذه الهدية التى قدمتها له هذه « البنت » التى جمعت كل ما منح الله بنات حواء من عهد حواء والى ان ولدتها امها .. وكان قدره ان يلتقى بها وان تلتقى به لتقيده .. لتقيد هذا النجم العالى المتعـالى الذى دوخ وسهد وعذب واشـقى العشرات ، فعلقته بخلخال من الماس غير المنظـور حول كاحلها الوردى الفاتن الصغير .

— ١٠ —

بقدر ما كانت تجرى بها الايام مسرعة مع النجاح والتوفيق واقبال الرزق وسعادتها باسرتها — ولم تكن اسرتها الا والدتها — بقدر ما كانت تجرى بها الايام على هذا النحو ، بلا هموم ولا مشاكل ، بقدر ما كان مروان يتلوى وكأنه حكم عليه بالوقوف عاريا تحت دش يصب ماءه فوق جسمه ، والماء فى درجة الغليان دون ان يجد من نفسه القدرة على التقدم من غايته خطوة واحدة .. احس انها اقامت بينها وبينه حاجزا شاهقا انما يحيره ويعجزه مجرد التفكير فى اقتحامه .

وضعته بين اختيارين .. صداقتهما الكبيرة — كما تسميها — على ان تكون صداقة خالصة لا تصل به الى ما يريد ، او قطيعة ، وكل منهما فى طريق وهو لا يحتمل هذه القطيعة .

انه لم يتمن امراة كما تمناها ولم يشته امراة كما اشتهاها ولم يسهده الارق شوقا للوصول الى غيرها كما سهده شوقا وعذابا للوصول الى خدرها البكر المحرم .

انه يريدها باى شكل وباى ثمن وهى لا تعطيه الفرصة لاكثر مما تعطى .. صداقة نظيفة طاهرة وحسب .

وبل امراة يخيل لها الوهم امكان قيام مثل هذه الصداقة بينها وبين رجل .. اى رجل .. فرجل وامراة لا يعنى الا كل شىء .. كل شىء .. ولا يقنع

الرجل — اى رجل — بصداقة المراة التى تمناها الا اذا امتنعت عليه وايقن ان الوصول اليها من المستحيلات فيقول عنها انها صديقتى .. او نحن اصدقاء .. وهذه صداقة العجز .. ومروان لم يكن عاجزا فى يوم من الايام .

وبدات تنجح ، وتلمع .. وكانت قد قامت بتمثيل مسرحيته لعنة الملائكة من بين عديد غيرها من مسرحيات الفرقة وبدا زحفها على افلام السينما ، وتقدم لها اكثر من زميل من اللامعين ، ممثلون ومخرجون ومنتجون ممن اجرت ارباح السينما المال بين اصابعهم انهارا فاعتذرت للجميع لانها لم تكن تؤمن بزواج الممثلة بزميل ممثلا كان او منتجا او مخرجا .

تقدم لها كثيرون من غير الزملاء ، اطباء ومحامون ومهندسون وغيرهم من المع شباب مصر فاعتذرت لهم وقد كانت تجد دائما المبرر المنطقى المقنع لهذا الرفض وكانت تناقش والدتها مناقشة طويلة هادئة فيما يدعوها لرفض هذا او ذاك .. وفى النهاية كانت والدتها تقرها فالتقيا بصورة دائمة عند رفض كل من تقدموا لها ..

وهو ؟؟

هو على ناره ، لم يزل .

وكل ما نجح فى ان يضيفه الى رصيده من علاقته بها انها بدات تثق به اكثر ، وان تستشيره فى مشكلاتها ومتاعبها ومعنى هذا ان صداقتهما اصبحت اكبر .

يا فرحتى !!

جوعه الأليم اليها ، اضاف الى نفسه شعورا آخر .

شعور الهزيمة وهو لم يهزم امام امراة مرة واحدة لان امراة واحدة لم تمتنع عليه ، الا هى . ومن هنا تضاعف ارقه وتضاعف قلقه وتضاعفت رغبته اليها تكاد تصبح سعارا .. ووجد نفسه امام حائط شاهق يسد عليه الطريق ، وكان عليه ان يفعل شيئا ..

***

أز الجرس ق ردهة منزلها ففتحت الباب ، واذا به امامها وجها لوجه ، انه مروان ..

فوجئت به فقد كان آخر من تنتظر .. واسرع هو يعتذر ..

ـــ ليس من مبدئى ابدا ان يزور انسان انسانا دون موعد سابق ، ولهذا اعتذر عن هذا السلوك وعذرى اننى عجزت عن الاتصال بك لتحديد موعد لهذه الزيارة .

اسرعت تمد يدها مصافحة مرحبة وهى تقول :

ـــ يا خبر يا استاذ مروان .. هنا بيتك واهلا بك فيه وسهلا .. تفضل .

وادخلته واغلقت الباب .

وهما ق طريقهما من باب المسكن الى غرفة الضيوف ، كان بيده علبة انيقة فاخرة متوسطة الحجم ، تدمها لها وهو يقول بصوته الباسم :

الشوكولاته الجميلة دائما للبنات الصغيرات الجميلات .

ضمت كتفيها الى اعلا حياء وخجلا وابتساما وهى تتناول منه الشوكولاتة وتقول :

ـــ شكرا يا استاذ مروان .. انك اكتشفت ـــ كما يبدو لى ـــ اننى احب الشوكولاتة .

ابتسم مؤكدا .

ـــ ككل البنات الصغيرات .

ابتسمت أكثر .. واغضت حياء وفتحت غرفة الضيوف .

ـــ تفضل يا استاذ مروان .

الغرفة جميلة وانيقة برغم بساطتها التى تنم عن ذوق اوروبى ، وزعت مقاعدها واريكتاها بعناية ملحوظة بحيث تتسع للبيانو القائم ق احد اركانها ، ولمروحة كهربية يحملها قائم طويل من الصلب اللامع تحتل الركن الآخر المقابل .

ـــ تفضل يا أستاذ مروان .. هذه اجمل مفاجاة .. اقولها من قلبى حقيقة .

جلس وهو يقول :

ـــ ارجو الا يكون فيها اى ازعاج . لك . او لماما .

ابتسمت وهى تهلل بكلمتها التى تعيش بين شفتيها دائما لتتفتت من بينهما قطعا من السكر كلما ابدت دهشتها او اعجابها او خجلها او احساسا بالحرج .

ـــ يا خبر يا استاذ مروان .. ماما ستفرح جدا عندما تعلم أن حضرتك شرفتنا بالزيارة وانها ستراك . ساخبرها بتشريفك حالا .. لحظة واحدة من فضلك .

وضعت علبة الشوكولاتة جانبا واتجهت خارجة من الغرفة .

وهى تبتعد ..

وقد اولته ظهرها ، ملا عينيه من هذا الدلال الظالم ـــ جسمها ـــ كانت ترتدى قميصا من حرير ق صفرة ريش العصفور المغرد يعلو سروالا من الكتان الخفيف الرمادى .

السروال كان ضيقا .. يختــزن ويحتضـن كنوز شبابها البكر الذى أصابه بهوس يكاد يدمره .. وخيل اليه ــ وعيناه تأكلان هذا الويل الذى أذله .. ان خصرها .. والشعب المعربد تحته ، بوشوشانة بكلمة فى أذنه ، ولو سمعت هى الكلمة التى قالها خصرها وما تحته وهمسا بها له ، لتضرج وجهها حياء .

احس بما تحت خصرها وقد يملأ عينيه منه لأول مرة يراه داخل سروال ضيق يحتضنه ليعتصره ، احس به يزلزله ليقيمه ويقعده وهو فى مكانه فوق مقعده .

وخيل اليه ان وشوشة خصرها فى اذنه تحرقها وان زلزال ما تحته يكاد يحيله انقاضا وحريقا .

نهار اسود !!

اهذه بنت ككل البنات ؟؟ اهــذه من البشر ؟؟ مستحيل .

وقال لنفسه وهو يحاول ان يزدرد لعابه الذى جف حول حلقه .

ــ هذه واتوب .

ثم اضاف مصححا :

ــ بل هذه واموت .

وبعد دقائق هلت عليه تحمل صينية من الفضة تحمل كأسا من عصير البرتقال المثلوج والى جانبه قدح من القهوة .. تقدمت منه فى خطى متمهلة كما لو كانت طفلة فى الثامنة .

وقالت على استحياء :

ــ انا صنعت القهوة بيدى وارجو ان تعجبك .

واجلسها بالقرب منه بعد ان وضعت الصينية امامه وهى تقول :

ــ ماما فرحت جــدا عندما اخبرتها ان حضرتك هنا .. وستكون معنا بعد دقائق .

وانا مشوق جدا لرؤيتها .

وسألها عن احدث انباء عملهــا فاخبرته انهــا ستوقع ظهر الغد عقد فيلم جديد وان اجرها قــد ارتفع الى الفى جنيه .

دق ركبتها القريبة منه بكفه وهو يقول :

ــ مبروك .. وانت تعرفين من اين تصدر هــذه الكلمة البسيطة التى احاول ان اهنئك بها .

اجابت ببساطتها ووضوحها الدائمين :

ــ اعرف مصدرها تماما يا استاذ مروان .. انها من القلب .

ودخلت والدتها .. والأم والابنة ــ كل منهما صورة طبق الأصل من الأخرى ، ووقف مروان ، ووقفت ليلى تقدم الضيف .

ــ الأستاذ مروان يا ماما .. صــديقى الكبير واستأذنه فى ان اقول انه رائدى فاننى ــ كما تعرفين حضرتك ــ الجأ لمشورته فى كل مشكلاتى .

ابتسم مروان وهو يمــد يــده ليصافح يد الأم الشابة الجميلة لتصافحه مرحبة .. ورفعهــا الى شفتيه ومسها بقبلة احترام صـــغيرة صافية وهى تقول له :

ــ اهلا بك يا استاذ مروان .. ليلى حدثتنى عن حضرتك كثيرا ولا ادرى كيف اشكر لك رعايتك الدائمة لهــا :

وجلست وهى تدعوه للجلوس :

تبادلوا ــ ثلاثتهم ــ احاديث سريعة قصــيرة عابرة فى كل شأن .. المسرح ــ طبعا ــ والســينما

والصحافة والسياسة ، مجرد احاديث الف الناس تبادلها الى ان اوقفها مروان بلباقته الفريدة ليلقى قنبلته .

— يا نازك هانم — وكان قد عرف اسمها منذ دقائق من خلال الحديث — لقد جئت اليوم على غير موعد ، فلا حضرتك تعرفين ، ولا ليلى كذلك تعرف ؛ انني سأزوركما هذه الزيارة المفاجئة ولا الغاية منها .

ثم لحظة صمت قصيرة جدا قال بعدها بكل ثقة وهدوء في ادبه العالي .

— جئت اليوم لأسألك ان تزوجيني ابنتك ... أعنى ليلى .. فليس هناك غيرها .

المفاجأة كانت آخر ما تتصوره الاثنتان .. ليلى ووالدتها فكانت كطلقة مدوية تحت شجرة تعشش بين فروعها واغصانها آلاف العصافير التي تشقشق فرحا بالربيع ، فأوقف دوى الطلقة شقشقتها لحظات ، ثم لتعود سيرتها من جديد لتملأ الجو حياة وحبا وفرحا ومرحا باصواتها الصغيرة .. شقشقة آلاف العصافير في وقت واحد .. معا ..

وكانت الأم — نازك هانم — العصفورة الأولى التي قطعت هذا الصمت القصير الذى أحدثته المفاجأة .. الطلقة المفاجئة .

— والله يا استاذ مروان .. هذا شرف كبير كبير لأى اسرة أن تتقدم حضرتك لاحدى بناتها ولكنى أعتقد أن الرأى الأخير لليلى .

وكانت ليلى قد احست بالغرفة تدور بها وتميد فقد كان هذا آخر آخر ما تتوقعه .

المفاجأة اخذتها فعلا .. خطفتها وحملتها الى بعيد .. الى اين ؟ انها لا تدرى .. ولأنها لا تدرى

فانها — كذلك — لم تدر بم تجيب .. وسألتها والدتها لتقطع عليها سرحتها :

— ما رأيك يا ليلى ؟

ليلى بسطت كفيها الصغيرتين كمن اعجزتها الحيرة — اقصى درجات الحيرة — التى يعجز الانسان معها عن العثور على مجرد كلمة واحدة مناسبة ، واخيرا وجدت الرد المناسب وقد اعادت والدتها عليها السؤال .

— والله يا ماما .. انه — كما قلت حضرتك الآن — شرف كبير لأية اسرة ان يتقدم الاستاذ مروان طالبا احدى بناتها .. وانا شخصيا ..

وارتبكت .. واطرقت ..

ولم يضيع مروان ثانية من وقته .. وكان قد استعد تماما ليضع لعذابه حدا في هذه الزيارة .. فاخرج من جيبه علبة فاخرة مكسوة بالحرير « الكوردونيه » الأسود ، فتحها وقدمها لوالدة ليلى وهو يقول :

— نازك هانم .. اننى عندما جئتك بيتك سائلا اياك اغلى من عندك ، كنت على يقين من انك — وليلى ايضا — لن ترداني خائبا .. ولهذا احضرت معى هذه الشبكة ، والعلبة تضم معها — ضمنا — خاتمى الخطبة .. وكل املى الا تخيب احدا كما املى .

عندما فتحت الأم العلبة ، احست من فورها — ليلى كذلك ، احست نفس الاحساس — ان شمسا مضيئة اشرقت فجأة من داخلها ، فهى تضم سوارا من الماس ينشر من حوله مجموعة من اشعاعات مختلفة الألوان تخطف العين والنفس والقلب ، يتوسطها خاتم « سوليتير » يتم به التماثل الفريد بين القطعتين .. وكان أسفل السوار عن يمين ، خاتم رفيع رصع محيطه

بالماس .. وفى مقابله — عن يسار — خاتم آخر مماثل ..

انهما خاتما الخطبة ، حفر على احدهما — من الداخل — اسمها ؛ وعلى الآخر اسمه وتاريخ ذلك اليوم الذى ركع فيه مروان لاول مرة امام فتاة او امراة .

والعلبة كان منقوشا بداخلها شعار واسم كارتيه « باريس » اشهروا اغلى جوهرى فى العالم تخصص فى صياغة تيجان الملوك والملكات .

الأم قدمت الشبكة التى تليق بعروس ملك الى ابنتها وهى تقول :

— انظرى يا ليلى .. هذه شبكة تليق بملكة .

ثم وهى تبتسم :

— انا لا شأن لى بشىء .. فالأستاذ مروان صديقك الكبير كما اكدت لى اكثر من مرة .. والكلمة الأخيرة لك ، فاذا وافقت فسيسعدنى ان اقول لك مبروك .

رفعت ليلى الجنتين الخضراوين — عينيها — وواجهت مروان بنظرة مشدوهة فقد أحست ان طوفانا يحملها فوق ذرى السحب ليهبط بها مهدهدا الى سطح بحيرة صافية هادئة .. انها لا تدرى ان كانت فرحة ام غير فرحة !! سعيدة ام غير سعيدة ! خيل اليها انها امام آلاف الدروب والمسالك المتشعبة يستقبلها كل منها داعيا اياها مرحبا آملا ان تختاره دون غيره ليكون طريق رحلتها عبر حياتها المستقبلة . ولكنها تحس بعجزها عن الاختيار .. وسمعت صوتا من اعماق نفسها يهمس قائلا :

— ماذا جرى يا ليلى ! وهل هذا عرض يحتاج

مجرد التفكير ولا اقول التردد !! هذه لفتة من لفتات التاريخ فى حياتك ، وتزوجى مروان الذى لم يتقدم بهذا العرض لغيرك من قبل طول حياته .. ان ألمع رجال مصر ، قد اختارك انت وحدك من بين كل بنات مصر .

أطرقت خجلا وحياء من حديث نفسها وان لم يسمعه غيرها ..

خجلت من نفسها فيما بينها وبين نفسها .. واحس مروان بأن اللحظة لحظته ولا يجوز ان يضيعها الا اذا كان أصما واعمى وابكما ، فتناول من يد نازك هانم العلبة التى تضم الهدية الفريدة واخذ السوار منها وامسك بمعصم ليلى واحاطه به ، ثم بخاتم الخطبة المكتوب اسمه عليه فأحاط به بنصرها الأيمن ؛ ومن فوقه ، ضغط بالسوليتير الثمين النادر ليحميه .

تركت له معصمها وكفها واصابعها فى استسلام بسامة وديعة صغيرة فالبسها فى هدوء شبكتها وخاتم خطبتها اليه فكأنها — باحناءة راسها خجلا — قد وقعت — أو مهرت — موافقتها على أن تكون زوجا له دون أن تفتح فمها بكلمة .. كان صمتها ابلغ واجمل واحلى وارق واشهى من اية كلمة يمكن أن تتفرج عنها شفتاها فى هذه اللحظة الفريدة من لحظات عمرها .. ثم اخرج الخاتم الآخر الذى يحمل اسمها ولم يشأ ان يضاعف من خجلها فيسألها أن تقوم هى بوضعه حول اصبعه .. فلما رأته الام — وقد هم بأن يفعل هذا لنفسه بنفسه — قالت لابنتها فى صوت رقيق خفيض :

— الا تلبسين عريسك الخاتم الذى يحمل اسمك يا ليلى ؟

وكان وجهها كالارجوان خجلا وحياء وقلقا وارتباكا ، الى نهاية هذه المعانى التى يكابدها الانسان — اى انسان — فى لحظة يواجه فيها مصيرا من مصائر حياته .

احاطت اصبعه بالخاتم الذى يحمل اسمها .. ورفع اصابعها الى شفتيه ومسها بهما فى رقة بالغة .. ثم اخذ كف والدتها بين كفيه وقبلها قبلة طويلة وهو يقول :

— نازك هانم .. انى لن انسى لك قط وقفتك الكبيرة اليوم الى جانبى .

ثم مبتسما وهو يشير الى ليلى محللا مداعبا :

— بينى وبينك ، كنت اخشى « خربشة » هذه القطة الجميلة واعمل له الف حساب .. ووجودك بكل تاكيد — كان له اثره للفوز بشرف موافقتها ...

ثم محللا اكثر :

— هذه البرنسس .

ثم بحركة مهذبة ، اخرج من جيب سترته الداخلى ظرفا اخضر جميلا قدمه لنازك هانم وهو يقول بصوته الواثق الخفيض :

— نازك هانم ، لا اقول ان هذا مهر ليلى لان مهر ليلى يعجز كنوز قارون ، ولكنها تقاليد موروثة لا يمكن تجاهلها .. فى هذا الظرف ثلاثة آلاف جنيه .. ولن تكونى بحاجة لان تشترى منها لليلى مجرد منديل يد كما يقولون ، فاننا نطير بعد عقد القران مباشرة الى اوروبا لاحضر لها — ولحضرتك قبلها — كل شىء .. اما البيت ، فانى ارجو ان يعجبك بيتى عندما تشرفاننى غدا على طعام العشاء .

غلب الضحك ليلى وهى تقول :

اتسمى هذا بيتا يا استاذ مروان ؟ انه قصر يا ماما وستشهدين بنفسك غدا .

اجابته والدتها ، وقد وضعت الظرف كما هو جانبا :

— انا مشوقة حقيقة لان ارى بيتك فقد كلمتنى ليلى عنه كثيرا ..

وقبل ان يودعهما ، وجه لهما دعوة للعشاء فى الليلة ذاتها ، وفى مكان مفتوح ، فقد كان الوقت صيفا بعد ان دار الحول على لقائهما الاول بعد تخرجها فى معهد التمثيل ، فاتفقوا على ان يمر بهما فى العاشرة مساء ..

— ١١ —

حول مائدة العشاء بسطح فندق سميراميس ، اتفقوا على ان يتم عقد القران مساء الاحد التالى اى بعد ثلاثة ايام .. واقترح جادا ان تكون الام فى صحبتهما .. ولكنها ابتسمت فى شفافية الملائكة وهى تقول له :

— سافر انت بالسلامة مع عروسك يا استاذ مروان ، ويكفينى أن اتلقى منكما بطاقة من كل بلد تهبطانه ..

***

دخل بهـا ...

مروان دخل بليلى فى احد الكهوف التى شكلتها الطبيعة فى حضن حلقة من سلسلة الالب الشماء المحيطة بسويسرا « مون بلان » والمطلة على بحيرة ليمان ..

فندق صغير من صنع الطبيعة والانسان معا ... وفى غرفة رحبة بسيطة الاثاث مجهزة بكل حاجات الانسان ..

هكذا اختار مروان هذا المكان الساحر المنعزل القصى الجميل ، ليدخل الجنة التى اهدر من عمره عاما طويلا كاملا فى محاولات مستميتة ليقفز اليها من احدى نوافذها .. فلما امتنعت عليه ايقن من انه لا سبيل اليها الا بابها تسعى اليه صاغرا يدقه فانفتح له :

الفندق صغير ، محدود الحجرات ، كذلك عدد نزلائه لا يزيد عن عدد هذه الحجرات والوصول اليه من جنيف متعة للعين والنفس والقلب ، ولكن الاقامة فيه تضيف الى هذا كله متعة أخرى .. متعة الحب والوصال عندما يفنى اثنان — كل بين احضان من يحب ومن قطع كل هذه الرحلة الطويلة لينهيها بين ذراعى هذا الحبيب الغالى ..

الطوح على مدى البصر .. ومجرد النظر الى آفاقها البعيدة ، يساقط فى نفس الانسان الاحساس بانه يعود بعمره ملايين السنين ، الى الجنة يوم أن كانت تقتصر على ساكنين اثنين — آدم وحواء — ولا بشر غيرهما فى ظلالها الوارفة .. والصمت له اصوات رقيقة حالمة توشوش الروح .. والروح تستمع لهذه الوشوشات وتنصت اليها وتفهم عنها ما يقوله هذا الصمت بلغته التى لا يفهمها الا من شفت أرواحهم فهم يرون ويسمعون ويلمسون ويشمون ويذوقون ما لا يرى او يسمع او يلمس او يشم او يذوق غيرهم من بلايين البشر .

عندما جردها من ثيابها قطعة قطعة باصابعه الماهرة المدربة ، واصبحت امامه كحواء فى مثل هذه الجنة ، اصابه شبه دوار وكاد يجن .. كاد يصيبه الهوس .. عيناه تكاد ان تتحجران فى محجريهما فى نظرة واحدة ثابتة تنهلان من هذا الحسن الفريد فلا تتحولان عنه ، هذا الذى دوخ التجارب ودوخته التجارب وشاهد ما لم يشاهده غير قلة من رجال العالم مع ملكات الحسن فى كل عواصم العالم .

وكانت هى — بين ذراعيه — كالغزال الصغير الخائف المذعور عندما يحس بالباشق وقد انقض عليه

ينهش لحمه الغض الطرى بعد جوع طال به أياما متعاقبة فى جوف الصحراء ..

كان كالجائع الذى يأكل ويعرف ان هذه آخر وجبات عمره .. ولم يحرم حاسة واحدة من حواسه الخمس من ان تفوز بزادها من هذا الحسن الشهى الفريد ..

ولم يفلتها من بين ذراعيه الا ضحى اليوم التالى وقد ترك على خبايا جسمها واسراره ودقائقه وانحناءاته واستداراته آثار شفتيه دوائر دوائر وردية وحمراء وزرقاء .. وعندما التقطتها عيناها فى صقال المرآة ضحى اليوم التالى وهى ترتدى ثيابها قالت له — والخجل يذيبها :

— لن أستطيع ان ارتدى ثوبا باكمام قصيرة او بكتفين مكشوفتين لعشرة أيام مقبلة على الأقل ..

ابتسم وهو يلتقط كتفها العارية بين شفتيه واجابها :

— وهل يتيح الجو هنا لأى فتاة أن ترتدى مثل هذا الثوب ؟

اطرقت وسكتت ..

من حضن الجبل عادا الى جنيف .. ومن جنيف الى زيوريخ ثم تركا سويسرا الى لندن ومن لندن طارا الى باريس ، وكانا يمضيان فى كل بلد من هذه البلاد بين ثلاثة أسابيع واربعة ، وفى ارقى فنادق العالم واغلاها تكلفة لا يطيقها الا الملوك وأصحاب الملايين .

فى جنيف اقاما فى فندق « دى بيرج » وفى لندن اقاما فى دوشستر وفى باريس اقاما فى جورج الخامس ..
فى باريس طاف بها ارقى بيوت الأزياء فى العالم

فاختارت لنفسها ولوالدتها ما ضاقت به سبع حقائب كبيرة .. كانت سعيدة بالرحلة .. فقد كانت بالنسبة لها حلما لم يكن يخطر لها يوما ان يكون حقيقة ملموسة رائعة .. ان تطوف باجمل عواصم الدنيا خلال رحلة كهذه تتكلف الألوف ..

ما هذا الرجل الاسطورى ؟؟ ومن اين له كل هذا ؟
هل يكسب صحفى — مهما ذاع صيته وعلا قدره — ومروان بلا ادنى شك ذائع الصيت عالى القدر — هل يكسب صحفى ما يتيح له مثل هذه الرحلة ؟
وتذكرت ان هذا ليس جديدا عليه فقد قرات كثيرا عن اسفاره الطويلة ورحلاته التى لا نهاية لها وكانت تمتد به — احيانا شهورا طويلة ..

ذات مساء — وهما يمضيان السهرة فى « ايف » ، حواء ، احس بها ساهمة لا تتحدث ولا تضحك ولا تمرح كعادتها فسألها ما بها فاجابته :

— ماما .. اوحشتنى .. وفى عمرى ما ابتعدت عنها يوما واحدا ، ونحن بعد اسبوع نتم ثلاثة أشهر بعيدا عنها ..

ولمح طبقة رقيقة من الدموع تلمع فى عينيها فاسرع يقول :

— نسافر الليلة اذا حببت فاننى لا احتمل ان ارى دمعة فى عينيك .

عضت على شفتها السفلى لتمنع الدمعة من ان تنحدر فوق وجنتها وقالت تشكره :

— شكرا يا مروان ..

قالتها همسا وبالفرنسية ..

وفى اليوم التالى كانت الطائرة تحملها الى القاهرة ..

— ١٢ —

فى القاهرة ، ليلى وجدت عقدين فى انتظار توقيعها لتبدأ الوقوف امام عدسات التصوير بعد اسابيع .. ووجدت مسرحية لواحد من كبار كتاب المسرح تم اختيارها فى غيبتها لتقوم ببطولتها .. وانتقلت الى بيت مروان — بيتها الجديد .. ولم تأخذ معها من غرفتها او من خزانة ملابسها مجرد « قطة » كما يقولون ، فتركت اثوابها واحذيتها وحقائب اليد وادوات الزينة وكافة احتياجاتها — كبيرة وصغيرة — كما هى ، فقد كان فى ما احضرته معها من الخارج اكثر من كفايتها بكثير ...

وبدات حياتها ونشاطها بملء حياتها ونشاطها وشبابها وحيويتها .. ولم يمر يوم دون أن تمر بوالدتها .. لتراها .. لتجلس معها .. لتتحدث اليها .. لتقبلها . لتضمها الى قلبها .. لتسألها حاجتها او حاجاتها .. وكانت الأم تجيبها دائما بانها لا ينقصها شىء .. ولكن ليلى كانت تقول لها دائما :

— ماما — ارجو الا تغيب عن حضرتك حقيقة واحدة مؤكدة .. اننى اذا سألت حضرتك ان كنت فى حاجة لأى شىء ، فلأننى قادرة والحمد لله — وبرضاك وبدعواتك — على الوفاء بهذا من عملى .. اعنى من « مالك » وليس من مال مروان .. واقول مالك لأن مالى — ان كان لى مال — فهو مالك انت فهو منك ولك وانا نفسى — لا املك نفسى لاننى ملك خاص لك . والرزق — والحمد لله — يقبل علينا من اوسع الأبواب كما ترين .

وتقبلها الأم وتضمها الى قلبها وتهمس والسعادة تشيع فى همسها ..

— لم اشك فى هذا لحظة واحدة يا ليلى ..

وعندما تسلمت مقدم اتعابها عن تمثيلها الفيلمين اللذين كانا فى انتظار عودتها من الخارج ، سلمت والدتها المبلغ كاملا ، وكان الفى جنيه وهى تقول فى رقتها الآسرة وتواضعها الناصع الجميل :

— يكفى ان تباركينى يا ماما ..

وفتحت الأم لابنتها حسابا باسمها فى فرع بنك مصر القريب من البيت وكانت تودعه كل ما تسلمها اياه من هذه المبالغ الكبيرة ..

الى ان كان يوم ...

احد أيام شهر نوفمبر ، وقد بدا لهيب الصيف يجر اذياله مودعا لتستقبل الدنيا اجمل شهور السنة ، وكانت قد انتهت من تصوير الفيلمين اللذين تعاقدت على تمثيلهما بعد عودتها ، كما بدات الفرقة القومية تقديم مسرحية لا تقوم هى بتمثيلها فكانت فى شبه اجازة قصيرة ..

كانت فى زيارة والدتها لتخبرها — على استحياء شديد — بان « الهلال » الذى يظهر فى اول كل شهر قمرى قد تأخر ظهوره هذا الشهر ..

ابتسمت الأم ابتسامة مضيئة وهى تسأل ابنتها فى حنان دافق :

— يا حبيبتى يا بنتى .. كم يوما تأخر يا ليلى ؟

— اكثر من عشرة أيام ..

— هذا اجمل وارق خبر سمعته فى حياتى ... يا رب يا ليلى ..

سألت الابنة امها كما تسأل التلميذة استاذتها ..

— ولكن ، هل معنى هذا التأخير ان الحمل مؤكد ؟
— نستطيع ان نقطع الشك باليقين فورا ..
— كيف ؟
— نستشير الدكتور جلال الآن .. عيادته — كما تعلمين — معنا ، فى نفس العمارة ..

ثم ربتت الام خد ابنتها فى رقة بالغة كما لو كانت طفلة وهى تقول :

— يا حبيبتى يا ليلى .. كان هذا املا عزيزا غاليا من امالى .. ان اعيش لأرى ابنك او ابنتك ..

ثم دقت ركبتها باطراف اصابعها وهى تقول :

— تعالى معى ابدل ثيابى لأصحبك الى الدكتور جلال قبل ان تزدحم عيادته بزائريه ..

***

اكد الدكتور جلال لليلى انها حامل بعد ان اجرى — فى دقائق — الاختبار اللازم فى مثل حالتها .. حالة الحمل المبكر الذى لم يمض عليه شهر والذى لا يؤكده او ينفيه الفحص العادى .. وعندما انفردت بوالدتها بعد مغادرة عيادة الطبيب ، راحت تمطرها استفسارات لا اول لها ولا آخر .. والام تجيبها وتبصرها بخفايا واسرار التجربة الفريدة فى حياة كل امرأة ..

— انت ما عليك يا ليلى الا ان تقومى بالسلامة ان شاء الله وان تتركى لى الولد او البنت لتتفرغى لعملك .. وليظل بيتك محتفظا بهدوئه ..

ليلى ضمت والدتها الى قلبها وهى تقول :

— ربنا يحفظك لى يا ماما ولا يحرمنى اياك ابدا .

ثم بعد لحظة صمت ..

— اية مفاجأة لمروان عندما احمل له الخبر الليلة .
— اين هو الآن ؟
— فى مكتبه ..
— لم لا تخبريه عن طريق التلفون .
— افضل ان افاجئه به ونحن معا ..
— احلى ..
— واوقع ..

ثم بعد لحظة صمت ..

— ستكون فرحته مضاعفة ، فكلما تقدمت السن بالرجل كلما تضاعفت فرحته بان ينجب .. ومروان وان لم يكن قد تقدم به العمر كثيرا ، الا انه على اية حال قد تخطى الاربعين ، نستطيع ان نقول بعامين .. مثلا .. ربما ثلاثة ..

— معك حق يا ليلى .. كان يمكن ان يكون زوجا منذ اكثر من عشرة اعوام .. وكان يمكن ان يكون ابا لاربعة او خمسة اولاد وبنات ..

ضحكت ليلى وهى تقول لامها :

— لا اربعة ولا خمسة يا ماما .. هو — ان شاء الله ولد واحد او بنت واحدة وكفى ..

***

الزلزال ....

الزلزال اجتاح البيت فى هذه الليلة السوداء سواد الهباب ..

وهى تنقل النبأ الذى هزها فرحا — انها حامل — كانت تخاف ان تقتله من الفرحة .. فقتلها هو من الغم .. فقد سألها وكان صوته يأتيها من بئر عميقة آسنة ..

— حامل !! متأكدة ؟؟

أجابته وقد خيل اليها ان الفرحة المفاجئة كانت اكبر من ان تجعله يصدق النبأ بسهولة وانه بحاجة لأن تؤكدها له .

— كل التأكيد .. لقد زرت — ماما وانا — الدكتور جلال — عيادته فى نفس العمـــارة التى نسكنها فى الروضة فاجرى التحليل اللازم وقال لى مبروك .. حمل مؤكد فى شهره الأول .

لم يجب .. ولم يعلق .. واستمرت هى :

— ماما كانت تريد منى ان انقل لك الخبر بالتلفون وانت فى مكتبك ، ولكنى فضلت أن اقوله لك وانت معى لأقبلك هكذا ..

وقبلته ثم اضافت :

— ولأقول لك مبروك .. ستصبح ابا لأجمـــل ولد او بنت فى الدنيا .. اسمع يا مروان .. تريد المولود ولدا او بنتا ؟

وافاقت الى نفسها فقد لاحظت انه ساهم لا يتكلم . لا يجيب .. لا يعلق .. لا يشاركها فرحتها وثرثرتها فسألته :

— مروان .. مالك ؟

كانا يتوسطان البهو الخارجى فقد سمعت مفتاحه يدور فى الباب لحظة وصـــوله فسعت اليه تستقبله لتزف اليه النبأ .. اشار الى احد المقاعد الكبيرة وقال لها فى هدوء ..

— ليلى .. اجلسى ..

جلست مبهوتة فقد احست ان هناك شيئا ولا شك . وجلس على المقعد المقابل وسألته :

— ماذا هناك يا مروان ؟ وماذا جرى ؟

— اسمعى لى جيدا يا ليلى ..

— اسمعك يا مروان ..

— هذا الجنين يجب أن تتخلصى منه ..

— ماذا تقول يا مروان ؟

— الليلة ..

— مروان .. اتتكلم جادا ؟

— لم اكن فى حياتى جادا كما انا فى هذه اللحظة ..

— ولكن لماذا أتخلص من ابنى أو ابنتى ؟

— لأننى لا احب ان انجب .. لا احب ان اكون ابا ولا احب ان يكون لى ابناء وبنات .

— ولمـــاذا تزوجتنى ؟

— لأننى احببتك ..

— انت لم تحبنى قط ..

— ولمـــاذا تزوجتك اذن اذا لم اكن احببتك ؟

— لأنك اشتهيتنى .. اشتهيتنى وحسب ، وعندما عجزت عن أن تنالنى بطريقتك تزوجتنى لتنالنى ... لتنالنى وحسب ايضا . لا لتكون زوجى وابا لأولادى منك ...

اشعل سيجارة تباطأ وهو يرشقها بطرف المبسم الذهب الطويل وهو يقول :

— لا داعى لهذه التعبيرات الحادة ..

دقت كفا بكف وهى تواجهـــه بعينيها الخضراوين وقد اشتعل فيهما الغيظ ..

— تسمى حديثى تعبيرات حادة وانت تطلب منى ان ارتكب جريمة قتل !! ان اقتل ابنى او ابنتى ..

واجه نظرتها بنظرة اقوى وهو يقول فى صوت عميق عمق اليم الراكد الكدر .

— كل هذا لا جدوى منه يا ليلى .. ستتخلصين من الجنين ، يعنى ستتخلصين ..

— انت تطلب منى المستحيل .. اسمع ..

— نعم ..

— الا ترانى جديرة بان كون ام اولادك ؟

— لم اقل بهذا !

— سؤالى اذن لا يزال قائما .. لماذا تزوجتنى وانت ترفض استكمال مقومات هذا الزواج .. اعنى الاولاد ؟

— قلت لك اننى احببتك ..

صرخت به فى صوت مكتوم :

— لا تقل هذه الكلمة مرة اخرى .. انك لم تحبنى قط .. انك اشتهيتنى وحسب .. فلما انطفأت النار التى كانت تحرقك ، فرغت منى لتعود سيرتك الاولى . وقد فاتك ان كل شهوة الى انطفاء .. ولو امتنعت عليك كل من تشتهيهن لتزوجت كل شهر فتاة وهذا مستحيل طبعا ، وكنت انا تجربتك الاولى لسوء حظى التعس فاننى عندما امتنعت عليك ، لم تجد امامك الا الزواج لتأخذ حقا وحلالا ما امتنع عليك حيلة وحراما ..

— سافترض صحة ما تدعين ، الم تسمعى عما يسمونه زواج المتعة ؟

صرخت به فى تقزز ..

— اسكت .. ولا ترد ..

— انى احببتك ولهذا تزوجتك ..

— انت تتحدث عن زواج السادة بالعبيد ، وكما اننى لم اكن فى حياتى عبدة قط ، كذلك انت لم تكن فى حياتك سيدا قط .

عبارتها كانت سوطا الهب وجهه فادماه فهتف باسمها ..

— ليلى ...

ولم ترحمه فاضافت :

— انت تتخفى فى ثياب السادة ، ولكنك لست منهم ولم تكن منهم فى حياتك قط ...

ثم لحظة صمت سألته بعدها :

— قل لى يا استاذ مروان .. من انت ؟

— ماذا تعنين ؟

— انى اسألك سؤالا بسيطا سهلا واضحا : من انت ؟

— انا مروان توفيق ..

— اعرف انك مروان توفيق .. ولكن من انت وما انت ؟ فان من اراه امامى الآن مخلوق لا اعرفه كان يتخفى تحت قناع وجلد شخص عرفته وتزوجته اسمه مروان توفيق .. فقل لى من انت وما انت ..

اجابها وقد بدات نبرة خشنة تشوب صوته ..

— هذا الموقف يجب ان ينتهى الآن .

— تستطيع ان تعتبره منتهيا بلا اى تراجع فاننى لن اتخلص من ابنى او ابنتى لاننى لست زانية حملت به او بها من عشيق التقيت به فى الظلام ، بل من زوج تزوجته فى النور وامام الدنيا باسرها ..

— وانا لست على استعداد ابدا لان انجب وان اكون ابا .

— وانا لست على استعداد ابدا لان اضحى بابنى او ابنتى .. انظن انك احسن منى ؟ ارقى منى ؟ افضل منى ؟ من اسرة يخيل لك الغرور انها اكرم من اسرتى ؟ انت واهم يا استاذ مروان ..

— لست واهما ، فاننى فى تمام وعيى .

— فانت اذن رجل مريض .. رجل يتزوج فتاة

بعد سعيه وراءها حبا وعشقا نحو علم كامل ، ثم يرفض ان يكون ابا لأولاده منها .. بماذا يمكنك ان تصف مثل هذا الرجل الا بأنه رجل مريض ..

— للمرة الثالثة والأخيرة ، اقول لك ان هذا الموقف يجب ان ينتهي ..

— وانا للمرة الالف اقول لك ، تستطيع ان تعتبره منتهيا بلا اى تراجع .. انني لن اتخلص من ابني او ابنتي لانني لست زانية .. اني حملت من زوجي وسأستقبل ابني او ابنتي من زوجي .

— افهم من هذا انك اخترت بيني وبين هـذا الجنين ؟

— اخترت ابني او ابنتي وهو اسهل اختيار .. ولو ملكت أن اقول لك انت طالق ما ترددت لحظـة في ان اصفعك بها .. ولكن هذه الكلمة لك وليست لي بكل اسف ..

— سارسل لك وثيقة طلاقك — وهذا شـيك ساحرره لك .. تستطيعين سحب قيمته من البنـك غدا صباحا ..

واخرج من جيبه دفتر الشيكات وقلما من الذهب الخالص وراح يحرر الشيك وهو يردد ما يكتب ..

— السيدة ليلى محمد محمود حسن عبد الحكيم . مبلغ عشرة آلاف جنيه مصرى لا غير ..

ونزع الشيك من الدفتر وقدمه لهـا وهو يقول :

— تستطيعين اعتبار هـذا المبلغ تعويضـا ، تعتبرينه نفقات تربية المولود ، تعتبرينه اى شيء ..

تناولت منـه الشيك ، ومزقته في هدوء مثير ثم القت به فوق الطاولة التى تفصل بين مقعديهما وقالت له وابتسامة مرة على شفتيها :

— هذا الشيك ومثله — يا اسـتاذ مروان — تستطيع ان تقدمه الى اى عاهر ممن اعتدت معاشرتهن فتقبله ثمنا لمـا تطلب منها « حتى اذا سألتها ان تقتل ابنها او ابنتها جنينا بين احشائها .

ثبت عينيه في عينيها طويلا ثم تساءل كمن يحـدث نفسـه ..

— انت ! يخرج منك كل هذا ؟

— مصـيبتك في اعتقادك انك تستطيع شراء كل شيء بالمـال وانك لم تتعـود ان يجرؤ احد على مراجعتك .

— انى اسـعى لراحتك ، فبدلا من ان تطـرقى ساحات المحاكم من خلال دعوى يقيمها باسمك احـد المحامين مطالبا بحقوقك ، فانني قدمت لك هـذه الحقوق باضعاف اضـعاف ما يمكن ان تحكم به لك المحاكم بعد سنوات .

نظرت له وعلى شفتيها ابتسامة تقزز .

— انت لن تصل الى فهمى قط يا استاذ مروان ، وتستطيع ان تطمئن الى ان مثل هذه الدعـوى لن تنظرها اية محكمة لانني لا اريد منك شيئا ولن اقبل منك شيئا .. اتعرف لـماذا ؟ لانني استطيع ان انفق على ابني او ابنتي وان احسن تربيتهما وتعليمهما من مالى انا لا من مالك انت .. اكثر من هذا .. انني سابرح هذا البيت — الليلة — بهذا الثوب البسيط الذى تراه على وساردّه اليك بمجرد وصولى الى بيت والدتي لتضمه الى كل ما اشتريت لى من الخـارج لانى لن آخذ مـما اشتريت لى شيئا ، وانت لم تاخذني عارية ..

ثم بعد لحظة صمت .

ـ تستطيع أن توزع كل هذا على صديقاتك دون أن تكلفهن مشقة الطواف بالهام وأيرين و اليزابيث حتى لا تخيب احداهن أملك كما فعلت واحدة من قبل عندما خيل اليك أنك ستنالها بألف ثوب وسيارة ..

وخلعت من أصبعها خاتم الخطبة ووضعته برفق فوق الطاولة بينهما وهى تضيف :

ـ وهذا الخاتم لم يعد لى ؛ تستطيع أن تحتفظ به لتقدمه لعروسك التالية التى ستضطرك لزواجها ..

ثم بسخرية مرة .

ـ لا تنسى أن تغير التاريخ الأسود المحفور على محيطه الداخلى .

ثم وهى تنهض واقفة :

ـ لا تندهش مما سأقوله لك :

ـ لم يعد يدهشنى شىء منك .

ـ الشبكة ـ السوار والخاتم ـ فى علبتهما ، فى خزانة الملابس وأنت تعرف مكانهما .

واتجهت نحو الباب خارجة ، ولكنه حاول أن يستوقفها .

ـ ليلى .. لا تهدمى حياتك بهذا العناد الغريب .

مسحته بنظرة ساحقة وهى تقول فى كبرياء الآلهة :

ـ ان ابنى أو ابنتى ـ وقبل أن أرى أبيهما ـ أغلى بكثير من حياتى مع رجل اكتشفت حقيقته على هذا النحو المفجع الأليم .. واعلم اننى لن أشركك بنسبة أبيهما اليك فلن يحمل اسمك الكريم لقبا ما دمت تنكرهما ـ معا ـ من الآن .

وانطلقت نحو الباب تحيط بها كوكبة من الحسن والبهاء والاعتزاز والكبرياء .. كبرياء الآلهة ..

وخرجت ..

ـ ١٢ ـ

فى نفس المساء روت لوالدتها ما جرى كلمة بكلمة .

وكان الهدوء أبرز ما اتسمت به وهو تقص مأساة هذا الرجل معها .. والتعبير استرعى انتباه والدتها فسألتها مقاطعة :

ـ تسمينها مأساته وكنت أظنها مأساتك انت ..

ـ بل مأساته هو يا ماما فهو رجل تعس لا شك فى هذا أبدا ، وبل رجل يعيش لنزواته وحسب ، والمال والشهرة وذيوع الصيت والنفوذ تمد له ـ جميعا ـ فى غيه فيصور له غروره أن كل هذا يجيز له أن يتزوج مثلى زواج المتعة كما لم يعف ـ أو حتى يتعفف ـ عن مواجهتى بهذه العبارة صريحة وعارية بكل قبحها المقزز .

هزت الأم رأسها فى أسف وهى تقر ابنتها .

ـ الحق معك يا ليلى .. فالمأساة مأساته هو لا أنت .

ـ أنا لا مأساة لى .. وثيقة الطلاق تصلنى بعد أيام وأنا متأكدة من هذا لأن مثل هذا النوع من الرجال لا يمكن أن يغفر لمن عجز عن اخضاعها لتركع أمام قدراته ، بل وتزيد فترغمه على أن يركع وقد ركع مروان وهذه واحدة ، والثانية اننى استطيع أن اتزوج افضل وألمع شباب البلد بعد مضى تسعين يوما لا تزيد يوما واحد ، وهى مدة العدة القانونية ، ولكنى لن أفعل ، والثالثة اننى انتظر صبحة ابنى أو ابنتى باللهفة التى تستطيعين حضرتك أن تتصوريها وتصفيها أفضل منى لأنك جربتها من قبل ، والرابعة

يا ماما ، ان الله سبحانه وتعالى قد فتح لى ابواب الرزق على مصاريعها بفضل رضاك ودعواتك ، والفلوس تتسابق الى من كل جانب الوفا الوفا والحمد لله . وساكرس حياتى لحضرتك ولابنى او ابنتى .. فالرجل — بصفة عامة — ليس كل شىء بالنسبة للمراة ، فهناك ما هو اجمل واكرم من هذا بكثير ، ولقد ضربت لى المثل العالى برفضك كل من تقدموا لك بعد وفاة المرحوم لتعيشى من اجلى ..

ثم بلهجة هامسة وكانها تخاطب نفسها :

— هذا الحيوان ..

ثم الى والدتها بمرارة اليمة ..

— حيوان يا ماما ، اقسم لك .. فى لحظات ما .. كنت احس — وهو معى — اننى فريسة لحيوان ولست مع انسان .. ولم اكن ادرى ان يصل الرجل احيانا الى ما كان يصل مروان اليه فى لحظا تحميمة .

وكم تملكنى الخجل والاحساس باننى عشيقة عابرة لا زوجة مثلت المرات — الوفها — على مدى الليالى الطوال .. كنت اخجل من نفسى يا ماما .. ومما يفعل

ثم ، وقد لمعت الدموع فى عينيها :

— ومع ذلك ، فهو لا يريد ابنه او ابنته منى ..

فجاة جفت الدموع فى عينيها وابتسمت ابتسامة آسية وهى تقول :

— قد يقول الكثيرون عنى هذه مجنونة او مغرورة ، فما تساوى حياة جنين فى شهره الأول ، نشهور الحمل لتضحى من اجله بحياة مع زوج مثل مروان ؟ ولكنى فعلت ما هدانى احساسى اليه يا ماما .. فانا اعيش مع حضرتك — وفى ظلك — وبفلوسنا ، ملكتين .

ثم وكانها قد نسيت كل شىء عن المأساة التى لم يمض على وقوعها اكثر من ساعتين .

— ما رايك يا ماما .. نتناول عشاءنا الليلة معا خارج البيت ؟

وقامتا تبدلان ثيابهما استعدادا لسهرة كانت حدا فاصلا بين حياة امتدت شهورا بين ليلى ومروان .. فان وثيقة طلاقها قد وصلتها قبل ان ينتهى الاسبوع .. ومن جهتها ، فانها اسقطت من حياتها هذه الفترة التى عاشتها مع مروان واعتبرتها كأن لم تكن ، اكثر من هذا فعلت .. فقد استردت من والدتها مهرها الذى قدمه لها يوم تقدم لخطبتها ، ثلاثة آلاف جنيه ، وارسلته اليه تحويلا عن طريق البنك قائلة — كما كتبت له رسالتها الأخيرة لا تملك ان تستبقى لنفسها قرشا من رجل كان هذا سلوكه معها حتى لو كان هذا القرش مهرها .. صداقها .. حقها الذى شرعه الله لها .

هل تملك فتاة فى سن ليلى وفى تجربتها الضيقة المحدودة مثل هذه القوة وهذا الكبرياء وهذا الاباء ؟

ليلى وحدها تملك هذا جميعا فقد كانت شيئا غير مالوف للمالوفين من البشر الذين قد يرون فى سلوكها هذا تطرفا تظلم به نفسها .. ولكن عبارته الجارحة — زواج المتعة — كانت لا تزال طعمها فارادت ان تردها له لاسعة اكثر وقد استطاعت ونجحت .

— ١٤ —

عندما جلست كبيرة الحكيمات بالمستشفى امام السرير الذى ترقد ليلى عليه لتملأ شهادة ميلاد طفلتها بالبيانات الرسمية ، وكانت نازك هانم تجلس بالقرب منها .. وجهت كبيرة الحكيمات اسئلتها لليلى ..

— اسم المولودة يا هانم ..

— ماجدة .. لقد اتفقنا — ماما وانا — على اختيار هذا الاسم الجميل .. ماجدة ..

اسم الوالد .

— محمد حسن .

— اسم الجد والد الأب .

— المرحوم محمود عبد الحكيم .

— اسم الوالدة .

— ليلى ..

— اسم الجد والد الام ؟

— محمود حسن .

ابتسمت كبيرة الحكيمات وهى تقول :

— اسماء متشابهة .

— ازواج وزوجات من اسرة واحدة تقريبا ..

— مبروك يا هانم .. بنت فى نور القمر وبهائه وربنا يحفظها لحضرتك .

وبارحت كبيرة الحكيمات غرفة ليلى لمباشرة عملها

❊ ❊ ❊

استأنفت ليلى عملها وجريها وسعيها ودأبها بعد ثلاثة اشهر من مولد ماجده ..

وجرت الألوف بين يديها أكثر ..

والألوف التى جرت بين يديها لم تغيرها جوهر

شفيفا مضيئا نقيا .. كل ما احدثته هذه الوف من تغيير انها انتقلت الى مسكن ارحب واجمل وارقى يطل على النيل فى حى الزمالك .. واشترت سيارة ، وبرغم انها تعلمت القيادة واجادتها الا انها استأجرت سائقا يتولى قيادتها فقد كانت ترى أن هذه المهمة لا تليق بها الا فى حالات الضرورة الملحة .

وليلى ذهن مرتب كأمها .. او لعلها ورثت هذا التنظيم عن والدها فقد كان مهندسا والمهندس عقلية منظمة ولا شك .. ومن هنا فقد كانت تعرف ما تسعى لتحقيقه فتخطط له من الدقيقة اولى .. ومن الدقيقة الأولى كان تخطيطها لمستقبل الصغيرة الغالية .. ماجدة ، ابنتها التى كانت صورة طبق الأصل من امها فيما عدا العينين ، فقد كانتا سوداوين كعينى ابيها مروان .. كذلك انسحاب زاويتى الفم الى اسفل عند التقاء الشفتين ؛ ولكنها — فيما عدا هذا — كانت قطعة من امها وجدتها ، والدة ليلى ..

الحقتها منذ طفولتها بالمدارس الانجليزية فقد كانت تهيؤها لدراسة الطب فقد كان اعز آمالها ان تناديها قائلة .. يا دكتورة ماجده ..

وتجرى اعوام تنتقل بليلى من نجاح الى نجاح لتصبح ممثلة المسرح الاولى ولتصبح نجم السينما الاول قاسمها على نصف عدد ما تنتجه الصناعة من افلام فى كل مواسم الانتاج .. والألوف تتضاعف سعيا اليها فأقامت عمارة ضخمة فاخرة فى الزمالك ..

ومع الاعوام ، تكبر ماجده .. تطول وتستدير وتتلون وتصبح املا وعذابا — معا — لكل زميلاتها والشباب من اساتذتها فى كلية الطب وقد وصلت للسنة النهائية فلم يبق امامها اكثر من شهور لتتخرج

ولتصبح طبيبة وقد اختارت الأمراض النفسية لتكون
تخصصها .

ومع الأعوام ــ ذاتها ــ التي تجري ، تقع في مصر
أحداث ضخمة .. تغير وجهها ومسارها وقوانينها
وأسلوب حكمها ، وحتى اسمها .. تغير من الكلمة
الواحدة ــ مصر ــ الى اسم آخر .

زلزال قلب الدنيا فأصبحت مصر حديث الدنيا ..
وكانت السن قد تقدمت بمروان والصحة لم تعد كما
كانت والعافية لا تسانده وتصلب عوده بعد أن أنهكه
الافراط والتغيير الذي تناول وجه مصر تناوله
بالضرورة فقد كان يعمل في ظل نظام حزبي يتيح له
اكثر من الكثير .. بكثير .. اما بعد الزلزال ، فقد
حاصرته الأزمات وغلقت امامه الأبواب وقالت
(هيت لك) .. وهو لم يألف الا حياته التي عاشها
عمره .. حياة بأعرض وأوسع ما يكون العرض
والاتساع ــ كان يحيا كملك ؛ ولا ملوك الآن لأن
الملكية انتهت وهو الآن لا يزيد عن فرد من أفراد
الحاشية .

واحس ببرودة الوحدة ، دفع الاحساس بها الى
نفسه ذلك التغيير الكبير الذي فرض عليه وعلى
حياته .. وسمع نفسه تسأله يوما : لم لا تتزوج ؟
القطار لم يفتك تماما .. صحيح انه سبقك بعض
الشيء ، أكثر من اللازم قليلا .. ربما .. ولكنه
بالتأكيد لم يفتك وتستطيع اللحاق ولو بعربته الأخيرة
أنت بحاجة لمن يؤنس وحدتك وأن تنجب ما يرزقك
الله به ولدا كان أو بنتا وثق بأن هذا سيجدد حياتك
ويجعل لها مذاقا جديدا ..

ابتسم وقال لنفسه يسألها :

ــ أتزوج ؟؟ الآن ؟؟

وأجابته نفسه :

ــ لماذا تتعامى عن « ملك » وتتجاهلها ؟ ملك
من قريبات والدتك وهي مازالت أرملة في عز شبابها
وجمالها .. أصغر منك بشكل ملحوظ ، هذا صحيح
ــ ولكنك يجب ــ اذا تزوجت ــ أن تتزوج من في مثل
هذه السن فلا هي تحت أو فوق العشرين بقليل
لتعجزك ويعجزك شبابها وترويضها ولا هي فوق الأربعين
لتملأ حياتك هما وغما .

وسكتت نفسه قليلا لتعود تطيب مشاعره ..

ــ أنت بحاجة لمثل ملك بالذات .. شابة وجميلة
ومهذبة ومن أسرة ولا أولاد لها من زوجها الذي توفى
عنها وترك لها كل ما كان يملك الى جانب ما ورثته
عن أبيها ، وأنت أدرى بثروتها .. وملك لا تعلم
شيئا عن زواجك بليلى ثم طلاقها فقد تم كل هذا
بينما كانت هي في أمريكا مع زوجها منذ ستة أعوام
سابقة على هذه الأحداث الى أن توفي هناك بعد
طلاقك من ليلى بنحو ستة أعوام أخرى فعادت مع
جثته .. وكل معلوماتها عن الحركة الفنية في مصر
ونجومها ونكراتها لا تفوق معلوماتك عن سطح
المريخ وهذا تاريخ وانقضى على أي حال ، وهي فوق
كل هذا تتمناك ففيم تعودك عن هذه الثمرة الشهية
الدانية ؟ تحرك يا رجل .. الشعاع لم تعد تدر
ما كانت تدره ، فصحافة الأحزاب دالت دولتها واجدب
النبع الذي كان يرتفع بدخول أصحابها ومن يصدرونها
الى مستوى الملوك ترفا وبذخا وانفاقا ، وصحفك
لم تعد تساعدك على أن تبذل ما كنت تبذله بين
صفحاتها من جهد قبل وقوع الزلزال وملك تنتظر منك

كلية لتسمى "اليك بكل شبابها وجمالها وحسنها وانوثتها وما وراءها وقدامها لتبدأ معها مرحلة جديدة من حياتك انت فى مسيس الحاجة اليها .

وفعلها ..

تزوج مروان قريبته ملك ، الأرملة الشابة الناضجة الجميلة الثرية ، بنت السادسة والثلاثين أو نحوها .

كان يراها صفقة ، وكانت — كما يراها — تراه صفقة ، فقد كان يبهرها دائما منذ شبابها الباكر وكانت تتمناه برغم فارق السن ..

— ١٥ —

والاعوام الماكرة مازالت تجرى .

وبدا يحس لحياته طعما أحلى ومذاقا اشهى فى حضن امراة عذبة جميلة شهية تحبه .. وبدا يالفها . بدأ يالف صحبتها وعشرتها ورعايتها اياه فاحبها وانجب منها ولدا جميلا سماه محمدا .

يوم انباته بانها حامل ، تذكر فورا موقفه من ليلى .. وكانت سنوات طوالا قد انقضت على تلك الليلة العاصفة التى بارحت فيها بيته بعد أن صفعته فى كبرياء عالية بتفسيرها الشخصي لحقيقة علاقته بها بعد ان اتضحت لها هذه الحقيقة المؤسفة ، ثم بعد ان ردت له — بل وتنازلت عن كل ما هو حق لها عنده وعليه كزوجة تربطها به شرائع السماء وقوانين الارض .. حتى الثوب الذى كان عليها ليلة ان تركته، اعادته له مع احد سعاة الاوبرا ..

ولكنه لم يقف من ملك بمثل ما كان موقفه من ليلى عندما اخبرته بانها حامل ، فلم يقل لها انه على غير استعداد لان ينجب .

هل يتغير تناولنا للحياة بتغير ما يحيط بنا من الظروف من حيث السن والصحة والمزاج وما قد يطرا على حياتنا بشكل عام كما طرا على حياة مروان عندما تغير به الحال مع من تغير بهم بعد الزلزال الكبير ؟

سمع نفسه تقول له : طبعا يتغير فينا كل شيء يا مروان .. كل هذا يتغير مع الايام .. وانك رفضت ابنك أو ابنتك من ليلى لانك كنت فى عنفوانك .. صحة

وقوة ونفوذا وقدرة ومالا وسلطانا .. فكل حزب من الاحزاب كان يسعى لان تكون الشماع صحيفته وان يكون قلمك سيفه ودرعه معا .. كنت تستطيع ان تسهر بين ذراعي ملكة من ملكات الجمال الى صياح الديك دون أن تتأثر بشيء لتكون خلف مكتبك في التاسعة صباحا كما لو انك اخذت من النوم والراحة اكثر من كفايتك ..

وكنت يا مروان .. وكنت .. وكنت .. ومن هنا كان من العسير عليك أن « تربط » نفسك بذرية من اطفال لا يعلم عددها الا الله لينال وجودهم — وامهم في مقدمتهم — من استقلالك وحريتك التي كنت تتصور انها لا تقدر بثمن ، حتى لو كان هذا الثمن ، ليلى ، التي ادار جمالها وشبابها راسك للدرجة التي أقدمت معها على الخطوة التي لم تكن تتصور انك ستقدم عليها يوما .. الزواج .. فتزوجتها عندما امتنعت عليك ..

ومن هنا ايضا ، وضعتها بين اختيارين ، شخصك ، او الجنين الذى تحمله فاختارت الجنين .

ومن هنا ايضا يا مروان .. ومن هذا كله ، لم تعترض على أن تنجب لك ملك عندما اخبرتك ذات ليلة انها حامل .. أو هل تعيش انت وملك في هذه الوحدة بصفة دائمة ؟

وانجب محمدا ..

وعاد بخياله الى بعيد . الى ليلى .. انه لم يلتق بها طوال هذه الاعوام ، وهو لا يعرف ان كانت قد ولدت او لم تلد .. وماذا يعنيه من هذا ؟ انه لا ينسى لها صفعتها اياه عندما قالت له انها لن تشرفه بأن تنسب له ابنها او ابنتها وان احدا منهما لن يحمل اسمه

لقبا ومن هنا أصبح كل منهما غريبا عن الآخر تماما او كما لو كان يعيش في بلد غير البلد الذى يعيش فيه الآخر .. وكان قد اصدر لكل محررى الشماع امرا بتجنب كل أخبارها حتى لا ينشر اسمها في اية صفحة من صفحاتها .

ان ليلى — بذاتها — صفحة وانطوت من صفحات حياته ..

وسمع نفسه تقول له بصوت مجلجل :

— يا عم ... بلا هم .. هل كفرت عندما تزوجتها بشرع الله ثم طلقتها بشرع الله ؟ انك استعملت حقك الذى شرعته لك السماء .

* * *

محمد مروان يزحف الى تمام الثامنة عشرة من عمره .. له وسامة ابيه وأناقة ابيه واعتداد أبيه بنفسه وقانون الوراثة لا يخطىء .. وهو يقود سيارته « البويك » صباح كل يوم من البيت الى مدرسته — المدرسة الابراهيمية الثانوية ، ثم يعود بها في موعد انتهاء الدراسة ، وهو محط أنظار الجميع، من ناظر المدرسة ابتداء ، وحتى سعاتها انتهاء مرورا بالأساتذة مدرسيه وزملائه الطلبة .. وهو مع كل هذا العز وكل هذه الأبهة ، لم يفسده العز ولم تنحرف به الأبهة .. فهو طالب ناجح باستمرار فلم يتخلف سنة واحدة طوال اعوام الدراسة والى ان وصل الثانوية العامة استعدادا للالتحاق بقسم الرسم بكلية الفنون الجميلة .

ان محمدا رسام موهوب ، ومن صباه الى يفاعته الى شبابه الباكر وهو يرسم ، ومع انتقاله من مرحلة الى المرحلة التي تليها من مراحل عمره ، كان القلم

او الريشة يشتغيلان بين اصـابعه وبالتالى تستقيم خطوطه اكثر وتزداد قدرته على ابتكار التكوين اعمق وعلى مزج اللون باللون فى ذوق عال يشى برسام له قدره ، وكانت الطبيعة موضوعه الاول ، الطبيعة فى كل صورها المبهجة والقاتمة معـــا ، فهو يرسم الوردة النضرة فى لوحة .. ثم يضع الى جانبها لوحة اخرى تضم حقلا تتل الجفاف او الجراد ما كان يغطيه من زرع اخضر .

وكانت والدته ، الموضوع الوحيـد الذى ينافس الطبيعة على الاستئثار بريشته البارعة .. كان يعيد ابه فرسم وجهها فى اكثر من لوحة من زواياه المختلفة ، هذه بالقلم الرصاص .. وتلك بالفحم وثالثة بالوان الماء ورابعـة بالزيت وخامسة بالباستيل .. وكان دقيقا فى تنظيم اوقاته .. فساعات معلومة للاستذكار وساعات معلومة مثلها للرسم .. وليلة معلومة من الاسبوع يشاهد فيها مسرحية ثم ليلة معلومة ثانيـة يشاهد فيها فيلما ــ والاب يعبد ولده . فهو ولد مفرح يسعد قلبى اى والد ووالده ، فهو الى جانب كل هـذا يصلى الفروض الخمس ويصوم الشهر .

شىء نادر بين شباب جيله .

من هنا كان مروان يشعر من يقين بان الله قد اختصه بهذه المنة الكبرى ، منة الابن الذى يتم به نعمته عليه .

ومن هنا ايضا كان تعلقه به شيئا يفوق تعلق الاباء بابنائهم او بناتهم ، فلم يمنع عنه شيئا قط .. كان مروان يحس ان محمدا هو كل شىء فى حياته ، بل انه حياته جميعا .. بماضيها وحاضرها ومستقبلها .

***

ليلة الجمعة ، مساء الخميس من كل اسبوع ، كانت مخصصة دائما ليشاهد احدى المسرحيات على اى مسرح من مسارح القاهرة ، وليلة ما .. من هذه الليالى .. كان قد عزم على ان يشاهد مسرحية على مسرح دار الاوبرا والمسرحية عنوانها « معاقل الاحزان » وتقوم بتمثيل دورها الاول الممثلة الكبيرة ليلى وكان قد سبق له ان شاهد ليلى فوق الشاشة فى اكثر من فيلم سينمى فبهرته بشخصيتها الجارفة وصوتها الذى كان ينساب الى روحه فيحس بخلايا جسمه تتشربه قطرة قطرة .. وكان كلما تطلع الى عينيها الخضراوين ــ وعدسة التصوير تقرب وجهها فى الشاشة ليملأ مساحة كبيرة منها ــ كان يخيل اليه انها تنظـر له هو .. هـو بالذات .. هو وحده دون غيره من سائر الجالسين فى قاعة العرض وشرفتها .. كان يحس انها تخاطبـه او انها تريد ان تخاطبه ، ان تقول له كلمة ما .. كلمة سر تقولها له فيها بينها وبينه دون ان يكون نحو الفى متفرج يسمعون هذه الكلمة .. وحرص على مشاهدة كل ما يعرض لهـا من افلام ليراها .. ليملأ عينيه من عينيها ومن صفاء وجهها وعمق صوتها المقطر الذى ينساب من بين شـفتيها كما تنساب الموسيقى بين مروج الجنة لا ينقصها الا ان تدون على « النوت » ليعزفها اهل الجنة .. اهذا صوت بشر ؟!

وقرر ان يراها ، والطـريق اليها معــروف ، بين الفصول فى غرفتها بمسرح الاوبرا .. انه مشـوق للقائها ، لمصافحتها ، لان يقدم لهـا تحية .. وكان قـد استعد لهذا اللقاء فرسم وجهها الى نهاية العنق فى لوحة زيتية ملونة على مساحة متوسطة احاطهـا باطار انيق حتى يمكن ان تضعهـا امامهـا على مائدة

زينتها أو بجانبها على اى مرتفع قريب من فراشها .

وبعد انتهاء الفصل الأول من « معاقل الاحزان » دق بابها وسمع صوتها يصل اليه من الداخل .

ــ تفضــل ..

ادار مقبض الباب ودفعه بلطف فرآها جالســة وامامها ــ وقوفا ــ ثلاث فتيات وشاب فى مثل سنه ، الاربعة كانوا من اشد المعجبين بها كما ادرك للحظته . رحبت به وابتسامة طفلة تشيع بين قسمات وجههــا البهى وقالت بترحيب ومودة .

ــ اهلا وسهلا .. تفضل .

ومدت له يدها تصافحه ، فامسك بكفها برقة بالغة ورفعها الى شفتيه وقبلها قبلة صامتة مهــذبة وهو يقــول :

ــ أهلا بحضرتك يا هانم .

ثم اخرج الصورة التى رسمها لوجهها من الظرف الذى كانت بداخله وقدمها لها وهو يقول :

ــ اسمى الذى عرفت به محمد .. ولكن اسمى الحقيقى هو ــ بكل تأكيد ــ المعجب الذى يحمل الرقم قبل « الاول » بين ملايين المعجبين بحضرتك .

ابتسمت ــ وقد راقها التعبير ــ وقالت :

ــ هذا اجمل اسم يحمله انسان ، المعجب الذى يحمل الرقم قبل الرقم الاول ، منتهى الجمال .

ــ سيدتى .. انى ارسم ، او احاول ان ارسم ، وارجو ان اكون قــد وفقت فى نقل شفافية روحك ولا اقول جمــال وجهك وعينيك فى هذه اللوحــة الصغيرة .

وقدم لهــا اللوحة .. وكانت على درجة عالية من

حيث القيمة الفنية فقد راحت ليلى تتاملها وقد اخذها البهر ، ثم رفعت عينيها اليه وهى تسأله :

ــ هذا رسمك يا محمد !

ــ شىء واحد لم تسعدنى ريشتى بالقــدرة على رسمه .

ــ ما هو ؟

ــ صوتك وانت تتكلمين ..

ــ صوتى ؟!

ــ انى أراه عضوا جميلا من اعضائك واكاد اراه بعينى مع اذنى التى تسمعه .. ومن يدرى فقــد يسعفنى الهامك لان اسجله فى لوحة قادمة .

صاحت صيحتها التى لم تتغير منذ صباها .

ــ يا خبر !! انت مدهش يا محمد .. مدهش بلا حدود ..

ثم بعد لحظة صمت قصيرة .

ــ طالب ؟

ــ استعد لامتحان الثانوية العــامة استعدادا للالتحاق بكلية الفنون الجميلة قسم الرسم .

وكمن تقرر بداهة لا تحتمل مناقشة .

ــ طبعا .. انك بهذا المستوى الرفيع الواضح فى صورتى ، تستطيع أن تقيم المعارض المتواليــة من الآن فى مختلف قاعات المعرض .. وستقيم الدنيــا وتقعدها بلا ادنى شك .

اجابها فى حياء شديد ..

ــ لست من هواة الشهرة والأضواء فانى ارسم لنفسى .. لانى أريد ان ارسم .

تنبهت الى انه ــ حتى هذه اللحظة ــ كان واقفا لم يجلس فدعته للجلوس .

— تفضل يا محمد .. تفضل .. اجلس .

اجابها فى شـــفافية غريبة ، برغم انه لا يريد ان يتركها ابدا ..

— حضرتك فى حاجة للراحة بعد ما بذلت من جهد فى الفصل الاول ولست اريد ان احرمك هذا الحق ، ولكنى كنت ســـاحزن كثـــيرا ان لم ارك واقـــابلك لاستأذنك فى رجاء :

— رجاؤك امر يا محمد ..

— بل هو رجاء .. صورة لحضرتك تكتبين لى عليها كلمة اهداء ..

— يا خبر !! بس ؟

وفتحت درج مائدة الزينة امامها واخرجت منه صورة من اجمل صورها كتبت على ظهرها الى صديق عزيز اعتز بصداقته مدى العمر .. الى محمد .. وامسكت لتسأله :

— محمد فقط ؟

— يكفى هذا .. فانها لى وانا اعرف انها لى فلا موجب لاكثر .. فالصـــداقة ليست لاسم ولكن لشخص .

— كلامك اكبر من سنك يا محمد ..

فى هذه اللحظة تناهى الى اسماعهم جميعا دق خفيف بباب الغرفة فاذنت للطارق بالدخول ، واذا به مساعد مدير المسرح يقول لها :

— الستار بعد ثلاث دقائق يا استاذة ليلى ..

اجابته وهى تقف :

— حالا يا حسنى ..

وصافحت الذين وجدهم محمد عندها لحظة

دخوله .. ثم صافحته بحرارة ومودة ملحوظتين وهى تقـــول :

— ارجو ان اراك ثانية ، ودائما يا محمد ..

قبل يدها بطريقته المهذبة وهو يقول :

— كلما اتيحت لى فرصة ان شاء الله .

وافســح لهـــا الطريق كاى سيد عالى التهـــذيب لتتقدمهم .. فخرجت .. وتبعوها .. هى الى المسرح استعدادا لرفع الستار .. وهم الى الباب الجانبى المؤدى الى القاعة والشرفات .. كل الى مقعده .

— ١٦ —

ملاحظات مثيرة للانتباه وجديرة بالتشاور يلاحظها مروان وقرينته على وحيدهما محمد فهو يبدو — فى أغلب الأحيان — ساهما .. شاردا .. قلقا .. قليل الكلام .. لم يعد يألفهما ولم يعد يتحدث اليهما كما كان يفعل دائما ، بل انه لم يعد يأكل الا أقل القليل ، فاذا جلس الى المائدة انحنى برأسه على الصحفة أمامه بطريقة غريبة غير مألوفة ليلتقط مما بها عدة لقطات بالشوكة .. ولم يعد يحرص أو يهتم بألا يسقط بعض الطعام على غطاء المائدة ولم يكن هذا من سلوكه قبل ذلك قط .. ثم يقوم بعد دقائق عن مقعده وقد أكل ما لا يشبع طفلا .

واذا مشى ؛ اتخذ جسمه — كتفاه بنوع خاص — وضعا غريبا ؛ فيرتفعان فيبدو ارتفاعهما بارزا مع انخفاض رأسه وهو يهتز مع كل خطوة يخطوها ... وبدأ يضعف ويهزل حتى شف .. ودعته والدته للوقوف فوق الميزان الموجود فى غرفته — كما فى غرفتها — فاذا به ، أقل وزنا بنحو ثمانية كيلو جرامات .. ثمانية جرامات فى شهر .

سألته والدته عما يعانى فلم تظفر منه باجابة شافية فلم يكن يزيد عن ابتسامة هادئة شاحبة ثم يهز كتفيه كمن تعجزه الاجابة .

أبوه كذلك ؛ أصطحبه الى الخارج وجلسا معا فى شرفة فندق سميراميس وحاول أن يصل منه الى حقيقة ما يعانى ولكنه لم يصل لشىء .

مروان لاحظ ملاحظة غريبة ولكنها دقيقة وفى

محلها .. ان محمدا — فى ردوده على والديه لم يكن يخفى عنهما شيئا .. لم يكن يبدو أنه يخفى شيئا يحرص على كتمانه ، ولكنه كان يتكلم فى شفافية غريبة وفى صوت هادىء كأنه يصلى .. كان صادقا حقيقة وهو يجيب كلا منهما .

— لا شىء .. لا أعانى شيئا .. هل تلاحظان على شيئا غريبا ؟

ثم تطفو على وجهه الابتسامة الهادئة الشاحبة ثم يهز كتفيه كمن تعجزه الاجابة .

الى أن كان يوم حمل البريد رسالة الى مروان .. الرسالة كانت من ناظر المدرسة الابراهيمية الثانوية يرجو فيها مروان التفضل بزيارته لأمر مهم وفى أقرب فرصة متاحة .

❋ ❋ ❋

— أستاذ مروان .. لم يكن هناك أى مفر من أن نتشاور معا فى أمر ولدنا — جميعا — محمد .

أجاب مروان ناظر المدرسة التى يقضى فيها ولده مرحلة التعليم الثانوى .

— تفضل يا أستاذ ندا ، فلقد شغلتنى رسالتكم فعلا .

— ان محمدا قد تغير كلية فقد أهمل دراسته تماما خلال الشهور الأخيرة .

— أمكننى أن ألاحظ هذا فان التغيير قد تناول شخصه كما تناول اهتمامه بدراسته .

— انه لا يدخل الفصل مع أخوانه التلاميذ قط وفى يقينى أنه لن يتيسر له أن يدخل امتحان الثانوية العامة هذا العام — مستحيل وهو على هذه الحال ..

— اين يذهب ما دام لا يدخل حجرة الدراسة مع اخوانه ؟

— اكتشفنا انه يمضي كل وقته فى المصلى يتعبد ويصلى بصورة لا تنقطع بالساعات .

— انه يصوم ويصلى منذ طفولته .

— اخشى أن تكون تقواه قد انقلبت الى نوع من الهوس الدينى .

اطرق مروان وقد ران على قلبه هم ثقيل ، ثم رفع راسه الى استاذ ولده وقال فى صوت مشروخ :

— لابد من ان اعرضه على اخصائى ..

— بسرعة يا استاذ مروان ارجوك ، قبل ان تستفحل الحالة .

وبدأ مروان وقرينته رحلة لا نهاية لها مع اشرس ما يمكن أن يصيب الانسان من لعنات المرض .

الفصام .... انفصام الشخصية ..

ولدهما الوحيد مصاب بانفصام الشخصية ، فهكذا كان تشخيص كل ائمة المتخصصين فى الامراض النفسية والعقلية والعصبية فى مصر وغير مصر عندما سافرا به الى الخارج لعرضه على اعلام هؤلاء المتخصصين .

حالة انفصام ولكنها من النوع الهادىء غير العدوانى . اى انه لا يثور فلا يحطم ولا يخرب ولا يعتدى على الغير .. ولكنه يعيش حالة اكتئاب دائم وعزلة مستمرة ..

احيانا يكف عن الكلام بالساعات ..

واحيانا يثرثر بالساعات ..

وهو عندما يتكلم او يثرثر ، يتكلم ويثرثر بصوت رتيب لا تتلون نبراته فلا ترتفع ولا تنخفض ولا يميزها

اى انفعال بحزن او فرح ، بغضب او رضى ، بقبول او رفض .. الى نهاية هذه المتناقضات التي تصارعها النفس البشرية انفعالا بما تعايشه لحظة بلحظة من كل لحظات العمر .. الى ان يتعب ، فيخبو صوته ويثقل جفناه ، وتبطء الكلمات وتتعثر على شفتيه فيسقط راسه فوق صدره من وهن .. فتسرع والدته اليه لتضع وسادة تحت راسه ولتساعده على الرقاد حيث يكون وليس بالضرورة ان يكون فوق سرير ..

وكان المصحف الصغير فى حافظته الجلدية الانيقة معلقا بكتفه — مارا بعنقه — بصفة دائمة يخفيه تحت سترة منامته ..

وغارت عيناه ، وفقد من وزنه باكثر مما فقد ، فاصبح — كما يقولون — جلدا على عظم ، وامتلأت حجرته بالعقاقير والادوية ، وكلها من المهدئات والمنومات ، تعرفها كل اسرة اصابتها هذه اللعنة فلحقت باحد افرادها .

والدته كانت الملازمة له باستمرار ، فوالده فى عمله كل ساعات النهار وبعض ساعات الليل .. فكانت تجلس بجانبه لتتحدث اليه بلطفها المعهود ورقتها البالغة وحنوها الدافق والامل كان يضيىء لها الحياة احيانا عندما تراه يصفو ويبتسم ويتحدث اليها حديث انسان سوى فيرتفع بها الى ذرى السحب، ثم لا يلبث ان يهوى بها الى مهاوى الياس عندما تعوده « الحالة » فاذا به كالطفل المذعور احيانا ..

وكان شبحا غريبا مخيفا يتراءى له فيبعث الخوف الى نفسه .

الخوف من ماذا ؟

لا هو يدرى ولا والدته تدرى ولا والده ولا الاطباء

يدرون ولا احد يدرى .. وتنهل دموع الابوين المنكوبين فى وحيدهما الغالى .. ويتذكر مروان عبارة قالها احد كبار الأخصائيين ..

— النفس كهف مظلم متشعب الدروب تشعب الشعيرات الدموية الدقيقة فى جسم الانسان .. والعلم ظل — ولم يزل — يبذل جهوداً خارقة لا نهاية لها ليصل الى الطريق المؤدية للقضاء على هذا المرض بين دروب هذا الكهف المظلم المتشعبة بعدد الشعيرات الدموية الدقيقة فى جسم الانسان .. ملايين الملايين .

ذات ليلة كاد الرعب يصيب والدته بالشلل عندما فوجئت بمشهد لن تنساه مدى العمر مهما امتد بها العمر ..

ارقت فى نحو الرابعة صباحا واحست انها بحاجة للتوجه للحمام فبارحت غرفتها واتجهت اليه .. ولم تكد تقترب من بابه — وكان مفتوحا — حتى فوجئت به — بولدها — واقفا يتوسطه دون حراك كما لو كان تمثالا ..

الرعب شل حركتها فعلا فى مكانها .. واحست انها اعجز من ان تنقل قدميها من مكانها .. ولكنها استطاعت ان تتغلب على المفاجاة المفزعة التى دهمتها فاقتربت من باب الحمام خطوة وهمست باسمه بصوت يمكن ان يسمعه .

— محمد ..

لم يجبها وكأنه لم يسمعها ، فتقدمت منه خطوتين فاصبحت بالقرب منه تماما فوضعت كفها على كتفه برقة وهى تهمس باسمه مرة ثانية .

— محمد ..

سالها بصوت هادىء لا روح فيه ولا حياة ودون ان

يلتفت اليها .. كانت عيناه مثبتتين على نقطة بعينها فى ارض الحمام وهو يجيب والدته ، ودون ان يحول عينيه عن النقطة المعينة فى ارض الحمام .

— هل أيقظتك كما ايقظتنى ؟

— من هى يا حبيبى ؟

— هذه التى ترينها امامك .. انظرى . اسمعى . انها تصرخ مستغيثة والنار تشويها .. لقد استنجدت بى لأنقذها فهى تتعذب ولا اجد وسيلة لانقاذها ..

ثم بعد لحظة صمت ..

— بل وجدت الوسيلة .. كيف فاتنى ان افتح الدش لأطفىء هذه النار التى تشويها !!

ولم ينتظر رد والدته فمد يده الى مفتاح الدش فاداره فتساقط الماء غزيرا .. واسرعت الام وسحبته برفق شديد بعيدا عن الماء وهى تقول له :

— خيرا فعلت يا محمد ..

— أليس كذلك يا ماما ؟

— طبعا يا حبيبى فالماء سيطفىء النار فورا .. انك انقذتها من عذاب هذا اللهيب .

وسحبته من يده الى غرفته وهى تبلع دموعها المرة مرارة العلقم ، ثم القمته قرصين من الاقراص الجالبة للنوم السريع مع جرعة ماء صغيرة ، وظلت الى جانبه الى ان ثقل جفناه وراح فى سبات عميق فانسحبت الى غرفتها وقد هانت عليها حياتها .. وابتهلت لله ان يقبض اليه روحها فدية المن على ولدها بنعمة الشفاء .

— ١٧ —

الاحداث تعدو بسرعة .. والاب والام يلهثان وراءها وانفاسهما تتقطع ، ان محمدا فى ضياع كامل بين مختلف ضروب السلوك الشاذة الغريبة التى حار الجميع فى تفسيرها وردها الى جذورها أملا فى الوصول الى طرف الخيط الذى قد يؤدى بهم الى العلاج الصحيح .

بواب العمارة يدق باب مسكن مروان فى نحو الثالثة من صباح ذات يوم ، ويفتح الوالدان التعسان الباب للطارق فى هذه الساعة المفزعة ، فاذا به البواب وبصحبته محمد يقف جامد النظرات كتمثال لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم .. والبواب يقول انه ارق فجاة فاحس بأن هناك غريبا ينام تحت السلم فقام واضاء النور الكبير واذا به يفاجأ بأن محمدا هو الذى ينام فى هذا المكان ، وعلى البلاط ، بلا حشية ولا وسادة ولا غطاء ، وكان محمد بمنامته البيضاء حافى القدمين .

* * *

والباب يدق فى ليلة ثانية وفى ساعة متقدمة من الصباح ، واذا بالطارق — عبد الستار — الشرطى المرابط بقرب فندق سميراميس .. وكان محمد بصحبته ، والشرطى يقول للوالدين والالم فى صوته وفى عينيه انه فوجىء بمن يكنس الشارع فى هذه الساعة الغريبة ، فلما اقترب منه ، رآه فعرفه طبعا ، فلاطفه بكلمتين ورجاه أن يترك له هذه المهمة وانه سيقوم بها بدلا منه ، وان محمد لم يقاومه قط ، بل أطاعه وانقاد له بهدوء شديد .. وكان محمد بمنامته

البيضاء ، حافى القدمين .. والمكنسة الطويلة فى يده .

وشرطى ثان يدق باب المسكن فى الواحدة من صباح يوم آخر .. وكان محمد بصحبته وقال للوالدين المفجوعين انه المنوطة به الحراسة أمام المدرسة الابراهيمية — مدرسة محمد — وانه فوجىء بمن يحاول تخطى سورها الى داخلها ، وظنه — للوهلة الاولى — لصا ، ولما لحق به وامسكه من قدميه لم يحاول مقاومته ، بل هبط عن السور مستسلما ، ففوجىء عندما رأى وجهه فقد عرفه ، فالجميع يعرفون محمدا ، وانه لم يشأ أن يصحبه الى قسم شرطة قصر النيل لانه يعرف انه « بعافية » وانه لهذا لا يحضر المدرسة منذ شهور طويلة فاسرع به الى البيت .. اليهما ..

وعاش الابوان التعسان اتعس واسود أيام العمر .

ولدهما الوحيد الذى ميزه الله بكل الصفات العليا . الايمان والتدين والذكاء والنبوغ والتفوق والنجاح المستمر ، الى جانب الادب والرقة ودماثة الخلق وشفافية الروح .. ولدهما الوحيد وكل هذه صفاته التى اختصه الله بها مجتمعة ، تصيبهما النكبة فيه على هذه الصورة المفجعة ؟

وبكى مروان ..

بكى بحرقة ، ومن حبة القلب وهو يجلس خلف مكتبه بالشماع ، ورفع عينيه الغارقتين فى الدموع مخاطبا ربه فى مذلة العبد الذى لا يملك لمكروه دفعا .

— يارب .. خذنى انا وامنحه الشفاء يارب .. انه الوحيد الذى خرجت — أو اخرج — به من هذه الدنيا فاشفه يارب بقدرتك العلية وانت قادر على كل شىء .. انت قادر على ان تقول للشىء كن فيكون ،

فارفع عنه هذا البلاء من اجلى ومن اجل امه ومن اجل شبابه الغض .. انه ولد طيب متدين ومؤمن بك يارب العالمين ، وانت قادر على ان تمن عليه بنعمة الشفاء . يارب .. يا صاحب الحول والطول والجاه العظيم ..

واجهش مروان .. وكانت المرة الاولى فى حياته التى يبكى فيها من حبة القلب .. ولم يكد يلتقط دموعه فى منديله ليزيل آثارها من عينيه حتى أز جرس التلفون الى جانبه فرفع السماعة والصقها باذنه — كانت زوجته على الطرف الاخر وصوتها كما لو كان يأتيه من سحيق واد ضيق طويل عميق لا نهاية لطوله او عمقه ..

مروان .. محمد انتحر يا مروان .. نقلناه الى اقرب مستشفى للبيت ، مستشفى جاردن سيتى وانا الى جانبه فى الغرفة رقم ١٤ .

المحنة كانت شرسة وضارية ..

❋ ❋ ❋

اضرى شراسة واشرس ضراوة من أن يحتملها قلب واعصاب اب وأم يريان وحيدهما وقد قاده المرض الى الحد الذى تهون فيه الحياة على صاحبها .

كانا يجلسان بجانب فراشه مطرقين صامتين يحدق كل منهما فى الوجه الشاحب الذابل الناطق بالاعياء والوهن وذل المرض .. كان فى غيبوبة بعد ان اجريت له عملية غسيل المعدة لتخليصه من آثار السموم التى تناولها بكمية كبيرة من الادوية المهدئة والجالبة للنوم التى تمتلىء بها غرفته ، ومروان استمع من زوجته الى تفاصيل ما جرى فى كلمات .. انها دخلت غرفته — غرفة محمد لتطمئن عليه ، فوجدته ممددا فى فراشه على نحو غير مالوف والزبد يتدفق من بين

شفتيه وقد تحول تنفسه الى حشرجة مفزعة فاسرعت نحوه ، وفى لمحة ، التقطت عينها — بجانبه — قارورة فارغة من قوارير الادوية المنومة فاسرعت من فورها بنقله للمستشفى ثم اتصلت به — بمروان — لتخبره ، ثم اضافت : ان الدكتور نظمى استاذ القسم ومعه زميلته الطبيبة المساعدة لم يضيعا من الوقت دقيقة ، فقد شرعا فى اجراء اللازم بعد وصولهما بدقيقة .. وسالها مروان فى صوت ذليل مهزوم .

— ماذا قالا ؟

— اهم ما فى حديثهما انتى جئت به للمستشفى فى الوقت المناسب .

ضغط مروان شفته السفلى باسنانه فى محاولة لاخفاء دمعة تتمرد على جفنيه فاخفاها ، وفى هذه اللحظة فتح باب الغرفة بلطف ودخلت الطبيبة المساعدة كالنسمة الحالمة بمعطفها الناصع وشعرها الاسود الحرير المعقود على جبينها تاجا صاغته يد ماهرة ، وعطر رقيق يتضوع من حولها .

انها الدكتوره ماجده

والدة محمد وقفت فورا مرحبة فى عدونها المطبوع .

— اهلا يا دكتوره .

ثم الى زوجها وقد وقف احتراما لطبيبة ابنه التى ساهمت فى انقاذه من موت محقق .

— الدكتوره ماجده يا مروان ، وكان لها الفضل الاول فى انقاذ محمد ، ولم تتركه من لحظة وصولنا الى ان استغرقه النوم واطمانت الى اجتيازه المحنة .

ثم الى الطبيبة الشابة الجميلة مشيرة الى زوجها .

— مروان توفيق يا دكتوره ماجده ، زوجى ، والد محمد ..

مدت ماجده كفها الى مروان الذى اسرع يصافحها.

— اهلا بك يا دكتوره ، ولن انسى لك ما حييت اهتمامك بولدى .

اجابته ماجده فى هدوء الأطباء وفى صوتها الخفيض.

— الحمد لله فقد كان لطيفا به وبشبابه فالهم الهاتم للاسراع به الينا .

ثم أشارت الى مقعده تدعوه للجلوس .

— تفضل يا استاذ مروان ، تفضل بالجلوس ، وسنعبر به المحنة باذن الله .

وجلس .. وجلست .. كما جلست الأم ..

وحاولت ماجده أن تبعث بصيصا من الأمل الى قلب الوالد المنكوب .

— قد يقتضى علاج حالته الأصلية — لا اعنى محاولة الانتحار — بعض الوقت مع المتابعة الدائمة .. ولكن الشفاء آت باذن الله .

ونهضت عن مقعدها وهى تستأذنهما الانصراف للمرور ببعض الحالات لتقول :

— تستطيعان الانصراف الى البيت مطمئنين ثم العودة لزيارته ضحى الغد لانه كما تريان فى شبه غيبوبة من آثار العقاقير التى امتصها دمه وان كنا خلصنا امعاءه من بقاياها والحمد لله .

وفى الغد قد يستطيع أن يأنس بوجودكما اكثر لانه سيكون متنبها اكثر .

وأحنت رأسها تحية لهما ، وبارحت الغرفة — وقالت ملك لمروان ..

— تستطيع أنت الانصراف الى مكتبك ، وسانصرف انا بعد قليل ، وسيارتى معى فلا تقلق ..

وودعها مروان ، وبارح الغرفة يحمل هموم الدنيا فوق كتفيه .

بارح الغرفة التى كانت تضمه وابنته منذ لحظات ، ولكنه لم يعرفها .. لم يعرف ابنته لانه لا يعرفها فهو لم يرها فى حياته من قبل مرة واحدة .

هل كان يتصور امكان حدوث هذا يوما ؟؟ ان يلتقى بابنته التى طلب من امها عندما انبأته بانها حامل بها أن تتخلص منها ووضعها امام اختيار ظالم قاهر لا عدالة فيه ولا دين ، لتختار بينه وبين ابنها او ابنتها منه فاختارت الابن أو الابنة فطلقها ؟؟

هل كان يمكنه وقتها ان يرى كل هذا على حافة الأفق البعيد او القريب ؟ افق ست او سبع وعشرين سنة .. هل يمكن أن يخطر له ببال ان هذه الطبيبة الشابة الجميلة الناجحة المفرحة التى تسعد وتشرف وطنا وتطيل رقاب كل افراد شعبه ، هل يمكن ان يخطر له ببال — لمجرد لحظة — ان هذا المخلوق النورانى — ليس الا ابنته التى رفضها فلم تنسبها امها لاسمه لانه رفضها فلم تعد ابنته ؟

انها الآن فى نحو السادسة او السابعة والعشرين ، فقد تزوج بعد طلاقه ليلى بنحو تسعة أعوام ووحيده محمد الآن فى نحو الثامنة عشرة .. هل كان يمكن ؟؟ هل ؟؟

— ١٨ —

فى اليوم التالى دفعت الدكتوره ماجده باب حجرة محمد بلطف ودخلت ، فوجدته راقدا فى فراشـــه وقد بدا متجهما وكانت تنتظر العكس بعد أن نام ليلة أمس نوما عميقا مريحا ، فالنوم أصدق المرايا العاكسة لحالة الانسان ومزاجه صباح كل يوم بعد ليل نام خلاله كفايته أو أرق فسهره الارق واجهده .. ولاحظت ان صينية الفطور قريبة من فراشه على حالها لم يقربها فاقتربت منه وابتسامة مضيئة فوق وجهها وقالت له :

— صباح الخير يا محمد .

نظر لهـــا نظرة ساهمة ولم يرد تحيتها فسألته :

— انك لم تأكل فطورك ..

اجابها فى همس :

— لا شهية لى ..

اقتربت منه أكثر وهى تقول :

— هل تسمح لى بمساعدتك ؟ هنا بيضة مسلوقة طازجة مقشورة جاهزة وشريحة من جبن فاخـــر أرسلت ماما كمية منه حفظناها لك فى الثلاجة لانهـــا تعرف انك تحبه وتفضله على غيره .. وهنا جفنـــه من مربى الورد وزيتونات سوداء وغيرها خضراء .. ماذا تحب ان أقدم لك من كل هذا ؟

لم يعلق .. ولم يجب فتساءلت :

— أم تحب فطورا معينا أحضره لك فى الحال ؟

نظر لهـــا نظرة ساهمة لا معنى لهـــا ثم قال بصوته المتعب .

— حضرتك تتعبين نفسك كثيرا من أجلى يا دكتوره

وتوقف لأنه حتى هذه اللحظـــة لم يكن قد عرف اسمها ، وادركت هى هذه الحقيقة فأسرعت تقول :

— ماجده .. اسمى ماجده يا محمد .

— دكتوره ماجده ؟

هزت رأسها وابتسامة ترتسم على وجهها وقد استطاعت ان تجعله يأنس لهـــا ولو قليلا وقالت :

— نعم .. اسمى دكتوره ماجده .

لأول مرة تراه يبتسم ابتسامة شاحبة مريضـــة وهو يقول :

— الله .. ماجده اسم جميل .

صحيح يا محمد ؟ أعجبك اسمى ؟

— جدا .. الاسم جميل ويحمل معنى جميلا ..

وكانت وهى تحدثه قد أعدت شطيرة صـــغيرة من الجبن الذى أرسلته والدته وقربتها من شـــفتيه وهى تقـــول :

— خذ يا محمد .. هذه من يدى .. يد الدكتوره ماجـــده ..

التقطها من بين أصابعها بشفتيه بهدوء وأكلهـــا بانكسار .

— حضرتك لطيفة جدا يا دكتوره ماجده ..

— وأنت لطيف جدا يا محمد ، هل أستطيع أن أعتبر نفسى صديقتك ؟

قال وقد وضعت بين شفتيه ربع البيضة المسلوقة بعد أن قسمتها الى أربعة أجزاء .

— ليس لى أصدقاء .

أسرعت تؤكد ..

— تستطيع أن تعتبرنى أصدق أصدقائك . أعنى صديقاتك .

نظر لهـا نظرة سريعة خاطفة وهو يقول :

ــ كاذبة .

لم تهتز للكلمة .. انه مريض .. واى طبيب معرض لمثل هذه الألفاظ ولأكثر منها ممن ابتلوا بهذا المرض . فابتسمت .. ابتسمت وهي تسأله بلطف شديد ..

ــ يا خبر !! كاذبة ؟ مرة واحدة يا محمد ؟

اطرق ندما .. وكانت فى هذه اللحظة تلقمه كسرة خبز مغطاة بطبقة من مربى الورد .. كانت كأم تحتال على طفلها بالحديث لتطعمه .. فامسك بأصابعها برقة بالغة قبل أن تضع كسرة الخبز بالمربى بين شفتيه وهو يقول :

ــ أنا آسف جدا يا دكتوره ماجده ، فارجو منك ان تسامحيني وأن تغفرى لى هذه السقطة .

ابتسمت فرحا وهي تقول :

ــ هذه علامة طيبة .

ــ اية علامة ؟ وعلى اى شيء ؟

ــ ما دمت ادركت ان هذه الكلمة التى وجهتها لى مما يستحق الاعتذار عنه فمعنى هذا انك بخير وستكون قريبا جدا فى احسن حال باذن الله .

واجهها بعينيه الغائرتين المجهدتين وهو يقول :

ــ ولكنى اريد ان اعود الى البيت ..

ــ هل زهقت منى بهذه السرعة ؟

ــ مستحيل ان ازهق منك .. انت طيبة جدا ولطيفة جـدا .

ــ هذا اجمل ما سمعته منك ، ورجائى لا يزال قائما ؛ ان تعتبرني صديقتك .

ــ هل استطيع ــ حقيقة ــ ان اعتبرك صديقتى ؟

ــ طبعـا ..

ــ المخلصة ؟

ــ جـدا ..

ــ يعنى .. هل استطيع ان ائتمنك على سر ؟

ــ فى بير .

فى هذه اللحظة دق باب الغرفة .. وفتح .. واذا به مروان ..

ــ اهلا يا استاذ مروان ..

ــ صباح الخير يا دكتوره ماجده .

ــ ثم الى ولده وقد وجده جالسا فى فراشه متكئا الى وسادة عريضة خلف ظهره .

ــ صباح الخير يا محمد وحمدا لله على سلامتك .

حدث شيء مفاجيء وغريب ، كمن يسقط قطرة من مداد اسود او ازرق او احمر فى كوب من البللور مملوءة بالماء الصافى فيتلون الماء بلون المداد فى لحظة ؛ كذلك تغير محمد فى لحظة ، فقد تجهم وجهه ونظر الى الدكتوره ماجده نظرة جادة آمرة وهو يقول :

ــ دكتوره ماجده .. انى آمرك بأن تخرجى هذا الرجل من هنا .. فى الحال ..

ابتسمت له واجابته بخبرة الطبيبة التى مرت بها مئات الحالات على مدى اربعة اعوام منذ تخرجها وممارستها مهنتها الصعبة المعقدة ، فكل تعاملها ــ كطبيبة ــ مع هذه الفئة من مرضى النفس ؛ اجابته وابتسامتها المصنوعة معلقة بشفتيها .

ــ حاضر يا محمد ..

ثم الى والده ..

ــ تفضل بنا يا استاذ مروان .

وصحبته الى الخارج .

ف مكتبها ، وامام كل منهما قدح قهوة ، سـؤالها السؤال القديم قدم الطب .

— هناك امل يا دكتوره ماجده ؟

— نحن لا نفقد الامل ابدا يا استاذ مروان .

— هل رايت كيف استقبلنى الآن مع اننا صديقان اكثر منا والدا وابنا ؟!

— لا تنس انه مريض وهذه موجة من موجات المرض

غالب دمعة كادت تفر من عينيه وهو يقول :

— لو تعرفين ما افعله او اقدمه لمن يشفى لى ابنى يا دكتوره ماجده ..

— استطيع ان اتصور مشاعر اى اب نحو ابنه ..

— انى اقدم حياتى ثمنا لان ارى محمدا — من جديد — انسانا سويا .. انه ابنى الوحيد .. الوحيد الذى فزت به من هذه الدنيا .. فلا احد غيره .. لا ولد .. ولا بنت ..

ولم يكن يعلم انه يقول هذا لابنته .. قطعة منه .. ومن اين له ان يعلم !

واختنق صوته بالدموع .. ثم اجهش وهو يضيف ..

— قلبى يحدثنى باننى لن اراه كما كان قبل ان يقتحمه المرض بهذه الضراوة .

ف هذه اللحظة استاذنت احدى الممرضات ودخلت لتقول لماجده .

— ان ملك هانم — والدة محمد — قد حضرت ، واخبرتها ان مروان بك هنا مع حضرتك يا دكتوره ماجده . . فهل تعودان الى الغرفة أم تحضر هى اليكما ؟

نهض مروان ، ونهضت ماجده . . وصافحها وهو يقول :

— لا داعى لان ادخل عليه ثانية فقد يكون لا يزال اسير تلك الموجة العدائية التى استقبلنى بها ..

— كنت على وشك ان اقترح هذا على حضرتك .. وتستطيع المرور به غدا ان شاء الله ولا تزعجك مثل هذه التقلبات او مفاجآت اللحظة ، فهذه طبيعة مثل هذا المرض .

وشكر لها مروان لطفها وانصرف .. وعادت هى الى غرفة محمد حيث التقت به وبوالدته التى ضمتها الى قلبها وقبلتها بحنان ام .

* * *

كما تجرى الاحداث بسرعة ف الدائرة التى تحكم حصارها حول مروان وزوجته ووحيدهما الذى نكبته العلة ، كذلك — وبالسرعة ذاتها — كانت تجرى بليلى ووالدتها نازك هانم وابنتها الدكتوره ماجده ..

الدكتوره ماجده تمت خطبتها الى طبيب شاب من زملائها واتفقا على السفر الى لندن بعد عقد القران للحصول — معا — على درجة الزمالة من الكليـة الملكية البريطانية . كل ف تخصصه .. رفيق ، خطيب ماجده ف الجراحة ، وهى ف الامراض النفسـية بين البيئة والوراثة .. وحفل الخطبة كان محدودا لم يشهده الى جانب العروسين غير والدتها وجدتها — نازك هانم — ووالد العريس الأرمل وابنته ، شقيقة العريس الوحيدة وقلة من اقرب الاقرباء ..

وف صباح اليوم التالى لهذا الحدث السعيد ف حياة ماجده ، توجهت الى المستشفى لمباشرة عملها كالعادة ، وكان اول ما بدات به يومها . الاطمئنان على محمد دقت بابه ودخلت عليه بابتسامتها المضيئة .

عندما فاجأته بدخولها احست انه يحاول ان يخفى عنها شيئا وقد افلح ف اخفائه ، اقتربت منه وقد اتسعت ابتسامتها فأضاءت وجهها وقالت له :

— صباح الخير يا محمد ..
اجابها بابتسامته الشاحبة ..
— صباح الخير يا دكتوره ..
جلست بالقرب منه وربتت ظهر كفه باصابعها وهى تقول :
— الحمد لله .. فانى أراك اليوم احسن بكثير ..
— البركه فى حضرتك يا دكتوره ..
كان همها الأول ان تطمئن الى حقيقة ما اسرع باخفائه عنها عندما دخلت الغرفة ، فمن الممكن جدا — ان يكون اداة يحاول ان يؤذى نفسه بها ، شفرة حلاقة مثلا يقطع شرايينه بها .. مصيبة ، أو قارورة من اقراص منومة وصلت الى يده عن اى طريق .. داهية .. كله جائز ومحتمل وممكن وللمصابين بمثل هذا المرض اساليب غريبة للحصول على مثل هذه المحظورات التى قد تكون سببا فى القضاء على حياتهم ، الى جانب ما يتمتع به الكثيرون منهم بسعة الحيلة مما لا يمكن ان يخطر للأصحاء ببال .. ابتسمت اكثر وهى تسأله :
— الم نتفق على اننا أصدقاء ؟
— طبعا .. نحن أصدقاء .. انت صديقتى العزيزة .. وأنا صديقك العزيز ..
سألته فى دلال طفلة :
— وهل يخفى الأصدقاء على بعضهم البعض شيئا ؟
— طبعا لا ..
عادت تضع كفها على ظهر كفه وهى تسأله :
— لماذا اذن تخفى عنى شيئا اسرعت باخفائه لحظة دخولى ؟
ادرك أن حركته لم تفتها وانها ادركت انه يخفى

شيئا تحت سترة منامته فقال لها ببساطة غريبة :
— ابدا .. انه المصحف الذى لا يفارق جنبى قط .
— وهل هناك ما يدعو لاخفاء المصحف عنى او عن غيرى ؟
احست انه يحاول الهرب من اجابتها وهو يقول :
— لا طبعا .. ولكنى .. اردت ان اقول اننى .. اننى لم احاول اخفاءه ..
الشك ارتفع فى وجدان ماجده الى مرتبة اليقين ، ايقنت انه يخفى شيئا لا محالة فاحتالت عليه بدلال الصديقة على صديقها ..
— محمد .. انت تخفى عن صديقتك الوحيدة ماجده شيئا ومعنى هذا انك لا تحمل لى من الحب والصداقة بمثل ما أحمل لك .
اسرع ينفى هذه التهمة مؤكدا ..
— مستحيل يا دكتوره ماجده ... مستحيل ... انا ؟ انا لا أحمل لك من الحب والصداقة بمثل ما تحملين لى ؟؟
— هذا ما يبدو لى :
— العكس هو الصحيح فانى أكن لحضرته اضعاف ما تكنين لى من هذا الحب وهذه الصداقة ..
اكن لك صداقة وحبا ووفاء وولاء لا حدود لها جميعا ..
— اذن . سيكشف محمد لصديقته ماجده عما يخفيه ..
اعتدل فى جلسته وقد وضعت له الوسادة العريضة خلف ظهره .
— اتذكرين اننى سألتك مرة ان كنت استطيع ان اقول لك سرا ؟

— طبعه .. اتذكر هذا جيدا وانا انتظر ان تصرح لى به ..

— ودون ان تسخرى منى ؟

— الصديق المخلص لا يمكن ان يسخر من صديقه المخلص .

رفع محمد طرف سترة منامته فكشف عن الحافظة الانيقة المصنوعة من الجلد والتى يحفظ المصحف بداخلها فاخرجه منها وهو يقول :

— ساريك صورة احفظها بين صفحات هذا المصحف الذى لا يفارق مكانه هذا ابدا .. وهذه الصورة لا يعرف مكانها احد قط كما لا يراها احد قط لانى ضنين بها على اى عين .

اثار اهتمامه الكبير بهذه الصورة اهتمامها الى درجة الفضول فسالته :

— لمن هذه الصورة يا محمد ؟

اجابها وعلى وجهه ابتسامة شفيقة ..

صورتها

— صورة من ؟

— حبيبتى

ابتهجت وهى تستزيده من حديثه لتشجعه على الافاضة لقد يساعدها هذا على رد حالته المرضية الى جذورها ..

— انت تحب فتاة يا محمد ؟

— احب اجمل سيدة فى العالم

شاعت الابتسامة فى وجهها اكثر وهى تقول :

— لهذه الدرجة ؟

— واعيش بامل واحد .

— وما هو ؟

— ان اتزوجها ..

— الى هذا الحد تحبها ؟

— من قلبى .

— من هى ؟

— اعظم ممثلة فى العالم .

— ممثلة ؟

— ومشهورة جدا .. انها النجم العالمى المضىء الذى يتلألأ ليضىء هذا الكون التعس .. ساريك صورتها واحكمى بنفسك .. لابد انك ستعرفينها من اول نظرة لانها مشهورة جدا .

وفتح المصحف واخرج منه صورة ليلى — والدتها — الصورة التى اهدته اياها ليلة زارها فى غرفتها الخاصة بمسرح الاوبرا وكان ذلك منذ شهور ، وكان قد بدا بمعاناة حالة مرضه قبل هذا التاريخ باسابيع وان لم تكن اعراضها قد وضحت لابويه ، كما انه لم يكن قد تاثر بها احساسا وسلوكا وحياة كما تاثر مع مرور الوقت توصلت به الحال الى هذا الذى وصلت اليه ، فقدم الصورة الى الدكتورة ماجده وهو يقول :

— انظرى .. هذه صورة حبيبتى .. انها الممثلة ليلى عبد الحكيم .

ماجده ، احست فجاة ان الغرفة تميد بها ، الغرفة بكل محتوياتها وانها على وشك السقوط ارضا بعد ان اختل توازنها .. ولكنها تمالكت نفسها وتماسكت وجلست على المقعد القريب من سرير محمد وسالته وهى تحاول ان تعلق ابتسامة بشفتيها :

— هذه من تحبها ..

— اعبدها يا دكتوره ماجده .

— وهى ؟

— لاننى زرتها مرة واحدة فى غرفتها بمسرح الاوبرا

واهديتها لوحة زيتية رسمتها لوجهها الجميل وسألتها
ان تهديني احدى صورها فاهدتني هذه الصورة وكتبت
لى على ظهرها هذا الاهداء الجميل .. انظرى الى ظهر
الصورة .. انظرى .. اقرئى ..

من طريقة حديثه واسلوبه و « الروح » التي يتحدث
بها عن والدتها اطمأنت قليلا .. بل كثيرا .. فحبه
الذى يتحدث عنه لا يندرج تحت اى نوع من العواطف
الهادمة المدمرة ، ودفعها هذا الاحساس الى ان تستزيد
من هذه الطمأنينة التي شاعت في نفسها فسألته :

— وماذا قالت لك يا محمد ؟

اجابها وقد تلونت ابتسامته بما يشى بانه يعيش
لحظات صفاء نفسي نادرة .

— كانت لطيفة لغاية .. آية من آيات الطيبة
والرقة والشفافية وشكرت لى من قلبها الصورة
التى رسمتها لوجهها .

— ماذا قالت لك ايضا ؟

— انها ترجو ان تراني كلما اتيح لى ذلك .

— ولم لم تزرها .

— ابتدأت اعراض المرض تشتد على حتى اسفرت
عن حقيقتها .

— تقصد انك كنت مريضا قبل ان تزورها .

— كنت بدأت احس قبلها بشعور انني اعاني قلقا
غير طبيعيا وكنت اعزوه الى اجهاد الاستذكار ولكن
الحال تدهورت بى بعد ذلك الى ما ترين ...

— معنى هذا انك تعرف انك مريض يا محمد ؟

— اعرف انى مريض واننى اريد ان اشفى.

— وهل تعرف معنى هذا ؟

— ما هو معناه يا دكتوره ؟

— ان شفاءك ممكن .. بل مؤكد ان شاء الله ..

— يارب يا دكتوره ..

واجهش بكاء ..

— الا يجوز عندما تعرف ان اشلب الذى يعجب
بها الى الحد الذى يجعله يرسم لها صورة جميلة .
كما عرفت منك الآن ، الا يجوز عندما تعرف انك مريض
في المستشفى ، ان تقوم بزيارتك .

ضحك من قلبه لاول مرة وهو يقول :

— يا .. ه .. يا دكتوره ماجده .. هذا حلم من
الاحلام .. انها نسيتنى بكل تأكيد ..

— لا يمكن ان تنساك لانها — بكل تأكيد — تضع
الصورة التى رسمتها لوجهها واهديتها اياها فوق
الكومودينو — مثلا — بجانب سريرها ، فهى تراها في
كل دقيقة ، فكيف تنسى صاحب هذه الصورة ؟

همس بشفافية وكأنه يحلم وقد تاهت نظراته الى
بعيد .. بعيد .. بعيد ..

— آه لو اراها تدخل على من هذا الباب ؟

— استطيع ان اتصل بها — تلفونيا .. اعرفها
بنفسى واقول لها ان واحدا من جمهورها العريض ،
بل انه اول هذه الجماهير فهو الذى رسم لك صورة
زيتية اهداك اياها ذات ليلة .. اقول لها .. هذا
« الواحد » يا ليلى هائم يمضى اياما في ضيافتى
بالمستشفى وكل امله ان يراك .

لمعت عيناه سعادة واملا وفرحا وهو يقول :

— يا سلام يا دكتوره ماجده .. لو حدث هذا ،
ساحمله لك في عنقى — جميلا — الى آخر لحظات
حياتى ..

وكأنها توقع عقد اتفاق بصوتها ..

— وعد لك منى يا محمد .. ان احضرها معى غدا
لتزورك .

— ١٩ —

ماجده روت لوالدتها كل شيء .. ان « ولدا » رقيقا مهذبا تحت رعايتها الطبية فى المستشفى يتمنى ان يراها فهو يحبها حبا نورانيا تستطيع ان تسميه تصوفا .. ثم ابتسمت وهي تضيف :

— وهو ليس غريبا عنك يا ماما فانه الشاب الصغير الذى رسم لك هذه الصورة النادرة واهداك اياها ذات ليلة من ليالى العام الماضى عندما زارك فى مسرح الاوبرا .

هتفت ليلى وقد اخذتها المفاجاة .

— محمد !!

— هو بعينه ، وقد اهديته احدى صورك .

— هذا صحيح .

— يحفظها بين صفحات مصحف لا يبرح مكانه الى جانب قلبه ، وهو يتمنى ان يكون فى استطاعتك ان تزوريه ..

اسرعت ليلى تجيب ابنتها ..

— ازوره طبعا يا ماجده — غدا صباحا اصحبك الى المستشفى لاراه .

ثم بشفافية الأطياف .

— يا حبيبى يا بنى .. مريض ؟

هزت ماجده راسها بمرارة وهي تقول :

— شيزو فرانيا يا ماما ..

— شيزو فرانيا ؟؟

— بكل اسف .. من النوع الهادىء ، هذا صحيح . ولكنها — من اين جئتها — شيزو فرانيا .. انفصام

همست ليلى بحسرة .

— لا حول ولا قوة الا بالله .. كل هذا الشباب والجمال والرقة والأدب والنبوغ .. اللهم لا اعتراض يارب .

ثم ، وكانها تصلى :

— اللهم اشفه واشف كل مريض يارب .. سلام على المرضى .. سلام على الراقدين فى كل مكان ..

— انى اتوقع ان تساعده هذه الزيارة ليتغلب على « الحالة » ، بكل تاكيد ستحسن حاله اذا زرته ولو مرة ..

— لا مانع عندى من ان ازوره اكثر من مرة مادام فى زيارتى ما يساعد على شفائه .

ثم كررت عبارتها المفعمة بالحنان الدافق .

— يا حبيبى يا بنى .

واتفقت مع ماجده على ان تصحبها صباح اليوم التالى لزيارة محمد .

* * *

محمد لم يكن فى حال طيبة فى ذلك الصباح .. صباح اليوم التالى الذى حددته ليلى مع ابنتها لزيارته .

والدته كانت أول زواره فى ذلك اليوم .. وبمجرد ان صافحت عيناها وجهه ، احست من جهامته انه ليس على ما يرام .. ولكنها رسمت على وجهها ابتسامتها التعسة وهى تقول :

— صباح الخير يا محمد .

سألها وقد ثبت على وجهها عينين جامدتين لا تعبران عن شيء .

— من انت ؟

اجابته وهى تذوب اشفاقا ورقة وذلا .

— انا ماما يا محمد .

— ليس لى ام .
— محمد .. انا ماما يا حبيبى ..
اجابها بسرعة .
— لا اريد احدا هنا بجانبى .. هل تسمحين بمغادرة هذا المكان ؟
فى هذه اللحظة سمع الاثنان دقا بباب الغرفة فقالت ملك هانم للطارق « تفضل » فاعترض ولدها فى لهجة آمرة تشوبها مسحة من الحدة .
— انا فقط من له ان يسمح لاى طارق بالدخول « انا وحدى » .
ارتبكت الأم وحارت فيم وبم ؟ تجيب فقالت فى خلة ..
— حاضر ..
واضاف هو ..
— هذه الغرفة غرفتى .. استقبل فيها من اريد وارفض من لا اريد ..
— حاضر ..
ثم اعتدل فى جلسته والوسادة العريضة خلف ظهره، وصاح يدعو الطارق للدخول ..
— ادخل ..
وتحرك مقبض الباب . وانفتح .. وكانت ماجده — طبيبته — هى الطارقة .
— صباح الخير يا محمد ..
اجابها بصوت مريد .
— صباح الخير .
— انك لم تعود صديقتك المخلصة جدا ان ترد تحيتها على هذا النحو . اين ابتسامتك الجميلة التى احبها ؟

ثم الى والدته . .
— صباح الخير يا ملك هانم ..
اجابتها بانكسار والدموع فى عينيها ..
— صباح الخير يا دكتوره ..
همت ماجده بالاتجاه نحو باب الغرفة وهى تقول :
— محمد .. ان معى ضيفة عزيزة غالية سمعت لزيارتك عندما علمت انك فى ضيافتنا ..
تقدم بجذعه للأمام فابتعد بظهر عن الوسادة التى يتكىء اليها وقد تنبهت حواسه جميعا وهو يسألها بلهفة :
— هى ؟
توقفت قبل ان تفتح الباب لتقول له ..
— لقد وعدتك .
ثبت نظراته عليها .. على وجهها بالذات وهو يسألها جادا منذرا .
— لا تكذبينى .. انك لا تكذبينى .. حذار يا دكتوره ماجده .. انك لا تكذبينى .. أليس كذلك ؟
— سبق ان قلت لك ان الاصدقاء لا يمكن ان يكذب بعضهم البعض .
سألها بلهفة اكثر :
— اذن اين هى ؟ اريد ان اراها ..
فتحت ماجده الباب الى نهايته وهى تدعو الضيفة الغالية ..
— تفضلى يا ليلى هانم .
ودخلت ليلى .. وخلفها احد العاملين فى المستشفى يحمل مجموعة من اعواد الزنبق والنرجس بجمعها — فيضمها جميعا — شريط من الحرير الابيض » فى لون ثوبها البسيط الذى كانت ترتديه .. وتقدمت من

سرير محمد وهي تقول :

— صباح الخير يا محمد ..

الجميع أحسوا كما لو ان الشمس تخترق جدران الغرفة لتشرق من داخلها .. وليلى اقتربت من سرير محمد الذى اسرع فمد يده لتلتقي بيدها التى امتدت لتصافحه فرفعها الى شفتيه وقبلها قبلة طويلة هادئة صامتة . .ظل لاصقا شفتيه بظهر كفها نحو نصف دقيقة دون أن يفتح فمه بكلمة .. ودون ان تحاول هى ان تسحبها من تحت شفتيه الذابلتين .. واحست هى بدمعة سقطت من عينه فوق ظهر كفها . فانحنت بلطف بالغ وقبلت خديه وهى تقول :

— سلامتك يا محمد .. ولقد اسرعت بزيارتك عندما علمت من الدكتوره ماجده انك ابديت رغبتك فى ان ترانى .. فانا ايضا كنت مشوقة لرؤيتك .

فجاة اضاءت عيناه .. اضاءت ملامحه .. اضاء وجهه كله .. بكل قسماته وقد بدا لماجده ولوالدته كما لو كان انسانا غير الذى كانه منذ نصف دقيقة ولا اكثر .. ابتسم وقد تألق وجهه وهو يقول لليلى ..

— اننى لا ادرى كيف اشكر لحضرتك هذه الرقة البالغة ، وهى على اية حال ليست بالشىء الغريب او الجديد عليك .

ثم بعد لحظة ..

— أريد ان اقول ان هذا طبع فيك وليس تطبعا ..

كان يتكلم كاى انسان سوى وقد نسى وجود والدته وطبيبته .. ثم اضاف موجها حديثه لوالدته .. .

— ماما .. يسعدنى ان اقدم لحضرتك نجم مصر اللامع العالى .. صديقتى الكبيرة ، السيدة ليلى عبد الحكيم .. الدنيا كلها تعرفها طبعا ..

صافحتها الأم بحرارة وترحيب ، وزادت ، فضمتها الى قلبها وقبلت كلا من خديها وهى تقول :

— أهلا بك يا ليلى هانم .. زيارتك هذه لابنى الوحيد لا تعد لها الدنيا بكل ما فيها .. انه لأول مرة يبتسم ويتحدث الينا كما كان يتحدث دائما .

الدكتوره ماجده امرت حامل اعواد النرجس والزنبق — هدية والدتها لمحمد — بأن يوزعها على آنيتين من اوانى الأزهار ففعل .. ثم جلست ليلى قريبة من سرير محمد .. واخرجت من حقيبتها قارورة عطر فاخر قدمتها لمحمد وهى تقول له :

— هذا العطر احدث ما انتجته فرنسا للشباب ، قالت انه لا يليق الا بصديق عزيز جدا وليس عندى اعز منك صديقا يا محمد ..

وشكرت لها والدته هذه الرقة البالغة .. اما هو .. فقد مد ذراعه وربت باصابعه ظهر كفها القريبة منه فوق فراشه وهو يهمس بكلمة شكر تحركت بها شفتاها دون أن يسمعها منهن احد ، والدته وطبيبته ، وصديقته الكبيرة ، فنانة مصر الأولى التى سعت لزيارته عندما سمعت بمرضه .. واسرعت تقول :

— انها لا تنسى زيارته لها خلال العام الماضى ، وانها تضع الصورة التى رسمها لوجهها داخل اطارها بجانب سريرها بصفة دائمة فانها أجمل واصدق صورها ..

فجاة سأل محمد والدته سؤالا غريبا .

— ماما .. أين بابا ؟

— فى مكتبه ، انت تعلم يا محمد .

— أوحشنى .

— سيأتى حتما بين لحظة واخرى

— ماما ..

— نعم يا حبيبي .

— ارجو من حضرتك ان تسامحيني وأن تغفري لي ..

— اي شيء اغفر لك يا حبيبي ؟

— كنت جافا في حديثي مع حضرتك بصورة لاتليق لحظة وصولك .. هل تذكرين ؟ الم يحدث مني هذا ؟

ابتسمت الام وهي تقول :

— ابدا يا حبيبي .. وانا شخصيا لم الحظ هذا

وبدا يتحدث مع ليلى .. عن المسرح والسينما .. وعن الاعمال التي ستشترك فيها للموسم الجديد فوق الخشبة او امام عدسات التصوير .. وراح يناقشها مناقشة فنية جادة سعيدا بها .. فرحا بوجودها امامه ، فخورا ، يكاد لا يصدق هذا الواقع الذي يلمسه حقيقة حلوة رائعة .. ان اجمل والمع واشهر ممثلة في مصر واعلاهن مقاما وقدرا قد سعت لزيارته واهدته ازهارا وعطرا بمجرد ان سمعت بمرضه .. لماذا ؟؟ لانه صديقها .. لماذا ايضا ؟ لانها تعتبره صديقا عزيزا كبيرا .. ولم يمض وقت طويل ، حتى ابطات الكلمات على شفتيه تتعثر ، وثقل جفناه فقد بدا النوم يغلبه .. واشارت ماجدة الى والدتها ووالدته اشارة خاصة ، فنهضت الاثنتان .. وبارحن ثلاثتهن — الغرفة في هدوء الى مكتبها .. مكتب ماجدة ..

* * *

الغرفة ضمت الثلاث ، ماجدة ووالدتها ووالدة محمد التي وجهت حديثها لليلى .

يا ليلى هانم .. انا أولا اشكر للدكتورة ماجده — ومن كل قلبي — سعيها للاتصال بك ولابلاغك برغبة

ابني في ان يراك ، اما حضرتك فانني لا ادري كيف اعبر لك عما فعلته بي هذه الزيارة .

ابتسمت ليلى ابتسامة يمامة صغيرة — اذا استطاع اليمام أن يبتسم — وهي تقول :

— هل يمكن ان اخذل صديقا استطاع بادبه المفرط ورقته البالغة وشفافيته العالية ان يفرض شخصيته على ذاكرتي ؟ كيف يمكن ان انساه يا ملك هانم ، والصورة التي قدمها لي هدية من رسمه لا تفارق مكانها بجانب فراشي ، افتح عيني واغمضهما عليها كل صباح وكل مساء ؟

ثم بعد لحظة صمت ..

— كان مستحيلا ان اخذله فاتواني عن زيارته لحظة واحدة عندما علمت بمرضه وانه ابدى رغبته في ان يراني .

اجابتها والدة محمد — وقد احست انها تستطيع ان تسأل ليلى الكثير ..

— من هنا يا ليلى هانم .. سأستأذنك في ان اطمع منك في الكثير ..

— انت تأمرين يا ملك هانم ..

— ان تكرري هذه الزيارة — متفضلة — ما امكنك الى ان تعبر به الدكتورة ماجده هذه المحنة .

— ثقي انني لن اضيع فرصة استطيع ان ازوره فيها ..

والتفتت ملك الى الدكتورة ماجده لتقول :

— ارايت يا دكتورة ماجده ؟ هل لاحظت هذا التحول المفاجيء الغريب الذي طرا عليه من النقيض للنقيض قبل أن تدخل علينا ليلى هانم ثم بعد أن دخلت وانضمت الينا .

اجابتها ماجده ، وهى توجـه حديثها لوالدتهـا ضمنا ..

ـ كان ـ حقيقة ـ تحولا مفاجئا غريبا .. وانا شخصيا لم اكن اتوقع ان يكون بهذه السرعة وبهذه الدرجة ..

ثم الى والدتها تخصها بحديثها ..

ـ لا تستطيعين يا « ليلى » هانم كيف كان يتكلم معنا قبل وصولك ، ثم كيف تحـول الى هذه الرقة البالغة بعد انضمامك الينا فاصبح كما لو كان انسانا سويا ..

ثم غلبتها ضحكة لم يكن يبدو ان لهـا اى موجب فاسرعت تعتذر عنها مراعاة لمشاعر الام المنكوبة فى وحيدها حتى لا تفسرها غير تفسيرها الصحيح فتوجهت اليها بالحديث :

ـ ملك هانم ، لست اشك فى انك تتساءلين الآن عما اضحكنى .. ولن اخفى عنك شيئا ما دمنا قد خرجنا من غرفة محمد .

اجابتها ملك وكانها تنتظر تفسيرا لهذه الضحكة المفاجئة فعلا ..

ـ حقيقة .. لقد سالت نفسى ، ما الذى اضحك الدكتورة ماجده فجاة ؟!

اجابتها ماجده وعلى وجهها ابتسامة قطة جميلة :

ـ غلبتنى الضحكة وانا اتحدث عن «ماما» فاقول لحضرتك عنها « ليلى هانم » .

بدت ملك كمن لا تفهم شيئا مما تسمع .. فسالتها مزيدا من التفسير فاجابتها ماجدة :

ـ ملك هانم .. اسمحى لى ان اقدم لك بكل زهو واعتزاز ، ممثلة مصر الكبيرة السيدة ليلى عبد الحكيم

بصفتها الاولى بالنسبة لى .. انها امى ..

ملك ـ وقد بدا عليها انها تسمع مالا يمكن ان تصدق ..

ـ والدتك ؟

ـ غريبة ؟

ـ ابدا .. الغرابة لا تعدو اكثر من ان هذا آخر ما كنت اتوقع .. ولكن هذا الملك الشفيف ـ واشارت الى ماجده ـ لابد ان يكون من ملك اكثر شفافية ـ واشارت الى ليلى ـ فاية غرابة فى هذا ؟

وقامت عن مقعدها واتجهت الى ليلى فضمتها الى قلبها .. وقبلتها بحنان دافق وهى تقول :

ـ لا يمكنك ان تتصورى ما صنعته بى رقتك وشفافيتك وانت تقبلين محمدا بعد ان صافحته ، واحسست بدمعته فوق يدك وهو يقبلها قبلة العمر .

ـ هل لاحظت دمعته ؟

ـ طبعا .. ولكنى تجاهلتها حتى لا يتحول انفعاله بفرحته بك الى نقيضه .

ثم عادت الى مكانها وهى تقول :

ـ آه يا ماجده يابنتى .. لو ان لى بنتا ـ حقيقة ـ مثلك ..

وكانت تشير بذلك الى ابنها الوحيد الذى نكبت فيه عندما نكبته الايام باقسى ما يصيب انسانا .. وقاومت دمعة كادت تغلبها لتفر من بين جفنيها .

واحست ماجده بهول ما تعانيه الام فقالت لها :

ـ ملك هانم .. ثقى بالله .. وهو بقدرته تعالى سيشفيه مثل ما شفيت عشرات الحالات المماثلة ..

ـ يا رب يابنتى ..

فى هذه اللحظة وصلهن دق بالباب فاذنت ماجده

للطارق بالدخول ..

دار مقبض الباب ببطء ، وانفتح ..

ودخل مروان .. في هدوء وهو يقول :

ـ صباح الخير يا دكتورة ماجده ..

ثم اضاف وهو يغلق الباب وظهره الى داخل الغرفة فلم يتبين بعد من بداخلها .

ـ قيل لي أن محمدا نائم وان حضرتك هنا في مكتبك مع والدته .

الأحداث تعدو وتنهب الزمن باسرع ما تنهبه دقات القلوب ، كمتسابق في سباق للعدو طوله ستة او سبعة وعشرين عاما ـ عمر ماجده ـ ظل يعدو ويعدو ويعدو . ولكن ببطء شديد ، عدو أشبه ما يكون بخطو الهوينا ، فالسباق طويل .. ومسافته اطول ، والزمن اكثر طولا ؛ ثم عندما يقترب هذا المتسابق من النهاية، يضع كل جهده وقوته وطاقته ليسرع باكثر مما يتسع له هذا الجهد وهذه القوة وهذه الطاقة ليصل قبل غيره الى .. الى النهاية ..

هل يعرف كل متسابق ـ مسبقا ـ (وجه) هذه النهاية الذى سيواجه عند بلوغها ؟؟

مروان احس انه اختصر ـ في خفقة قلب من الزمان ـ هذا العمر الذى انقضى على تلك الليلة البعيدة .. ليلة غادرت ليلى بيته الى غير رجعة ؛ فلم يلتق بها مرة واحدة طوال هذا العمر كله ؛ هذا العمر كله تركز في هذه اللحظة الفريدة من عمره .. لحظة ان التقت عيناه بعينيها ـ الجنتين الخضراوين العميقتين ـ وكانتا لا تزالان جنتين خضراوين عميقتين .. وكانت تجلس بين زوجته والطبيبة التى تقوم على رعاية ابنه في محنته الصحية .. كانت تجلس كملكة ..

تقدم في ثبات بعد ان تخلص من اثر المفاجأة الحادة التي ووجه بها .

والدكتورة ماجده باعتبارها المضيفة ـ كانت اول من رد التحية لترحب بضيفها في مكتبها .

ـ صباح الخير يا استاذ مروان .. تفضل ..

ثم الى والدتها ..

ـ ماما .. اسمحى لي ان اقدم لك الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ مروان توفيق .. انه في غير حاجة لتقديم طبعا ..

ثم الى مروان ..

ـ والدتي يا استاذ مروان .. الفنانة الكبيرة ليلى عبد الحكيم ..

ثم بابتسامة ..

ـ هي ايضا ـ طبعا ـ في غير حاجة لاى تقديم.

احس بالأرض تميد به .. بالمرئيات تغيم امام عينيه .. يكاد يرى كل شيء مزدوجا كانه اثنان .. ولكنه جاهد فبذل جهدا خارقا ليتمالك نفسه ..

ايمكن ان تكون ماجده ابنته ؟

ولم لا ؟ ..

ولاول مرة يخطف عينيه التشابه الشديد بين اجزاء من وجهها ووجهه ، في انسحاب زاويتى فمها عند التقاء الشفتين وهو من ابرز ملامح وجهه هو .. عيناها ـ ايضا ـ كانتا صورة طبق الأصل من عينيه فان والدتها لم تورثها خضرة عينيها فورثت عنه هو سواد عينيه ولمعانهما الغريب ، وما عدا هذا .. كانت ـ ولاول مرة يلحظ هذا ـ تكاد تكون صورة مصغرة من ابيها .. الشعر .. الجبين .. الانف .. القوام ـ حتى القوام ـ ولون البشرة .. كل هذا .. كله ..

كان يقول له في هدوء بليغ :

— طبعا ابنتك ففيم تتعب نفسك ؟ ولو ان ليلى تزوجت غيرك بعد أن طلقتها وانجبت ممن تزوجته هذه البنت ، لكنت اول من عرف هذا النبأ ، فليلى نجم لامع وانباؤها تتصدر الصفحات الاولى دائما .. وزوجها من غيرك — لو أنها تزوجت بعد انفصالك عنها — كان لابد ان يحتل المساحات الكبيرة من كل صحيفة ، في ذلك الحين .. ولكنها مع ذلك ليست ابنتك .. ابنتك وليست ابنتك يا مروان ..

أفاق من هذه الأخيلة عندما رآها — رأى ليلى — تمد له يدها الجميلة المعطرة لتصافحه ، فصافحها ، ثم رفعها الى شفتيه ومسها بهما في احترام بالغ وهو يقول :

— اهلا بك يا هانم ..

ثم الى الدكتورة ماجده ، ابنتها ، وابنته معـا .

— طبعا .. ليلى هانم في غير حاجة لأى تقديم .. وهذه مفاجأة يا دكتورة ماجده .

اشارت ليلى الى مقعد قريب — كما لو كانت في بيتها وانها المضيفة ، أليست غرفة مكتب ابنتها ؟ وقالت له بلطف بالغ :

— تفضل يا استاذ مروان .. اجلس ..

وجلس حيث أشارت وهـو يربت كتف زوجتـه وسألها :

— هل رأيت محمدا ؟

— كنا عنده منذ قليل ولا تتصور حالته النفسـيـة اليوم ..

— أحسن ؟

ابتسمت الأم المنكوبة لأول مرة وهى تقول :

— ياه .. ياه ياه يا مروان .. احسن بشكل .. انى لم اره كما رأيته اليوم .. انسان طبيعى مائة في المائة والفضل في كل هذا مردود الى ليلى هانم اذ لا تتصور ماذا فعلت به زيارتها ، وقد رجوتها الا تبخل عليه بمثلها كلما اتسع وقتها لهذا فوعدتني .

ثم بعد لحظة صمت ..

— تصور .. لقد طلب ان يراك وقال انك اوحشته

— انا ؟ اوحشته بعد مقابلة الأمس !!

— تغير يا مروان تغير تماما .. لا تتصور كيف غيرته زيارة ليلى هانم ..

ثم بابتهال كأنها تصلى ..

— يا رب .. على طول يا رب .. عندما يصحو من اغفاءته تدخل لتمضى معه بعض الوقت .

في هذه اللحظة دق الباب فأذنت الدكتورة ماجده للطارق فدخلت احدى الممرضات لتقول :

— دكتورة ماجده .. غرفة رقم ٩ تطلب حضرتك

— آمال ؟ ..

— تلح في رؤيتك وتصر على ان تعطيهـا الدواء بيدك ..

قامت ماجده مستأذنة ضيوفها على ان تعود لهم بعد قليل ..

ليلى بدأت حديثا لتقول — وكأنها تخاطب مروان وزوجته معا ..

— ماجده بنتى حدثتنى اكثر من مرة عن هذه الفتاة — آمال — وفهمت منهـا انها تتقدم نحو الشـفـاء بصورة تبدو واضحة يوما بعد يوم .

ثم الى مروان بالذات ..

— وسيكرمكما الله باذنه يا استاذ مروان وسيتم

نعمته على محمد ..

ثبت عينيه على وجهها الذى لا يزال يحتفظ بجماله وشبابه وحيويته ، وهو يقول :

— يا رب يا ليلى هانم .. من فمك الطاهر هذا للسماء .. يا رب ..

ويدق الباب مرة اخرى .. وفى هذه المرة يطل احد العاملين فى المستشفى ليقول :

— تليفون يا ملك هانم .. البيت يطلب سعادتك .. مسز هيرش ..

— حالا يا حسنين ..

ثم قامت عن مقعدها وهى تستأذن ليلى ..

— دقائق بعد اذن ليلى هانم .. انها مربية محمد السويسرية التى عاصرته منذ ولادته ..

واصبح مروان وليلى معا ..

وجها لوجه ..

وحدهما لأول مرة بعد نحو ستة او سبعة وعشرين عاما ..

واجهت نظراته الثابتة بهدوء شديد غريب .. فلا تحد ولا تحفز ولا تأهب ولا حتى مجرد تهيؤ او استعداد ..

ولماذا ؟ ولأى شىء تتهيأ او تستعد ؟

انها بلا مشكلات يتصل حلها به فقد خرج من حياتها جميعا منذ اكثر من ربع قرن من الزمان ، وهى تعتقد عن يقين ان الله اعطاها كل شىء .. اعطاها بغير حساب .. انه بالنسبة لها لا يمثل شيئا .. مجرد حادث فى حياتها ، حادث مضى وانقضى .. وهى تعيش اجمل سنوات عمرها بمجرد ان رزقها الله بابنتها مع اعز مخلوقين عليها فى هذه الحياة ، هذه

الابنة العزيزة الغالية ، ثم امها — نازك هانم — هذه الأم التى كانت لها — دائما — الأم والأب معا .. وكانت العم والعمة والخال والخالة والاخت والصديقة العزيزة الغالية جميعا .. ان — مروان — لا شىء .. وكل ما ترجوه ان يترفق الله به فيشفى له ولده الوحيد والا يفجعه فيه ، فهى ام وهى — كما تحس وتدرك معنى الامومة — كذلك — وبنفس المقدار — تحس وتدرك معنى الابوة ..

ايقظها من سرحتها وهو يهمس باسمها كأنه يصلى

— ليلى ..

اجابته فى هدوئها المعتاد غير المفتعل ..

— نعم ..

— لا ادرى ماذا اقول ..

— ليس هناك ما يقال ..

— هل كنت تعرفين وانت فى طريقك لزيارة محمد انه ابنى ؟

— ابدا .. لقد زارنى مرة فى الاوبرا مع كثيرين ممن يزوروننى من شباب الجنسين يطلبون منى صورة او توقيعا ، وقدم لى صورة جميلة رسمها لوجهى واهديته احدى صورى فكان من المستحيل ان انساه، وعندما اخبرتنى ماجده انه صاحب هذه الصورة التى لا تبرح مكانها بجانب فراشى وانه مريض ويرجو ان يرانى .. اسرعت اليه طبعا .

— وهى ؟

— من ؟

— ماجده ..

— مالها ؟

— ابنتى طبعا ..

كان واثقا من أنها ابنته .. وليلى أجابته مؤكدة في هدوء :

— انت لم تقبلها فرفضت ان تستقبلها في هــذه الدنيا ..

— اعني .. أهي فعلا ..

— هي .. وليست هي يا مروان .. انها تعرف ان والدها قد توفي بعد ولادتها بأسابيع .

أطرق وهو يستعيد عبارتها التي صفعته بها وهي تنهي مناقشتهما العاصفة في تلك الليلة السوداء البعيدة « انني لن اشركك بأن انسب ابني او بنتي لك فلن يحمل ايهما اسمك » ثم رفع عينيه اليها وهو يقول :

— أعرف هذا يا ليلى .. انها هي .. وليست هي .. ابنتي .. وليست ابنتي ..

ثم اختنق صوته وهو يقول :

— وأراد الله لي أن اعيش لأراها على هــذه الصورة المضيئة المشرقة ، وأن أرى — في المقابل — ابني الذي خرجت به من هذه الدنيا ، على هذه الصورة المفجعة التي رأيتها .. لقد رأيته طبعا ..

قالت كأنها من الانبياء :

— الله قادر على ان يشفيه لك .

— هو طبعا قادر .. ولكن .. اتظنينه يفعل ؟

— ولم لا ؟ من اجلك ومن اجل امه .. ولماذا لا يفعل من اجل شبابه وتدينه وقربه منه سبحانه وتعالى .

— عرفت ان زيارتك قد اسعدته كثيرا وبدلت من سلوكه اكثر ..

— ملك هانم وماجده نبهتاني الى هــذا .. اعرف واحس انه يحبني حب تصوف نوراني شفيف .

— فهل أرجو منك ان تقفي الى جانبه في محنته .. انني لا ارجو اكثر من تكرار هذه الزيارة .

— لقد وعدت ملك هانم وانا عند وعدي ..

— حتى بعد ان عرفت ..

ولم يتم عبارته فسألته :

— عرفت ماذا ؟

تردد قليلا وهو يقول :

— انه .. او انني ..

— انه ولدك او انك والده .. اليس هذا ما تريد ان تقول ..

أحنى رأسه في صمت فأتمت هي حديثها ..

— هذا لا يقدم ولا يؤخر في شيء قط فانني أزور صديقا صغيرا عزيزا غاليا ودون النظر لأي اعتبار آخر ..

— هل استطيع ان اسألك منه .

— المن كلمة كبيرة على البشر يا استاذ مروان ، فالمن لله وحده ..

— اذن هو رجاء ..

— تفضل ..

— ان تغفري لي ..

— والله وحده — ايضا — يملك الغفران ، وكما انك لا تملك لي شيئا ؛ كذلك انا ، لا املك لك شيئا .

ثم بعد لحظة صمت ..

— استاذ مروان ..

— نعم ..

— ارجو ان تسمح لي بان اقول لك شيئا ..

— تفضلي ..

— انت لا تنقصك تراجيديا تطحنك باكثر مما تطحنك التراجيديا التى تعيشها مع مرض وحيدك ..

— ماذا تعنين ؟

— الا تجعل من الموقف بينك وبيني ماساة جديدة لا موجب لها ولا مكان ، فهذا تاريخ مضى فانقضى ، وثق — وارجوك أن تصدقني — ان حزني من اجل محمد لا يقل عن حزنك وحزن والدته من اجله ، ودعواتي له بالشفاء لا تقل صدقا واخلاصا عن دعواتكما له .. وكل ماعدا هذا تاريخ مضى فانقضى كما قلت لك الآن ..

بذل جهدا خارقا ليمنع دمعة كادت تند من بين جفنيه وهو يقول فى همس وكأنه يموت :

— اعيش لأرى ابنتى التى رفضتها وطلبت من امها ان تتخلص منها جنينا ؟!

— اعيش لأرى هذه الابنة تعالج ابنى .. تعالج اخاها دون ان تعرف انه اخوها ودون ان تكون لها اية صلة بى ودون ان تعرف اننى ..

ثم عض على شفته السفلى بمرارة اليمة وهو يضيف :

— ثم تقولين انه تاريخ مضى فانقضى يا ليلى ..

— هل تستطيع ان تعيد الزمن ؟

اطرق وكأنه يحمل فوق رأسه جبلا ، ثم رفع الى وجهها عينيه المجهدتين الذابلتين وهو يقول بصوت أشبه ما يكون بصوت وتر عود غير مشدود ..

— اتذكرين الشهور الثلاثة التى امضيناها فى عواصم اوربا ؟

— طبعا أذكرها ..

— تذكرين اننا كنا نعيش فى شتاء دائم ..

— كل أوروبا شتاء دائم تقريبا .

— من هنا ارجو ان اقول لك شيئا ..

— تفضل .

— ملك — زوجتى — وانا ، نعيش الآن ، وفى قيظ القاهرة ، هذا الشتاء القاتم الدائم ، والذين يعيشون حياتهم شتاء دائما ، يعيشون حالة مفاجآت دائمة .. فالشتاء فصل المفاجآت .. فقد تغيم السماء وترعد وتبرق فى لحظة ، ثم تتحول من النقيض الى النقيض فتصفو وتشرق وتضيء الدنيا فى لحظة أخرى .. ثم لا تكاد تصفو وتشرق وتضيء الدنيا حتى تربد ثانية — فى ثانية — لتهطل السيول او لتهب الريح لتتحول فى ثانية بعدها الى اعصار ، وقد ينقشع الاعصار فى دقيقة أو فى ساعة فتطمئن القلوب وتهدأ النفوس ، ثم اذا بزلزال مدمر يأتى على كل شيء ويقلب الدنيا ويخفض عاليها سافلها ..

واطرق من جهد وقلق ويأس وعذاب ليقول .. او ليضيف :

— نحن يا ليلى هانم — زوجتى وانا — سنعيش دائما فى انتظار هذا الزلزال المدمر .

— اى زلزال ؟ الا تراك ممعنا فى التشاؤم ؟

— اكثر من طبيب متخصص قال لى : ان محمدا سيقوم — طبعا — من هذه المحنة — محاولة الانتحار — وسيغادر المستشفى ليعود الى البيت بين اسبوع وآخر ، وربما بين يوم وآخر .. ولكن المحنة قائمة كما لو كانت شتاء دائما يهدد من يعيشونه بكل تقلباته ومفاجآته ، من الرذاذ الهادىء ابتداء ، الى الزلزال المدمر انتهاء .

— يا الذى دعا هذا الطبيب — او هؤلاء الاطباء — لان يقولوا لك هذا ؟

— للتحذير او للاحتياط .. فالزلزال — كما فهمت من حديثهم قد يقع عن طريق شفرة حلاقة حادة مرهفة او مدية تالمة ، وقد يقع عن طريق مجرى النيل ، وقد يقع من شرفة مسكننا بالطابق التاسع ، وقد يقع عن طريق قارورة ملأى بالاقراص المنومة كما حدثت فى هذه المحاولة .. السبل الى وقوع الزلزال لا حصر لها .. ومن يستطيع أن يوقف زلزالا او يمنع وقوع زلزال ؟ .

ثم لحظة صمت ليقول :

— هل استطيع أن امنعه من حلاقة ذقنه ؟ هل املك أن امنعه من مبارحة المنزل والنيل امام بابه ؟ هل يسعنى أن امنعه من دخول الشرفة ؟ وهل يعجز اذا اخفينا عنه كل العقاقير الجالبة للنوم من شراء قارورات مماثلة لا حصر لها من اية صيدلية ؟

ثم واجهها بوجهه ، وخيل اليها ان السن قد تقدمت به فى هذه الدقائق فقفزت به الى الستين .. وسمعته يضيف الى كل ما قال ..

— نحن يا ليلى هانم — والدته وانا — سنعيش بمجرد مبارحته هذا المستشفى وعودته الى البيت فى انتظار الزلزال .

واخفى دمعة غالبت ضغطه اياها فقدرت من اسرها بين جفنيه .. وامسكت ليلى فانها لم تجد ما تقوله .. كل ما فعلته انها ابتهلت لله — فيما بينها وبين نفسها — دعاء لقدرته العلية ان يشفى لهذا التعس ولزوجته المسكينة وحيدهما ؛ قطعة من كبد كل منهما .

فى هذه اللحظة دق باب الغرفة ، ودخلت الدكتورة

ماجده وهى تقول — وقد شاعت فى وجهها ابتسامة متفائلة :

— خبر عظيم يا استاذ مروان ..

اضاء الامل وجهه كانه يسألها — خيرا — ودون ان يفتح فمه بكلمة واعلنت ماجده الخبر ..

— استاذنا الدكتور نظمى رئيس القسم قال لى الان ان محمدا يستطيع ان يغادر المستشفى بعد ظهر يوم الاحد بعد القادم .. ليعود مع حضرتك ومع ملك هانم الى البيت ..

مبروك ..

واجهش مروان ففاضت دموعه ..

واعتبرتها ماجده دموع الفرحة ..

وليلى كانت تعرف معنى هذه الدموع ..

فالاحد بعد القادم يبدأ مروان حياة شتاء دائم .. يبدأ العد التنازلى فى انتظار الزلزال .

فتحى ابو الفضل — دار الاهرام — القاهرة

السبت اول اكتوبر ١٩٧٧

الاربعاء ١٦ اغسطس ١٩٧٨

للمؤلف

١ ـــ فى سبيل الحرية : اول نموذج للمسلسلة الاذاعية تطبعه الدولة على نفقتها .
٢ ـــ الثوب الضيق : رواية فى جزئين ـــ الأهرام .
٣ ـــ الجحيم فى الجنة : رواية ـــ دار الشعب .
٤ ـــ عبد الباقى وبناته : رواية ـــ كتاب اليوم .
٥ ـــ لا تغسلوا الوحل : رواية ـــ كتاب اليوم .
٦ ـــ قلوب فى الغربة : رواية ـــ طبعة ثانية ـــ الاهرام .
٧ ـــ حافية على الشوك : رواية (فازت بجائزة الدولة للرواية عام ٧٧ ـــ ١٩٧٨) ـــ دار المعارف . وفاز مؤلفها بوسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .
٨ ـــ دموع على ذكرى : رواية ـــ الاهرام .
٩ ـــ لكن شيئا ما .. يبقى : رواية ـــ دار المعارف
١٠ ـــ مفتاح فى باب الجنة : رواية ـــ ومعها أربع قصص ـــ الأهرام .
١١ ـــ هذه وأبوت

تمت

التوزيع فى ج.م.ع مؤسسة الاهرام
التوزيع فى جميع الدول العربية
الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ـــ بيروت ـــ لبنان

رقم الايداع ١٩٧٨/٤٩١٦
ISBN الترقيم الدولى ٧٠٢٦٦-٣٩٠٠

هـذه الرواية

.. وان كنت ستلمس واقعيتها وانت تقراها تهزك من الاعماق ، اصارحك بانها ليست من الاعمال الواقعية .. ولكنها خلاصة تجارب طويلة ومعاشرة فئة من الناس عرفت الكثيرين من افرادها فصادقوني وصادقتهم وربطتني — بالقلة منهم — اقرب الاواصر .

ومن هنا ، قد يبدو لك — وانت تقراها — انك تعيش واقعا حدث او يمكن ان يحدث كل يوم برغم ان احداثها لا تعني شخصية معروفة بعينها فابطالها جميعا — من صنع خيالي الذي تاثر — حتما — بهذه العشرة الطويلة .

والاسماء الحقيقية التي وردت خلال السرد الروائي يمكن ان تعيش تفصيلات هـذا السرد في اية رواية مماثلة تتناول هذه الفئة التي تنتمي اليها ليلى ، وتلك التي ينتمي اليها مروان ..

ومن هنا ، فانني استاذن اصحاب هذه الاسماء في ان ارصع باسم كل منهم — او منهن — صفحة من صفحات هذه الرواية ..

ومن يدري . فقد تكون هذه .. واموت ، اعني هذه الرواية ، وعزائي — في هذا الحال — ان اكون قد كتبتها قبل ان اموت .

فتحي ابو الفضل — القاهرة
١٦ من اغسطس ١٩٧٨

الثمن ... قرشا